إرث من الجان

إرث من الجان

الخادم

د.مصطفى أشرف

تصميم الغلاف: محمد دربالة

رقم الإيداع: 7494 /2019

I.S.B.N:978- 977-6640-58-0

الطبعة الثالثة، سبتمبر 2021م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

د.مصطفى أشرف

إرث من الجان

"الخادم"

رواية

إهداء

هذه الصفحات مهداة إلى صديقي العزيز عبدالرحمن عمر الذي تلطخت جوارحه معي ومن دونه ما كان لهذا العمل أن يرى النور أهديك إخلاصًا وأسفًا لما عانيت أثناء إتمام تلك السطور.. وشكرًا.. لينير اسمك مقدمتها.

ثم الإهداء الأخير إلى تلك الروح التي قُدر لي لقاءها وغابت عني لكنها لم تمت بعد، اعتقدت أنني الشيطان الأكبر وما عانيت أحداثًا كرعب ذلك العمل إلا حرصًا مني لإنقاذها من شياطين الجان والإنس دون أن يسمح لي القدر بالشرح قد تظلين روحًا إلى الأبد تزورين منامي كل يوم أو ترجعي لتشكلي شخصًا واحدًا لتكن تلك الصفحات رسالة وليكن كاتبها رسولا.

K.O

صوت أنفاس يكاد يخترق القلوب قبل اختراق الأذن،صوت أقدام متسارعة،ظل لثلاثة أشخاص يظهر وسط ضوء قمر خافت وأمطار غزيرة وسط تلاحم البرق والرعد، أحدهم يقول فى صوت يشوبه القلق:

- الوقت تأخر اتحركوا بسرعة، يمنى منتظر انا في المنزل المهجور.

يقترب الآن الثلاثة من منزل في حى يغلب عليه السكون لا يوجد به إلا الرمال وبعض الشجيرات الصغيرة وقد تركوا سيارتهم على مقربة من البيت وترجلا عنها دون سبب يُذكر ليصلوا الى البيت وعلى وجههم الكثير من التعب.

قد لا أعلم في أى زمن نحن أو أى سنة تلك، لكنني استطيع وصف المشهد بكل دقة ؛بيت عتيق يبدو أنه قد بُنى منذ قديم الأزل،حوله الكثير من الأشجار التى تجد على أغصانها المحيطة طيور تنظر إليك نظرة تجعل الرعب يدب فى قلبك نعم إنها طيور البوم، في مقدمته درج صغير محاط بسور ضخم ،يبدو وسط تلك الأمطار الغزيرة أنه منزل لأرواح تأبى أن تتركه فطغت عليه ليبدو بهذا المنظر المنفر للنفس.

صوت دقات متسارعة على باب البيت.

- ما ممم من الطارق؟؟

- افتحي يا يمنى أنا سميع.

تُسرع الفتاة لفتح الباب ثم تذهب إلى الداخل لتُحضِر بعض الأشياء من الغرفة وتأتي بها إلى الصالة لتجد ثلاثة رجال يجلسون أمام المدفأه المشتعلة بالنيران يخلصون أنفسهم ممَّا يشعرون به من برد و إعياء.

تقوم يُمنى بتجهيز المنضدة، سأحاول وصف ما عليها بكل دقة، مفرش أسود اللون يتخلله العديد من الخطوط الحمراء عليه كتاب ممزق عتيق به رسومات غريبة ولغة لم أعهدها من قبل ليست بالعربية

او أى لغة معاصرة تبدو من الوهلة الأولى أنها لغة شيطانية يوجد أيضًا سكين مزخرف بالنقوش يمتلك الكثير من الأطراف الحادة وفنجان قهوة صغير لكنه فارغ ،وأخيرًا ثلاثة بروز متاوزية.

بعد أن أحس الرجال بالدفأ يذهب أحدهم الى المنضدة ليجلس ويبدأ في إصدار الأوامر وبعد تفكير يقول:

- فهد، احرق الرسومات دى و حط رمادها فى الفنجان و أنت يا سميع اخلع ظفر يمنى بالسكينة و خللى النقوش تلامس الجلد و انت بتعمل كده يلا مفيش وقت نضيعه.

يذهب سميع فى تردد إلى يمنى التى تُعطِي يديها إليه وهي تحبس أنفاسها ليُمزق سميع إبهامها ببطأ بالسكين جاعلًا النقوش تلامس جلدها فتتناثر الدماء من كل صوبٍ وحدب ويمنى تصرخ باكيةبصوتٍ مكتوم جرَّاء قطعة القماش التي وضعتها على ثغرها.

تُحرق الرسوم ويؤخذ الظفر والدماء عليه ليُخرِج الرجل الذى يجلس على المنضدة قطعة ممزقة من الورق أُستخرجت من الكتاب العتيق وصوت أجش يقول فى عزم بعد وضع ظفر الفتاه فى فنجان القهوة مع رماد الرسومات الثلاث:

- بيراكطاج بيراكطاج عهدنا الآن يُتلى عليك سأرى نارك في الظلام، بحق العشائر ومن تُطيع، بحق اسماهون و إخوته، بحق كل من يسمعنى يرى شفتاى تطيح فى الهواء اسمع و اجب لتحضر،كاراك كن هنا فاكئيل سورمان عجل الوحى ينتظرك بيراكطاج بيراكطاج دمائنا تلمع عهودنا تُتلى حل كن اطع مر اعلى و سر المسارات السته نطقت ... مرا مرا اسير قائيل هب.

ما هيا إلا ثوانٍ معدودة حتى يبدأ الجميع في الشعور بحركات مُتتالية حولهم،و ثقل غريب على أذانهم ليختفى الشعور فجأة و يستمر ذلك لدقائق.

- هما راحوا فين! كل اللي عملناه راح؟

- الصبر أنا و اثق إنى قولت الطلسم صح و متأكد من الشخص اللى أعطانى التعويذة.

- متأكد إيه بس يا مغازى بقالنا عشر دقائق ومفيش حاجه حصلت إحنا اتضحك علينا.

- لا، مستحيل يكون ده حصل.

وقبل أن يشتد الجدال بين الجميع يتوقفون فجأة لشعورهم باهتزاز الأرض تحت أقدامهم ويسمعون صوتًا صاخبًا شديد الإزعاج، يضعون أيديهم على أذانهم فتنطفأ الأنوار بعد أن تحطمت المصابيح ومع كل ما يحدث لا أحد يصرخ من الأربعة، فقط يتابعون ما يحدث وبداخلهم الكثير من اللهفة لرؤيتهم.

- مش قولتلكم التعويذة صح أنا راجل بتاع جن قديم.

- أسفة يا مغازي، طلع عندك حق فعلًا دلوقتى هيحصل إيه وهيظهروا امتى؟؟

- قريب دى كلها مراسم دخولهم وبعدها هيظهر المراد وننول الثروة.

يقاطع تلك الأحاديث صوت صاخب أخر من أمام الغرفة المجاورة للصالة لينظر الجمع صوبها ومرة واحدة تتلقى أذانهم صوتًا مهيبًا من خلفهم يقول:

- أيها الحمقى هل أحضرتمونى و أنتم لا تحملون نسلى.

ينظرون خلفهم بسرعة وهنا ولأول مره يبدأون فى الصراخ، دماء تتناثر، ملابس تُمزق وجثث هامدة على الأرض يبروزها ملابس فهد البيضاء ملوثة بالدماء.

مصرع ثلاثة شباب وفتاه فى ظروف غامضة والشرطة تعمل على كشف ذلك الغموض.

اخاصمك ااه، اسيبك لاا وجوا الروح هتفضل حبيبي اللي أنا بهواااااه، اخاصمك

اه.

- اصحى يا سعفان بالأغنية المزعجة اللى انت حاطط‌ها منبه دي.

- حاضر يا ماما أنا معرفش أنام ساعه فالبيت يعنى.

- يا إبنى قوم عندك جامعة بدل ما دكتورة إيمان تبهدلك.

- لا لا قمت أهه مش ناقصة بهدلتها.

فى وقتٍ حاضر فى منزل فتى لم يتجاوز الثالثة والعشرين بعد، يبدو عليه البلاهة والغباء وتستطيع معرفة ذلك من شعره الغير مرتب أو لحيته الغير مهذبة، له عينين بنيتين، شارب باهت، طويل البنية،هزيل القوام، وهناك آثار لجرح قديم عند صدره، و أيضًا هنالك العديد من الصور التى يُزين بها غرفته البائسة ثم نأتى لإسمه "سعفان" ذاك الإسم الذي جلب له الكثير من العار والسخرية، لا يتقبله إلا القليل من الناس ولا يعرف أحد إسمه إلا و يُذيقه من مر الكلمات ما تفعل السهام بالجسد.

يذهب الفتى سريعًا لأداء فريضته ثم يرتدى ملابسه البالية و يخرج ليلحق بصاحبه.

- ألوو أيوة يا كريم فينك على محطة سراى القبة طب استنانى أنا هركب المترو أهه، لا يا إبنى متمشيش ما أنا فرق بينى و بينك محطتين وبقولك استنانى نركب سوى ماشى ماشى سلام.

يلتقي سعفان ب كريم صديق طفولته الذى يمتاز بطول قامته، بشرته السمراء وملامحه التى تجعل من ينظر إليه يشعر بارتياح شديد وقد كان مسكنه بجوار سعفان ليقرب هذا بينهما، درسا سويًا حتى دخلا

كلية الآداب قسم الآثار وقد كان كريم دومًا سند سعفان فى الكثير من المو اقف الصعبة.

- أنا فى عربية ثلاثة، اركب مستنيك.

- تمام.

- أهلًا يا سعفان متأخرتش يعني زى عو ايدك الحمد لله إنى صوت نانسى عرف أخيرًا يصحيك يا تافه.

- دى الإلهام كله يا كريم.

- طيب طيب محسسنى إنى والدك شاعر.

- الله يرحمه لو كان عايش مكانش ده بقى حالي، تصدر تلك الكلمات مع صوت حزين يحن إلى الماضى.

لحظات من الصمت ليقطعه سعفان قائلًا:

- صح يا كريم حلمت حلم غريب كده و صاحى دماغى مصدعة بسببه.

- حلم ايه خير؟

يهرش سعفان في رأسه ببلاهة ثم يقول:

- ممم مش فاكر.

- والمفروض اتنبأ بيه يعنى، اسكت عشان مش طايق ريحة العرق اللى فى المترو دى هفطس.

- استحمل يا صاحبى كلها ربع ساعه و نوصل.

- يا رب.

***

يصل الصديقان سويًا الى الجامعة وها هي دكتورة إيمان قد بدأت فى تحضير ما يلزم لبدأ المحاضرة ،يُسرعان قبل أن تُغلِق الباب بعدها لينجحا فى ذلك.

- الحمد لله لحقنا المحاضرة أهه ومأخرتكش.

- إيه ده سعفان جاى بدرى! لا دى معجزة.

- أهلاً يا ندا شوفتيني و أنا منضبط فى مواعيدى.

- هههه بس يا إبنى ده لولا ما اتصلت بيك كنت هتتأخر برضو.

- كنت متوقعة كده برضو.

تلك هي ندا أولى صديقات الجامعة، فتاة غير محجبة من طبقة ر اقية والدها يمتلك مصنعًا وأطيان ذات ملامح بريئة ،وشعر أصفر لكنه من إستخدام الصبغات وتلك الأشياء التى يستخدمونها الفتيات لإعطاء لون مختلف عكس فطرتهم، متعجرفة قليلًا و تمتلك الكثير من الشهرة.

- أومال فين يا سعفان بنطلونك اللى بيجيلك لحد وسطك، تقول ذلك ندا ضاحكة.

- ربنا يسامحك ده كان قبل الوسط بشوية.

- كفاية تريقة عليه يا ندا سعفان غلبان حتى، تصدر تلك العبارات من فتاه جميلة الشكل والروح ،ذات شعر أسود يظهر من طرحتها الحمراء، تمتلك عيون زرقاء و بشرة بيضاء ناصعة ،اكتسبت أيضًا الكثير من الشهرة لجمالها الآخَّاذ وقد ذاب سعفان عشقًا لها ويخجل كثيرًا كلما رمقته من نظراتها، إنها تتحدث عنه الآن وترأف به كالعادة.

- والله يا رضوى إنتي اللى طيبة ده غلبان ده!

- ليه بس يا كريم ده أنا غلبان فعلًا، يقول سعفان ذلك وهو ينظر إلى الفتاة التى يحبها ووجهه كالأطفال.

تضحك رضوى قائلة:

- أهه شفتوا غلبان أهه هههه لتقاطعهم ندا قائلة:

- طب بس اسكتو خلاص الدكتورة هتبدأ شرح.

***

- عم شوقى ثلاثة شاى و إثنين نسكافيه وواحد سحلب بسرعة الشباب جايين.

- تؤمر يا أحمد بيه عنينا ليك ولصحاب سعادتك.

- أدينا يا أحمد مروحناش المحاضرة وقعدنا على القهوة عشان تبقى مبسوط بس هتفشلنى معاك.

- يا سمر محاضرات برضو! هنطلع إيه يعنى من كلية الآثار دى، فلوس أبويا موجوده أومال أنا خطبتك إزاى سيبك من السيرة دي عشان جايين أهم.

- أهلًا يا أحمد بيه أهلًا يا سمر يا بنتى سيبك منه ده فاشل تقول ندا ساخرة.

- لما نشوفك يا ندا هانم هتجيبى إيه السنادى وسعفان معاكم يعنى فين بنطلونك المقطع ده؟.

- أقولك فين يا ظريف عامة البنطلون المقطع ده ماركة بس أمثالك ميعرفهوش، ليضحك الجميع ويقاطعهم سعفان قائلاً فى قلق:

- يا أحمد جبتلى السحلب بتاعي؟

- أيوه يا أستاذ جبته معرفش سحلب إيه ده اللي بتشربه علاطول.

- بحبه من زمان مع إني عمرى ما شربته في البيت معرفش حبى ليه ده جاى من فين.

- يا سعفان إنت حالة تفاهه لازم تُدَرس، صدقنى أنا معرفش إزاى إحنا قبلنا بيك فى شلتنا دى ناس عالية زينا تقعد معاك كده إزاي.

- اهدى يا أحمد مالك فى إيه، سعفان صديق عمرى وأحسن من ناس كتير هنا.

- قصدك ايه يا كريم؟!

- قصدي إنه أحسن منك ومن عجرفتك الكدابة دى.

- اهدوا يا جماعه صلوا على النبي، خلاص يا أحمد خلاص يا كريم تقول ذلك فى حزم.

- على فكره بقى يا أحمد سعفان طيب خالص و بيضحكنا متبقاش عنيف معاه كده.

- حاضر يا سمر يا حياتي.

ينظر سعفان للجميع ويبتسم ثم يبدأ فى شرب السحلب بطريقته المضحكة ،وفي داخله مزيج من القهر، الحزن والأسى فقط يُخرج تفاهته تلك كى لا يظهر ضعيفًا أمامهم لكنه الأكثر خضوعًا بالفعل ليس معهم فقط بل مع الجميع فهو لا يملك أبًا او نقودًا كثيرة او حتى وسطًا اجتماعيًا يؤهله للجلوس مع هؤلاء والذي لولا صديقه كريم ما كان الآن ليجلس معهم هنا، يُقاطع أفكاره تلك حديث رضوى له التي شعرت بالشفقة عليه لتقول:

- سعفان اوعى تزعل من أحمد هو بس بيحب يستفزك إحنا كلنا بنحبك ليخفق قلب سعفان متناسيًا ما كان يشعر به من ألم ويرد قائلًا:

- لا لا مبزعلش أنا يا رضوى متقلقيش أنا بحبكم كلكم أوي، إنتو زى إخواتي، إحم لا مش زى إخواتي أوي يعنى ويبتسم بعدها لتضحك رضوى على علثمته تلك ثم يُكمِل الأصدقاء جلستهم و هم يتناقشون حول خطوبة سمر لأحمد.

أحمد وسمر صديقان فى تلك المجموعة، يعرفان بعضهما البعض من قبل الجامعة لصلة والد أحمد بوالدها والذي كان يشاركه في مشاريع عدة قبل أن يمر بأزمه مالية ويبتعد عن السوق، أحبَّا بعضهما البعض فى الجامعة وقرر أحمد أن يقوم بخطبتها، واجه فى البداية امتعاض من والده لحالة والد سمر المادية المتعثرة لكنه ومع إصرار إبنه و افق وقد كان مؤهلًا لخطبتها فذلك الشاب غني بحق، والده يمتلك معرضًا للسيارات، متوسط الطول ،قوى البنيه، خفيف الشعر ،وسمر تلك فتاة لديها سمار أخَّاذ ذات ملامح رقيقة لكنها سريعة الغضب.

***

بعد جلسة طويلة يتفرق الأصدقاء ليذهب كلٌ منهما في إتجاهه وينطلق سعفان وكريم سويًا وقبل أن ينزل كريم محطته بدقائق يقول صاحبه:

- كريم أنا الصداع مسبنيش من ساعة الحلم ده كل اللى فاكره دلوقتى كان فيه ثلاث دو ايرصفراء يمكن تفتكر دول إيه.

- دول ذنوبك و جايين يعاقبوك.

- لا لا إنت بتقول إيه لا لاا ذنوبى إزاى هموت يعنى كريم ولا إيه؟

- ههههه يا غبى ذنوب إيه اللي صفراء، هتفضل جبان كده علاطول أنا بهزر، صوت تنهيده يتبعها سباب و يتفرق الصديقان.

يذهب سعفان الى البيت ليُمضي الوقت فى العبث مع أخته الصغيرة أو النقاش مع والدته حول أمور الحياة ثم يذهب إلى غرفته ليسمع تلك الألبومات التى لطالما أصابه هوسها، يغنى معها ثم ينام اخيراً بعد أخذ أحد الأدوية المُسكنة للألم الذي لا يُفارق رأسه.

يمضى الليل ومعه تبدأ قطرات العرق في التكون على جبهة سعفان أثناء نومه وقد صار يتقلب يمينًا ويسارًا على الفراش و يُتمتمه ببضع كلمات غريبه مثل: الإرث، الموت، الجان، تماثيل مرعبة وغيرها من الأقاويل ومع اشتداد الأمر عليه نهض فزعًا وهو يصرخ قائلًا:

- الحقوووني.

في صباح يوم الغد وتحديدًا فى المترو حيث التقى الصديقان،

- كريم، أنا حلمت تاني بكابوس مفزع.

كريم فنبرة غير مباليه:

- طيب حلمت بإيه المرادى؟

ينظر سعفان للأسفل ثم يقول:

- مش فاكر.

يرد كريم غاضبًا:

- اتغطى كويس قبل متنام ده إنت تافه صح وكلام أحمد عنك حقيقي.

- كريم، والله بحلم بحاجات غريبة بصحى مش فاكرها كل اللى فاكره برضو نفس الثلاثة دو اير الصفر دول وأرض مسطحة مُخيفة، ليُمسِك سعفان رأسه من الألم حينها ويقول:

- الصداع رجع تاني.

تتحول ملامح كريم إلى الجدية ليقول:

- طيب تعالى نحاول نفتكر الأول إنت بتحلم بإيه؟

- أنا لما بكون جوا الأحلام دى ببقى فاكؤ، بصحى بنسى كل شيء وكأنه سراب.

- الحكاية دى كانت بتحصل معاك من إمتى؟

- بدأت من زمان بس كانت على فترات بعيدة محطتهاش فى بالى بس الفترة دي زادت، أنا تقريبًا كل يوم بحلم بيها.

- طيب اقرأ الأذكار وصلي ركعتين وشيل الصور بتاعت المطربين اللى فأوضتك دي يمكن سبب برضو.

- انت شايف كده؟

- اه أكيد ومش مهم النهاردة تروح الجامعة طالما انت تعبان كده، وشك فعلًا أصفر روح البيت ارتاح و اعمل اللى قولتلك عليه.

- حاضر أنا فعلًا تعبان ومش حاسس بنفسي رغم إني هفتقد لمتنا.

- بكره تبقى كويس وتقعد معانا يا بطل.

يُحول سعفان وجهته إلى البيت وهو آسف على رجوعه لأنه لن يرى رضوى اليوم وقد كانت الأمل الذي يستأنس به كل يوم.

على منضدة مليئة بالسوائل يقول أحدهم:

- سعفان فين يا كريم؟

- مرهق شوية يا أحمد.

خير ماله؟ رضوي تقول ذلك في قلق-

- بيقول إنه بيحلم ب كوابيس مش راضية تفارقه.

- تلاقيه بيحلم أحلام كارتون، طفولة متأخره تقول ذلك ندى ساخره.

- طيب هتعملوا إيه النهاردة؟ تعالوا نروح سينما.

- لا سينما بلاش النهاردة يا أحمد.

- ليه يا رضوى؟ فيه فيلم رعب جديد قوي جدًا لازم نحضره.

- أصلي سعفان أخر مره كان بيقولي عايز يروح معانا فنستناه أفضل.

- إحنا مش ورانا غير سعفان بتاعكم ده كل يوم سعفان سعفان لا هنروح النهاردة.

- يا حبيبي بالعكس خليه ييجى معانا الفيلم رعب وسعفان جبان هيبقى مسخرة اليوم.

- بخاف من دماغك دي بس عندك حق يا حياتي خلاص ييجي معانا لما يفوق.

يقول كريم فى غضب:

- إنتو الإثنين فعلًا لايقين على بعض.

***

في غرفته يجلس سعفان على الفراش بعدما قام بنزع جميع الصور المُعلقة على الحائط مستمًا بذلك لتعليمات صديقه كريم ليبدأ بعدها في تلاوة القرآن وقراءة الأذكار ليضع بعد ذلك رأسه على الفراش مُفكرًا هل سيحلم مُجددًا أم أنها فترة لن تطول وما هي إلا ثوانٍ حتى يغط فى نومٍ عميق.

ساعات تمر باختلاف أيامها وتتشابه جميعًا في نتيجة واحدة، صياح شاب فزع يقول:

- الحقووني.

- عدى أسبوع دلوقتي وسعفان مظهرش ومش بيرد يا كريم على مكالمات أي حد فينا، هو حصله حاجة؟

كريم متعجبًا يقول:

- معرفش أنا زيي زيكم.

- ياه للدرجادي حتى انت مبيردش عليك كده الوضع خطير.

- أنا فعلًا قلقان عليه بس قولت يمكن مريح فى البيت شويه.

ندا فى سخرية تقول:

- معقول سعفان التافه بتاعنا حلم يخليه مينزلش غريبة أوى دي حتى مشاكله تافهه زيه، يقاطعهم صوت من خارج دائرتهم يقول:

- خلاص تعالوا نزوره نشوف وضعه إيه؟

ينظر الأصدقاء في تعجب ثم صوت يخرج من كريم مره واحدة قائلًا:

- سعيد أنا مش مصدق إننا شوفناك أخيرًا.

- أنا عارف إني مقصر بس إنتو عارفين سنة الامتياز في طب وتعبها.

ندى في تهكم: طبعًا ما انت الشاطر بتاع الشلة بس خسيت و قصرت أكتر ما انت قصير.

يرد سعيد متجاهلًا إيَّاها:

- هتروحوا لسعفان ولا لا أنا برضو عايز أشوفه وسمعتك و إنت بتتكلم عن أحلامه دي يا كريم.

- طيب لو مُصرين كده يبقى يلا بينا.

يتخذ الأصدقاء طريقهم إلى منزل سعفان القاطن في حلمية الزيتون يقودهم كريم الذي لطالما ذهب لزيارته فى منزله ويعرف والدته وأخته الصغيرة حق معرفة وسط امتعاض أحمد الذي كره هذا الاهتمام الغير مبرر من وجهة نظره.

يُفتَح الباب لترى والدة سعفان مجموعة من الشباب أمامها فتقول:

- أهلًا، أهلًا يا كريم عامل إيه والوالدة أخبارها إيه؟

- الحمد لله يا حاجة شادية أومال فين سعفان؟ مش باين وإحنا قلقانين عليه.

- جوا أوضته قافل على نفسه مبقاش ينام وعينيه بقت زى أكياس الدم وكل ما أسأله مالك يقولي مفيش، شوفه يا كريم يا إبني ينوبك ثواب أنا غُلبت معاه ومرحب بيكم يا أولاد اتفضلوا اتفضلوا إنتو صحاب سعفان صح؟

ترد رضوى قائلة:

- أيوه يا طنط.

- فيكم الخير والله يا بنتي، لتذهب الأم بعدها لمناداة ولدها.

يخرج سعفان من غرفته ليصدر صوت مذعور من رضوى التي تقول:

- إيه ده يا سعفان مالك ؟ لقد رأت شبحًا على هيئة بشري، وجهًا شاحبًا اللون، تراكمت الصبغة السوداء تحت عينيه وامتزجت مُقلتيه باللون الأحمر حتى صار للوهلة الأولى عند رؤيته مثل الميت الذي خرج من قبره للتو.

يدخل بهم سعفان إلى غرفته وبعد دخول العصير إليهم يتحدث أحمد مسرعًا:

- إيه اللي بيحصل معاك؟

يبتسم سعفان قائلًا:

- أحلام كل يوم وأصحى مش فاكر أي حاجة بس قلبي بيبقى مقبوض.

ندى فى سخرية:

- تلاقيه فيلم كارتون بس و إنت مأفورها.

يُقاطع أحمد تعليقات ندى السخيفة ليقول:

- أنا ممكن أكون متضايق منك يا سعفان بس عمري ما اتمنالك تكون بالوضع ده.

- شكرًا يا أحمد و ياه يا سعيد أخيرًا شوفناك يادكتور.

يرد كريم قائلًا:

- ده هو اللي جابنا هنا أصلًا وأصر إننا نجيلك.

- أصيل والله يا دكتور.

- أصيل من يومي يا بتاع الآثار قوم انت بس كده و ارجع غرقنا تفاهه يا بطل.

- طيب يا سعفان نوديك لدكتور نفسي أنا أعرف واحد صديق بابا في الشغل وشاطر جدًا.

يمتعض سعفان فى باديء الأمر ولكن مع ضغط الجميع عليه يُقرر الذهاب إليه، يودعه الأصدقاء مع التأكيد على زيارة الطبيب والعودة سريعًا إليهم.

يمر أسبوعان على تلك الحال ذهب فيهما سعفان إلى الطبيب النفسي تاره وتاره أخرى يحاول الخروج بنفسه من تلك الحال ولكن دون جدوى، استمر في جلوسه وسط أحلامه التي لا يتذكرها ولا يرى منها سوى آثارها على روحه والتي ربما تعدت ذلك لتصل إلى جسده مرات لتتحول شخصيته الضاحكة إلى أُخرى قلقة.

فى مكانٍ أخروفى نفس التوقيت ننتقل من غرفة سعفان إلى واحدة أخرى أكثر غموضًا بداخلها شخصين يقول أحدهم:

- هل تعتقد أن الأمر قد بدأ الآن؟ هل الرعب و القتل سينال الجميع؟

- لا اعتقد ذلك.

- يبدو أنه الإرث بحق.

سننتظر وسنرى.-

- ماذا تقصد هل من الممكن ألَّا يكون هو المراد؟

- لا أظن أو ربما لا أدري.

- هل تعتقد أنه سيكتشف أمرك قريبًا؟

- لا، سعفان ما زال يمتلك تلك الشخصية الغير مستقرة والتي تفتقر إلى الجدية بجانب أنني جعلت نفسي بعيدًا عن متناوله.

- لو علموا حقيقتك لقتلوا أنفسهم قبل أن تصل إليهم.

- القتل سيحين موعده بخروجه.

- يا إلهي، هل من الممكن حدوث ذلك بحق؟

كفانا حديثًا فقد وجب علىَّ الذهاب الآن للجامعة، وداعًا.

- يااااه اخيرًا يا سعفان شوفناك في الجامعة، غبت عننا كتير، تقول ذلك ندى بنبرتها الساخرة المعتادة.

يكتفي سعفان بالصمت ليسمع صوت كريم يقول:

- الدكتور اللي من طرف رضوى جاب معاك نتيجة؟

يهز سعفان رأسه مبتسمًا ليقول:

- اه اه طبعًا.

ترد سمر متهكمة:

- أى حاجة من رضوى هتجيب نتيجة معاك حتى لو مش صح، يصمت سعفان الذي بدا على وجهه الحرج ليكمل الأصدقاء يومهم فى الجامعة ما بين حضور المحاضرات وتصوير الورق لينتهوا ممَّا عليهم ثم يأتي صوت مفاجيء يقول:

- سعفان، د. إيمان عايزاك في مكتبها دلوقتى.

ينتفض الفتى في مكانه ليقول:

- خير عايز انى فإيه يا ندى؟

- معرفش هي شافتنى كنت مع صاحباتى رايحين المكتبة قالتلي لو شوفتى سعفان ابعتهولي ضروري.

- شكل فيه مصيبة ربنا يستر.

ندى ضاحكة:

- روحلها يا سعافينو شكلك هتترفد.

يذهب سعفان إلى مكتب الدكتورة وهو يرتعد ليصل إلى باب غرفتها ويقف مترددًا حتى يقرر فالأخير أن يطرق عليه ثم يسمع صوتها تقول:

- ادخل.

- أهلًا يا سعفان، عامل إيه؟

- الحمد لله يا دكتور، ندى قالتلي إني حضرتك عايز اني يا رب يكون خير بس.

- متقلقش أنا بطمن عليك بس، كنت فين الأسابيع اللي فاتت دى صحابك قالولى إنك عيان لما سألت عنك.

- لا أبدًا يا دكتور كانت مشكلة نفسية كده بس الحمد لله دلوقتى أحسن وآسف على عدم حضورى الفترة اللي فاتت.

- أنا بس استغربت لما مشوفتكش فترة كبيرة في المحاضرات و إنت مش متعود غير على التأخير طبعًا.

يبتسم سعفان لاخفاء قلقه ويتأسف مجددًا.

- عامة أى حاجة عايز تفهمها في المنهج تعالالي علاطول إنت حتى لو مضايقنى بعادتك دي بس بعزك على المستوى الشخصى أكيد إنت زى إبنى يا سعفان.

- شكرًا جدًا لحضرتك اتشرف بده، يهم سعفان للنهوض فتتسع عيناه فجأه ويتصنم مكانه كأنه رأى شبحًا ليصرخ قائلًا:

- إيه النقش ده يا دكتورة؟!

تنظر إيمان إلى المكتب فى ذعر لتقول:

- ده نقش فرعونى قديم ماله؟

- تعرفى عنه إيه يا دكتور؟

- ولا حاجة لحد دلوقتي بس ليه صوتك عالي كده.

- أنا آسف بس النقش ده جالك إزاى؟

- اللي يعرفه كويس المعيد بتاعكم دكتور حامد ودراسته عليه، ممكن أعرف في إيه؟ يذهب سعفان مسرعًا الى مكتب الدكتور حامد متجاهلًا السؤال الموجه إليه وسط حنق من إيمان التي توعدته.

يطرق سعفان باب مكتب الدكتور حامد ثم يدخل مباشرةً دون أن يأذن له ليجد نفسه أمام شابًا في بداية الثلاثينات، مهندم الهيأة، متزن القوام ومن الوهلة الأولى شعر سعفان بعجرفة تشع من عينيه التي رمقته بازدراء ليسمعه يقول:

- إنت مين وإزاى تدخل من غير إذن!

- لو سمحت يا دكتور كان فيه صورة نقش على مكتب دكتورة إيمان قالتلى حضرتك تعرفه فكنت عايز أعرف عنه أى حاجه عشان بشبه عليه، ... يتصنم دكتور حامد مكانه دون حراك للحظات ثم يتدارك نفسه قائلًا:

- إنت إزاى شوفت النقش ده قبل كده، إلَّا لو انت تبق...

سعفان متلهفًا يقول:

- أبقى إيه يا دكتور؟

يتردد د/ حامد ليقول:

- مفيش، ده مجرد رمز فرعوني لسا هنبحث عنه صورناه من أخر مقبرة اتفتحت مؤخرًا لما ترجمناه لقيناه بيتكلم عن كهنة في عصر مصري قديم وشرح لإسم طقوس جديدة متهمكش اعتقد وبعدها إديته لدكتورة إيمان تفحصه قبل ميروح الوزارة.

- طيب يا دكتور مفيش أى تفاصيل تاني أرجوك.

- أنا عندي شغل كتير ومش فاضي للحاجات دي اتفضل بعد إذنك، ليتركه سعفان وهو يردد ثلاثة شموس ثلاثة شموس. . .

- عم شوقي الثلاثة شاى و إثنين نسكافيه والسحلب بتاع سعفان.

- حاضر يا أحمد بيه.

- مالك يا سعفان كده وشك مخطوف من ساعة مطلعت من عند الدكتورة إيمان.

- كريم أنا افتكرت كنت بحلم بإيه.

- بجد،.. تقاطعه رضوى قائلة:

- طيب قول حلمت بإيه يا سعفان،، كويس أكيد الطبيب النفسى جاب نتيجة.

- لا مش الطبيب النفسى أنا افتكرت كل حاجه لما بصيت لصورة نقش غريب عند دكتورة إيمان.

- طيب قلنا الحلم كان إيه بسرعة قبل متنساه، تقول ذلك ندى في لهفة.

سعفان مجيبًا في خوف:

ثلاثة شموس محيط مظلم برد قارس تماثيل من الجان معي شخص لا أراه عندما أنظر إليه تتحول التماثيل إلى جان يحيطون بنا ولا أتذكر شيء إلا ذاك النقش الذي رأيته كان منحوتًا على جسد التمثال الأكبر.

يتعجب الجمع من طريقة إلقاء سعفان لحلمه والتي كانت مُقاربة للفُصحى بجانب تقاسيم وجهه العابثة ولوهلةٍ ما شعروا بأن صديقهم قد غادر بعيدًا وحلَّ محله شخصًا آخر لا يعرفونه ولتزيد الأمور ظلمة

سمعوا صوت صرخات قادمًا من ناحية سعفان وهو ينظر إليهم بأعين جاحظة تكاد تنبثق من مقلتيه ويُغشَى عليه بعدها في الحال.

اتفضلوا برا الاوضة قولولى حصله إيه؟

- مفيش يا دكتور والله كنا في القهوة عادي بيتكلم عن حلم غريب كده و فجأه صرخ فى وشنا كلنا و أُغمى عليه.

- صاحبكم دخل في غيبوبة نتيجة صدمة مش عارفين سببها إيه بس هو دلوقتي سليم ويقدر يخرج المهم إني محدش يعصبه أو يضايقه عشان ميتكررش الموضوع ده تانى.

يدخل الأصدقاء للغرفة مُجددًا لتقول رضوى في أسى وهي تنظر إلى سعفان المُلقي على الفراش:

- سعفان مالك حصل إيه؟

دون أى ملامح على وجهه يرد قائلًا:

- معلش هروح دلوقتى وبكره هكلمكم.

- طيب حصل إيه، طمنَّا عليك؟

- رضوى ممكن نأجل الكلام.

يتدخل كريم قائلًا:

- خلاص يا رضوى سيبيه معايا أنا كده كده مروح في سكته وبكره بإذن الله نقعد و نتكلم.

يودع الأصدقاء بعضهم البعض ويذهب سعفان مع كريم دون أن يتكلم كلمة واحدة وسط دهشة من صديقه.

يأتي الليل على سعفان وهو جالس على سريره بجوارخ نافذته التي تطل على القمر يفكر فيما رأى وجسده يرتعد من الخوف، ليُحدث نفسه قائلًا:

" يا الله ماذا أفعل هل جننت! هل ما يحدث معي وهم خلقته مخاوفي أم حقيقة لم اتبينها بعد؟ هل صرت ملعوناً الآن؟ لماذا أنا لماذا يحدث معي كل هذا؟ متى وكيف تحولت الأمور لهذه الشاكلة التي لا قِبَل لي بها "

يتوقف عن مُحادثة نفسه لسماعه صوت شيئ يتحرك بجانبه، يحول نظره تجاهه

فيقفز من على الفراش يتجه صوب باب الغرفة يحاول أن يفتحه لكن دون جدوى، هنا يصاب بالذعر ويصرخ بأعلى صوته مناديًا على والدته الجالسة في الخارج لكن لا أحد يرد، يتحول مذعورًا إلى الخلف لكن لا شيء كالسابق، يلتفت فجأه أمامه فيجد صورته تُرسم على الباب كأنه مرآه لا يصدق ما يحدث ثم يسقط على الأرض مغشى عليه.

***

- ألو، أيوه يا رضوى عاملة إيه؟

- الحمد لله يا ندى بخير، أخبار المذاكرة إيه؟

- سيبك منها دلوقتي، مش مستغربة اللي بيحصل لسعفان ده أنا حاسه إني أحمد عارف كل حاجة بس مخبي علينا.

في تعجب ترد رضوى قائلة:

- أحمد! ليه بتقولى كده، هو قلك حاجه؟

- لا بس دايمًا لما بنجيب سيرته بلاقيه مركز أوي ومبيدخلش في الكلام و لما أسأله يقولي معرفش وربنا معاه وكده حاسه إنه غريب مش أحمد اللي نعرفه.

- مش عارفه والله يا بنتى بس إيه رايك نسأله بعد بكره الأحد في الجامعة.

- لا لا مش هنسأله أنا بس قولت اتكلم معاكي إنتى ومرضتش أكلم سمر عشان عارفه هتعيش دور الحب بتاعهم ده و أنا المرارة مش ناقصة.

رضوى ضاحكة تقول:

- والله إنتي مصيبة.

- طيب روحى إنتي شوفي كنتي بتعملي إيه وبكره نتكلم عشان هنام ونبقى نشوف حوار أحمد ده بعدين.

***

- ماما ماما عايزه أيس كريم.

- إنتي كل ما تخرجى معايا نجيب طلبات البيت تقولى أيس كريم ماشى يا هانم هجيبلك ويلا عشان منتأخرش تلاقي أخوكي سعفان جعان دلوقتى.

تنتهي والدة سعفان وأخته من التسوق ويتخذان طريقهما إلى البيت سويًا لتسأل الطفلة والدتها قائلة:

- هو بابا كان شكله إزاى؟

- ليه بتسألي السؤال ده! تقول ذلك الأم مندهشة.

أصلي حلمت بيه النهارده. -

ترم الأم ضاحكة:

- حلمتي بأبوكي ده أنا يا بنتي عمري محلمت بيه، أبوكى الحاج سيد السنباطي ياه يا رؤى فكرتينى بيه كان راجل ولا كل الرجال، طويل وعريض وعليه شنب يقفل بيه الطريق ههه.

- أنا زعلانة إنه مات.

- مين سمعك يا بنتي محدش مزعلش عليه مات وإنتي عندك ثلاث سنين وإنتي أهه عشرة دلوقتي ما شاء الله .

- هو ليه مات يا ماما؟

- قضاء ربنا، راح للي خلقه ربنا يعفي عنه ويرحمه.

- أنا عايزه بابا يرجع، دايمًا بشوف البنات باباهم بيوديهم المدرسة و أنا لا.

تضم الأم ابنتها إلى صدرها ثم تقول:

- يا حبيبتي، أنا أبوكي وأمك وبعدين أخوكي سعفان راجل أهه زى أبوكي تمام.

***

يستيقظ سعفان المُغشى عليه وهو يصرخ من الألم يحاول أن يتذكر ما حدث دون جدوى فيذهب لإضاءة المصباح ليجد ورقة موضوعه علي سريره يفتحها خائفًا يقرأ ما كُتِبَ عليها،

" كل اللي انت فيه حله عند دكتور حامد "

يتسمر سعفان وتعقد شفتاه عن الحديث ثم ينظر يمينًا ويسارًا، يتجه نحو النافذة فلا يرى أحدًا ليُصاب بالذعر، الدهشة والقلق فى آنٍ واحد ثم يجلس على السرير ضريحًا لا يعرف ماذا يحدث له لدرجة أنه بدأ يُصدق حقًا أنه ملعون.

فى زمان مألوف المشهد قد لم استطع العيش به لكنني أعرف الكثير عنه عن طريق تلك الأعمدة العريقة المزخرفة وهذه التماثيل المشابهة لمثيلتها من الأحلام التي ذكرها سعفان وأسفلها على ما يبدو حديثًا شيقًا يدور في الأرجاء.

- هيا سنقوم الآن بالعزف ونشهد صاحب السمو تحضروا جيدًا

- هل رأيت عارف المعبد؟

- لا لقد ذُبحوا جميعًا يا مولاى، يقول تلك الجملة شاب عريض الصدر قوى البنيه حاد الملامح لدرجة أنك لا تميزه هل هو بشر مثلنا أم ذئب متوحش.

- إذًا لقد هلكوا جميعًا، يبدو أن هذا اليوم هو مُرادنا والفتح الذي انتظرناه طويلًا قد حان، تأهب فالملك أمريس قد جاء.

- حييتم يا رجال، تواريتم عن الأنظار كما أمرت؟

- نعم أيها الحاكم، لكن هنالك خبر يهمك كثيرًا يجب أن تعلمه.

ما هو؟-

- لقد انتقلت روح العازف إلى ميزان العدل.

- متى حدث ذلك!

- اليوم فهل تعتقد بحكمتك أن هذه هي النبوءة؟

- بالتأكيد، يجب علينا التحرك الآن.

ثلاثة رجال يمشون في سرداب طويل مظلم يحملون عيدان اللهب للإضاءة تارة أو لإخافة الخفافيش المتراصة على جانبي السرداب تارة أخرى، يكملون المسير ومع صوت السكون القابع في الظلام يسمعون

صوت حشرجة يُذيب القلوب من الرعب ويستمر الصوت في العلو أكثر فأكثر.

- أيها الملك أمريس أين الشيء الذي نقصده وما تلك الأصوات المقلقة؟

- إنها أفعى كوليبس، يبدو أن ضالتنا اقتربت كثيرًا يا رجال.

يلوح الخادم بعود اللهب يمينًا ينظر إلى الجدران أويسارًا ينظر في الشقوق دون أن يراها ليتوقف مره واحدة ويصرخ قائلًا:

- إنها تلتف حول جسد أمامنا هناك في الظل.

ينظر الثلاثة رجال وينحنوا مره واحدة إلا الملك الذي ظل ثابتًا شامخًا للأعلى ليسمع صوتًا يقول:

- ها قد آتيتم وها نحن نبدأ.

في صوتٍ منتظم يغلب عليه الوقاريقول الملك:

- هل أنت الرسول أم إنك الذي ذبحت الجميع؟

- أيها الملك أمريس يعجبنى كثيرًا هدوء أعصابك وشجاعتك لتحضر إلى هنا مع هذين الحمقاوين لكن أعتقد أنه يجب عليك أن تخاف وتُظهر لي الاحترام حتى لا تلحق بمن سبقوك.

هنا يبدأ مستشار الملك في تهدأته وهو يتملكه الخوف من الكائن الو اقف أمامهم فعلى رغم عدم رؤيته لكن صوته و الثعبان العظيم الذي يلتف حوله كافيين للإيحاء بمقدرته.

- حسنًا هل نكمل عهدنا الآن؟

لحظات من الصمت بعد جملة الملك ليتكلم الكائن الذي أمامهم بصوته الغليظ و يصدر تلك الكلمات الشيطانية:

" بحق كل من هنا بحق حكام الهيكل و المعبد ساعاريز الزيف و اخوته هلم علينا بالصحيح عند باب الملوك والجان تلتقي جباهنا هلم علينا بالمرا وحى وحى اسيركائيل اطع مرا هاوند اسمعوا ندائى انا ملك عشيرتكم لتعم اللعنه و تقر المناحيت بدلت الوجوه و كان المسيعان قربانننا هنا فالتهموه "

ما هي إلا لحظات حتى سكنت الأفعى وبطلت حشرجتها لينظر الرجال إلى بعضهم البعض في ذعر، يفكر الملك مندهشًا ليصرخ مره واحدة قائلًا:

- هل نحن القر...، وقبل أن يكمل جملته تدوي صيحات الرجلين الذين معه ويطلق الملك صيحته الأخيرة مع غرز الأفعى لأنيباها السامة في عنقه، ريح عاصفه تبدأ والظلام يسود أكثر فأكثر، الأفعى تُذيق الملك أسوأ أنواع العذاب لبطأها في الإجهاز عليه وكأنَّما تلذذت بذلك ومع توغل أنيابها تتساقط الدماء رويدًا رويدًا.

- ساعدوني يا حمقى إنني احتضر، أحضروه سريعًا إلى هنا فهو خلاصنا لتأتي صرخة أخرى من أحد الرجلين وهو يقول:

- إن أمعائي تتآكل، ليُسلط النار عليه ثم يقول:

- كائنات دقيقة تنحر في معدتي، ليضع عود اللهب عليها فتحترق داخله في مشهدٍ ينأى له الجبين، أمَّا الأخير فصار يضحك كالمجنون وهو يُمسِك في يده سكينًا ينحر به عنقه قائلاً:

- تلك اللعنة للأحفاد تلك اللعنة للأحفاد.

على خشبة مسرح أحد الملاهي بشارع الهرم صوتٌ يقول:

- عرض اليوم وكل يوم عرض راقصة مصر الأولى فتاة المسرح الصاعدة لبنى كرم، تصفيق حاد وفي صوتٍ واحد يصيح جمهورها الغفير بالأسفل قائلًا:

- لبنى لبنى، وخلال لحظات تصعد راقصة مزينة الثياب، ذات قوام ممشوق وشعر أحمر طويل يلتف عليها، قد ذابت القلوب لها والعقل لحركتها فكأنَّما صار الرجال الذين بالأسفل كلابًا مسعوة تنتظر الانقضاض في أي وقت، أمامها جمعٌ من الناس أحدهم يلتف في عباءة بيضاء وكما نعرف العباءة والمال صديقان متلاصقان، وأخر على اليسار بجانبه امرأته البدينة وهو يتفحص جسد لبنى لتتملكه الحسرة على حظه العاسر ثم هذا الرجل الولهان الذي صعد المسرح ليغمرها بالنقود وهو يزحف أسفل قدميها كالمجنون لتنتهي الفقرة وتذهب لبنى لغرفتها مع تحيات جمهورها العريض لها.

***

- ولا يا عصام هاتلي الروب والجزمة اللى بتبرق عايزين نشوف الزباين.

- أمرك يا نجمة مصر والشرق الأوسط.

صوت طرقات توقف عصام عن وجهته ليسمع لبني تقول له:

- مين اللي بيخبط يا ولا؟

- ده راجل غريب لابس بدلة، هوزعه حالًا.

- أنا حامد يا لبنى.

تنتفض لبنى من على كرسيها لتهم قائلة:

- دكتور حامد، أهلًا أهلًا، اجري يا واد يا عصام برا دلوقتي، ليك وحشه والله وقاطع بينا بقالك مدة.

- مشاغل ملهاش آخر واخدة كل وقتي بمشاكلها اللي مبتخلصش.

- خير يا أخويا حصل إيه؟

واحد في الجامعة النهاردة طلعلي فجأه ومكونتش عامل حسابه، كنت فاكر إني الأمور ماشية زي ما أنا عايز بس واضح إني فيه كتير معرفهوش.-

- واحد مين ده يا سى حامد وإحنا نقطعهولك.

- لا أبداً ده طالب عندنا في الكلية بس لسا ببحث عنه عشان عارف حاجات المفروض محدش يعرفها غير اللي عاصرها من زمن مجهول.

- أنا مش فاهمة حاجة يا دكتور حاجات إيه اللى متتعرفش دى فزورة ولا إيه!

يعقب حامد ضاحكًا:

- عارفه يا لبنى إنتي الوحيدة اللي بتنسيني تعب وقرف الشغل، فالمكان ده بلاقي خلوتي الحقيقية.

- روق انت بس كده يا دكتور وهتنبسط دلوقتى، لتترك لبنى حامد لحظات ثم تعود ومعها زجاجة وكوب من الزجاج المعبأ بالثلج لتجده يُدقق النظر في صورة أمامه والحيرة تملأه فتقترب منه متلهفه وهي تقول:

- إيه الصورة دي يخويا، عفاريت دى حوش حوش.

- عفاريت إيه بس دى صورة لنقش فرعوني لسا بحاول أفك ألغازه بس هو منظره غريب فعلًا وأى حد يشوفه لأول مرة يفتكره بتاع جن و عفاريت بس بر افو يا لبنى عندك قوة ملاحظة.

- أنا واخده إعدادية لتكون فاكرنى جاهلة يا سي الدكتور حامد لا ده انا مفتحة وأوي كمان أعجبك، تُمسك لبنى الصورة لتشير إلى جزء معين بداخلها قائلة:

- الحتة دي اللى فالصورة غريبة ولا إنت شايف إيه يا دكتور.

يتفحص حامد المنطقة المُشار إليها بتمعن لتبرز عيناه وهو يقول:

- إنتي عبقرية يا لبنى طبيعتك الفطرية هتخلينى أحل لغزها ليقبلها فى جبينها ثم يهم بالانصراف مودعها حتى يبحث فيما اكتشف فتقوم لبنى بجذبه من يديه تجلسه بجانبها وهي تقول:

- أنا لحقت أشبع منك مش هتمشي إلا لما نقضى الليلة سوى.

- يا لبنى الفكرة اللي جاتلي كده هتطير.

بصوتٍ خافت تقول:

- تطير الفكرة أحسن ما أطير أنا.

ترتعش يدان حامد ليجلس وهو يقول:

- لا كده الفكرة مش مهم لكن إنتي مينفعش تطيرى أبدًا، وبالفعل يُكمِل الوقت معها.

***

في وقتٍ سابق وتحديدًا قبل إغماءة سعفان،

يروي سعفان الحلم إلى أصدقائه فينتاب الجميع الدهشة التي لا يعبرون عنها ثم يقطع كريم ذلك الخوف المسيطر عليهم قائلًا:

- يراجل ده تلاقيك سمعت فيلم رعب ولا حاجه و إنت جبان أصلًا، ينظر إليه سعفان ليعنفه لكن الصداع المزمن يُهاجمه بقسوة هذه المرة، يُغمِض عينيه ليفتحهما فيرى القهوه كأنها صارت مكانًا مظلمًا كأحلامه،

يلتفت سريعًا إلى أصدقائه فيلحظ أن ثلاثة منهم على هيئة بشعة ليست كالبشر، بشرة داكنة وقرون صغيرة عينان تظهران بلونٍ أزرق مشع وأظافر طويلة سوداء قذره يتخللها قطع صغيرة تُشبِه إلى حدٍ كبير جلدالبشر ليقترب أحدهم منه ومعه يخفق قلب سعفان بشدة ليُغمى عليه في الحال.

***

مرَّ أسبوع تلو الأخر و سعفان لا ينسى ما حدث له فى منزله وكيف أنه قد استفاق قبل أن تعود أمه وأخته بدقائق ليتذكر أن هنالك شيئًا غريبًا كان يحيط به لكنه سريعًا ما يصرف ذلك التفكير عنه وخلال تلك الأسابيع لاقى أصدقائه كالمعتاد و أيضًا وكالعادة لم تُفارقه أحلامه بعد دون تفسير يُذكر، صار يذهب إلى الجامعة رغمًا عنه وهناك يلتقي بدكتورة إيمان التي اهتمت به كثيرًا فى الآونة الأخيرة لكثرة غيابه، وقد تبرعت بالشرح له منفردًا فقد رأت فى سعفان إبنًا لم تحضره إلى الحياة بعد ثم ذهابه مع أصدقائه إلى القهوه والطلبات المعتادة من عم شوقى وحديثهم عن الحياة بشكل عام وعن أحوال سعفان بشكلٍ خاص.

- هنعمل إيه النهاردة بقى يا شباب، سمر متسائلة.

- تيجى نروح سينما. تقول ندى تلك الجملة بغرور كأنما وجدت حلًا لا يستطيع أحدًا غيرها إيجاده، ليتبعها سعفان قائلًا:

- والله فكرة كويسة.

أحمد فى دهاء يقول:

- بس يكون رعب.

ليرد سعفان خائفًا:

- لا دي فكرة وحشه أوي.

أحمد ساخرًا يقول:

- إيه يا سعفان انت بتخاف يا بتاع الأحلام!

لا يتحدث سعفان إنَّما يكتفي بالمو افقة على ما أراده بعدما حددوا فيلم الرعب الذي يريدون حضوره ليذهب كلٌ منهم إلى بيته متفقين على التجمع في الميعاد المحدد.

***

إيه ده يا أستاذ فووق اصحى يا أستاذ إنت كويس، ينزل ذاك الشخص الخائف أذنه على صدر القابع على الأرض دون حراك ليقول:

- ده مفيش نبض النجدة يا جماعة فيه ميت هنا، ليُسرع إليه شخص آخر يمر مصادفةً فى ذلك الوقت المتأخر من الليل ليسأله قائلًا:

- فى إيه يا حاج مين ده و مات إزاى؟

- معرفش يا إبني والله أنا لقيته مرمي على الأرض هنا.

- الحق يا حاج فيه واحد تاني مرمى هناك أهه.

يهرول الرجلان على الشخص الآخر المتواجد على الأرض أيضًا دون حراك، يصلون إليه ليصعقوا من ذلك المنظر المخيف، شاب لا تستطيع تحديد ملامحه من كثرة الدماء التي على وجهه وملابسه فينظران حولهما من الخوف لكن لا يوجد أحد ليقرر أحدهم أن يضع يديه على معصم الرجل ليتأكد هل ما زال على قيد الحياة أم لا ومع قرب ملامسة يديه لمعصمه ومرة واحدة فى ذلك الظلام الذي لا يشوبه إلا نور قمر خافت يفتح ذلك الشخص عينيه و يقول :

- دع الروح تعقد و الشفاه تتحدث أنا المأمون على ذلك الجسد، أنا من يُظلم له النور و تتوارى الأجيال في وصفي، أنا العهد و مفتاح الخلاص مفتاح كل شيء سافيخنار اسرا لماج العهد قد تم.

ليصعق الرجلان من قوة الصوت وغلظته فتلك الكلمات جعلتهما غير قادرين على الحراك ومن دون مقدمات يسمعان الشاب الذي اختفت من على وجهه تعابير العبث والظلمة يقول:

- أنا فين إنتووو مين أنا فين ليجرى بسرعة متاوريًا في الظلام.

***

- أهلًا أهلًا يا دكتور أخبارك ايه؟

- تمام الحمد لله يا باشا و أخبار حضرتك.

- بخير، فيه جثة هتجيلك قريب يا دكتور عايزينك تخفى أى دليل فيها مهما كان إحنا منضمنش.

ينظر الدكتور بنظره مليئة بالدهشة إلى الباشا ليقول:

- ومن إمتى إحنا بيهمنا الجثث كده هو فيه مشاكل في الشغل ولا إيه؟

- لا يا دكتور بس المرادي الحكاية فيها أطراف كتير وفيه شخص معين عرف أكتر من اللي مفروض إنه يعرفه فلازم نتخلص منه بأسرع ما يمكن يا إما شغل سنين هيروح.

- طيب على بركة الله اتخلصوا منه وإحنا في خدمة جنابك متقلقش.

- شاكرين أفضالك يا دكتور وحسابك هيوصلك زى كل مره.

- يا باشا مش محتاج تقول دي مش أول مره شغل لينا مع بعض بس حاولوا تتخلصوا منه بسرعة عشان قريب هطلع أجازة مع الأولاد و أمهم إنت عارف يا باشا أوامر الحكومة نافذه.

- طبعًا طبعًا عشان كده مبتجوزش بقضى ليلتين مع كل واحده و أريح دماغي.

- طول عمرك نبيه يا باشا.

***

إنها الآن قرابة الثامنة ليلًا، يجلس دكتور حامد في شرفته في إحدى الشقق القابعة فى مدينة نصر بجانبه كوب من القهوة وأمامه منضدة عليها صندوق بداخله الكثير من الورق بشتى ألوانه وتلك الصور القديمة والتي يهم الآن بالتقاط إحداها وهو يحدث نفسه قائلاً:

" الآن قد تعرفت على ماهية ذلك النقش إنه يعود للأسرة الرابعة في عهد مصر القديمة عصر بناة الأهرام لتاريخ حكم الملك شبسكاف وهو الملك الذي تولى عرش مصر بعد الملك منكاورع وقد اتَّسم عهده بالكثير من الغموض، يُذكر هنا أنه قام ثلاثة رجال من بينهم حاكم يُدعى " أمريس " باستدعاء كائن عن طريق طقوسٍ مظلمة يُدعى ثعبان تافيدا وعلى الأحرى له إسمًا آخر لم اتوصل إليه و قد أحضروه بهدف استخلاص سائل مميز قد يوصلهم إلى تاريخ بطله أحد الشخصيات الغامضة في التاريخ الذي يسبق البشر على حد قولهم، لا تبدو لى القصة منطقية بل من وحى الخيال لا يوجد سحر ولا ثعبان تافيدا ذاك في كتب التاريخ واعتقد أن هذا النقش لن يجدى نفعًا فبعد كل شيء لم يعطني أى فكرة عن كيفية فتح تلك المقبره اللعينة، هنالك كنوزًا بالداخل تنتظر أن اكتشف طريقة فتحها والغريب أنه حتى الشيوخ لا تعرف فقد حضر الكثير و لم يفلح أحد قط، الحل كله اعتقدت أنه في ذلك النقش الذي وجدناه في مقدمتها لكن ما وصلت إليه بعيد كل البعد عن المنطق وإذا اطَّلع عليه أحدٌ ما سيسخر مني بكل تأكيد فقط يجب أن أبحث مجددًا، المصريون القدماء أساطيرهم على الأغلب ما تكون حقيقة الأهرامات

التى بُنيت دون أسمنت، الجثث المحنطة الصامدة حتى وقتنا هذا لكن هل ذلك يعنى أن الطرق المظلمة توجد بالفعل ولو أنها موجودة فكيف أُحضر هذا الكائن المرعب والغريب، ثم يأتي دور ذلك الشاب المُريب سعفان كيف له أن يعرف النقش فكل من معي لم يستطيعوا حتى الاقتراب من حل لغز واحد فيه ويأتي هذا الشاب بكل بساطه وغرور يسألنى عنه مُدعيًا أنه على علمٍ به، يتوجب أن اجتهد في بحثى أيضًا عنه، ليُغلق الدكتور حامد عينيه ويمدد جسده مفكرًا فى كل تلك الأمور الغير مفهومة.

***

القمر في السماء ناصع البياض يرتسم نوره الخافت على قطعة أرض خضراء للحشائش التي غمرتها وعليها يقبع ثلاثة رجال، إثنان منهم يرتدون الجلباب والآخر يرتدي بنطالًا وقميصًا لتغلب عليه طبيعة أهل المدن، يحملون البنادق وبجانبهم إبريق من الشاى يغلي على قطع من الفحم ورائحته تفوح في الأفق.

- الجو النهاردة جميل يا سالم تعالوا ننزلوا الترعة هبابه ومحدش هيعرف.

- أيوه يا سالم تعالى نسمعوا كلام حافظ و ننزلوا الترعه مفيش حد تلاجيه صاحى أصلًا نخافوا منيه.

- مش عايز أسمع كلام كتير محدش هيتحرك من هنا، تصدر تلك الكلمات الحازمة من شاب يبدو أنه لم يتجاوز الثلاثين بعد، قصير القامة يمتلك شارباً غليظًا أسفله لحية ضخمة سوداء ناصعة، يضع على عينيه نظارة سوداء فى الليل دون سبب يُذكَر.

- إيه رأيك في زرعنا يا سالم والبلد طالما مهننزلوش الترعه نتكلموا شوية ولا ممنوع كمان.

- لا مش ممنوع البلد جميلة وهادية وناسها طيبين بس ساذجين زيكم إنتو الإثنين كده بالظبط.

- ربنا يسامحك و إنت هتشتغل إيه فى مصر على كده.

- ميخصكمش، يا ريت نركز فى المر اقبة أحسن من الكلام الفاضي ده.

- واه، انت هتفكرني بمر اتي طول اليوم تمسك فسيرة الناس مع حريم البلد ولما أجي أتكلم أنا تنام، بس إيه المقبرة اللي فى نص الزرع دي أول مره أسمع عن مقابر بيلاجوها فالزرع.

- شششش إنتو سامعين صوت غريب.

- صوت إيه يبوى لا مش سامع.

- اسكتوا إنتو الإثنين خلوني أركز، صوت صفير ذاك أم ماذا أو أنه صوت نعل وهو يحف في الأرض لا لا هذا ليس صوت إنسان يتحرك بل إنه صوت!! ينتقل سالم من محادثة نفسه إلى الذعر المصحوب بالصراخ في الرجلين الذين معه قائلًا:

- هاتوا العيدان ويلا بسرعة هننزل المقبرة.

- هننزلوا دلوجتى ليه! حصل حاجه؟

- أنا قلت يلا هننزل مش عايز نقاش، يحضر الرجلان العيدان مسرعين وهم لا يفهمون أى شيء ثم يقوم سالم بإزاحة حصير قد فرشوه على الأرض ويشرع الرجلان في الحفر سويًا للأسفل حتى يظهر باب من الخشب أسفله درج عتيق تتقارب درجاته من بعضها البعض مما يجعل نزوله مليء بالمخاطر حيث يبلغ عدد تلك الدرجات ما يقارب الخمسين درجة ليهبط الثلاثة رجال فى حذرٍ شديد و ذهن سالم به بالكثير من الأفكار وقد جعل نفسه أخر شخص من بينهم نزولًا.

- إحنا نازلين ليه بليل كده المقبرة انت سمعت صوت جواها؟

- انزلوا من غير صوت وبصوا تحتكم كويس السلم مش مستوي، يقتربون من نهاية الدرج ليصلوا إلى أرض مسطحة مليئة بالكثير من الجثث العظمية وأجزاء جثث أخرى متناثرة ، تاره تجد جمجمة وتاره تجد ذراعًا أو قفصًا صدريًا لأخرى ثم هذا التابوت ذهبي اللون وقد عفا عليه الزمن فجعله للوهلة الأولى كأنك ترى كومة من الرمال الصفراء يقبع عليه الكثير من خيوط العناكب ثم ذاك الدهليز الضيق الطويل شديد الظلمة والذي به الكثير من قطرات المياه التى لا يعرف أحد للآن من أين تأتي، وعلى جوانبه الخفافيش النائمة التى تنتظر لحظة انقضاضها وصوت العديد من الحشرات الأخرى.

ادينا تحت يا أستاذ سالم فين الصوت ده اللى بتجول عليه؟

- أنا متأكد إني سمعت الصوت جاى من هنا.

- تلاجيها حشرة ولا خفاش جعان أى حاجة يعني يلا بينا نكملوا كلامنا فوق.

- اسكت إنت وهو اسمعوا كده الصوت تانى أهه جاى من هناك من الدهليز.

- بس انت عارف إننا منجدروش نهوبوا نواحيه من ساعة الرجالة اللي دخلت و مرجعتش لحد دلوقتى.

بصوتٍ ساخر يقول الشاب المدني:

- انتو خايفين ولا إيه؟

تظهر العروق على جبين حافظ الذي يقول:

- إحنا مبنخفوش مش ولاد أبو الحاجر يتقلهم يخافوا يلا بينا على جوا يا عبد الجبار.

- هنستفادوا إيه بالدخول بس للدهليز الأسود ده نختصروا الشر ونكملوا كلامنا براه يا إبن عمى.

يزيد سالم في حديثه قائلًا:

- مش بقولك خايفين خلاص اطلعوا انتو و أنا بتاع المدينة هدخل لوحدى يا صعايدة.

هنا ينتفض عبد الجبار ليقول:

- على مهلك يا بيه الصعايدة ميهملوش حد واصل يلا بينا وحملنا على الله.

يدخل الرجال لذلك الدهليز المحاط بالأصوات الغريبة وفي داخل قلوبهم قلقٌ خفي لا يظهروه لبعضهم البعض، يُضاء الدهليز عن طريق عيدان اللهب لتكشف أسراره واحدة تلو الأخرى، في بدايته كتابات قديمة هيروغليفية على الجدران و أيضًا العناكب و الحشرات الزاحفة الأخرى متراصة بجانب بعضه البعض، هنا عنكبوت يقيد صرصور في شباكه وثعبان صغير يأكل عصفور لا يعرفون من أين جاء ذاك الصغير ليصل إلى حتفه ثم يستمر الرجال بالمضى لتتحول الكتابات الغامضة تلك إلى أخرى لا يميزها أحد للوهلة الأولى تظنها كتابات سحر عتيق لكن عينان سالم تلمعان من وراء نظارته السوداء عند رؤيته لتفاصيل ذلك الدهليز الغامض ليقاطع ذلك السكون التام صوت حافظ المزعج قائلًا:

فين يا أستاذ سالم الصوت ده أدينا جوا الممر ومفيش حاجة.

يرد الشاب فى ضيق:

- هنكمل لجوا أكتر أكيد الصوت جاى من هنا أنا متأكد.

بصوتٍ قلق يقول عبد الجبار:

- يا أستاذ سالم المكان ملغم وممكن يطلعلنا حاجه إحنا دخلنا وياك و هنخرجوا يعني هنخرجوا عايز تجعد لوحدك خليك.

- خلاص خلاص يا رجالة يلا بينا نرجع، ليصرخ الرجل الآخر صاحب العمة والجلباب المتهالك قائلًا:

- فيه صوت حد بيتكلم يا رجالة.

- صوت إيه ده!

- والله فيه صوت حتى طقطق ودانك، يركز سالم ليسمع بالفعل صوتًا غريبًا خافتًا يتحدث بلغة أيضًا لا يعرفها فيتملكه الخوف ويصيح فى الرجلين سريعًا:

- يلا بسرعة نتحرك لقدام.

يتحرك الثلاثة رجال مسرعين إلى الأمام ليتعثر أحدهم و يسقط على الأرض فيوجه رفيقانه عيدان اللهب نحوه ويقول حافظ فى خوف:

- د دا ديي جثة، جثث كتيرة على الأرض ليتفحص الثلاثة رجال أجساد الأموات فهؤلاء هم الذين سبقوهم ودخلوا ذلك الدهليز.

يتكلم سالم فى عجلة قائلًا:

- فيه واحد منهم لسا عايش أهه لسا فيه النفس فيهرع إليه يسأله قائلًا:

- إنت كويس؟

على الأرض تتسطح جثة رجل تتغمده قطرات الدماء المكثفة وقد برزت عيناه إلى الأمام وعلى رقبته الكثير من الدوائر الحمراء ليقول بصوتٍ متقطع:

- ما الذي أتى بكم يا حمقى دون المأمو...، ثم ثباااات عميق.

يصيح عبد الجبار قائلًا:

- كمل مجيناش من غير إيه يا عمي انت فوق.

- سيبه يا عبد الجبار خلاص مات يقول هذه الجملة سالم فى أسف، ثم ومجددًا يظهر الصوت الغريب مرة أخرى.

- تردده بيزيد أكتر ملاحظين؟ يقول صاحب النظارات السوداء ذلك فى خوف، يرفع الرجلان بنادقهما فى أن واحد تجاه مصدر الصوت لتخمد النيران فى الحال ويسود الظلام ليجد الرجال الكتابات التى على الجدران تضيء وتصبح بارزة أكثر فأكثر، يصرخ أحدهم قائلًا:

- فيه حاجات بتطير فوقينا دي خفافيش ولا إيه يبوى!

يجري الرجال مهرولين إلى الخارج و عبد الجبار يسب ويقول:

- جولنا مندخلوش جعدت تجوللى صعايدة وخو افين أدينا هنموتوا كلنا، ثم وفي منتصف الطريق تُسمَع صرخة مدوية لأحدهم يتبعها ذلك السكون المرعب، يستمر الأخران في طريقهما وصاحب السباب السابق يستمر فى صياحه:

- والله لو صرخت وعيطت ما واجف انشالله تموتوا كلكم.

ما هيا إلا ثوانٍ معدودة لتُسمَع صرخة أخرى من ذلك الرجل، يُشرِف الدهليز على الانتهاء ليخرج صاحب النظارات السوداء منه باكيًا عليه الكثير من الدماء لا يصدق أنه قد نجا ليسقط فى الحال بجانب جمجمة أحد الملوك أم أحد الخدم وهو يردد ابتعد ابتعد ابتعدددددد.

***

- ألو أيوه يا ندى فينكم؟

- إحنا قدام السينما أهه سعفان معاك.

- اه معايا، إحنا داخلين عليكم.

- طيب تمام خلاص قطعنا التذاكر لينا كلنا.

- يلا بقى يا سعفان بلاش تبقى جبان.

- يا كريم ده فيلم رعب أنا بخاف جدًا من الحاجات دي أرجوك سيبنى أروح.

- أكيد مش هتمشي دلوقتي إحنا خلاص وصلنا.

يذهب سعفان في تردد وخوف ليلتقي بأصدقائه وهم متحمسون لحضور ذلك الفيلم المرعب و هو الجزأ الاخير لسلسلة أمريكية شهيرة ومن بينهم سعيد الذي اندهش سعفان لوجوده لكنه أخفى ذلك داخله.

- يا سعفان لسا خايف؟ رضوى ضاحكة.

- لا لا أبدًا ده بس توتر مش أكتر.

سعفان صامت لا يتفوه بكلمة وهو يتابع الملصقات على الحوائط في الداخل وقلبه يكاد ينبثق منه، يدخل الأصدقاء إلى القاعة المخصصة وبعد دقائق تُطفأ الأنوار ويبدأ العرض، من البداية يظهر أحد السحرة وهو يحضر روح لجسد أُزهقت روحها فتظهر له على هيئة بشعة من الخلف ما يلبث أن يرها سعفان حتى يصرخ وينظر له الجميع ساخرًا فيحبس سعفان أنفاسه ويتدارك نفسه ليُقرر الهلوع إلى الخارج مع تكرار المشاهد المرعبة ويستمر البقية فيما هم فيه غير مبالين بصديقهم الخائف بخلاف أحدهم الذي انسحب في هدوءٍ شديد بعد خروج سعفان بدقائق ،ويذهب ليراه.

سعفان الخائف المحمر وجهه خجلًا اتَّجه صوب الحمام وهو يردد داخل نفسه:

- كل هذا من أجل رضوى، تأتي إلى هنا لتصير مزحة القوم وهي حتى لا تشعر بمشاعري تجاهها، ما شأني بتلك الأفلام البغيضة ، سأجلس هنا حتى نهاية الفيلم عسى أن ينتهي قريبًا، وبينما سعفان غارقًا في تفكيره يسمع صوتًا مكتومًا يقول:

- سعفاااااااا ... يلتفت الشاب للخلف وقلبه يدق بسرعة فلا يجد شيئًا لينظر الى المرآه يُصفر ويُغني ليُمرر الحدث.

- سعفاااا، للمرة الثانية يُعاد الصوت على مسامعه وبصورة أوضح من سابقتها فينطلق صوب الباب فيُصعَق لإيجاده مُغلقًا فيجن جنونه ويحمرَّ وجهه خوفًا ليُحاول كسر الباب بشتى الطرق دون أن يُفلِح ومره واحدة ينقطع النور ليصرخ بشدة ويشعر بتوهج صدره وبحرارة قوية تنبعث منه لا يكاد يُطيقها ومثل سابقتها يُغشَى عليه مُجددًا.

تأتى استراحة منتصف الفيلم وتُضاء الأنوار ليلحظ الجميع اختفاء صديقهم من حولهم فتقول رضوى مسرعة:

- هو سعفان فين؟!

أحمد ضاحكًا:

- اعتقد إنه مات برا.

- سخيف إيه اللي بتقوله ده، تقول ذلك رضوى في سخط.

يتوجه الأصدقاء جميعًا إلى خارج القاعة فلا يجدونه ثم يذهب سعيد بمفرده إلى باب الحمام ليفتحه فيصرخ قائلًا:

- سعفان جوا هنا أه... يتوقف عن الكلام وهو يرقب سعفان الذي يبدو مختلفًا وبداخله العديد من التساؤلات.

- أهه طلع زى القرد ومفيهوش حاجة، يقول ذلك أحمد حانقًا.

- إنت بخير يا سعفان؟ رضوى متسائلة.

يُحرك الشاب رأسه بالنفى ثم يقول في صوتٍ ثابت:

- يلا بينا على القاعة نكمل الفيلم ليتحرك بمفرده وسط دهشة من البقية الذين يتحركون ورائه دون حديث.

يبدأ النصف الثاني من الفيلم وسعفان لا يرمش بل ينظر دون خوف وعلى شفتيه ابتسامة باهتة.

تقول سمر بصوتٍ لا يسمعه أحد:

- أحمد هو سعفان إزاي مش خايف من المشاهد دي حتى كمان تقيلة علينا!

يُحرك أحمد يديه بطريقة تُعبر عن تعجبه للأمر.

ينتهي الفيلم على لقطة دموية مؤسفة ومعه تتلاشى تعابير وجه سعفان المربكة للجميع لينتهي يومٌ آخر على سؤال أصاب كل من حول ذلك الشاب ألا وهو:

" هل هذا صديقنا حقًا أم لا"

***

فى مسجد تابع لقرية بمحافظة المنوفية يصعد شيخ جليل إلى المنبر الذي ومن خلال ملامحه تستطيع أن تشعر بالوقار والهيبة، له جسد ضخم ولحية بيضاء ناصعة، يرتدى جلبابًا له لون الفضة وعمة بيضاء وبإحدى يديه سبحة سوداء جميلة تلفت الأنظار إليها، وبعد أن يتلوا

الأدعية والصلوات على الرسول الكريم يبدأ في سرد خطبة الجمعة وتفاصيلها التى تتكلم عن اجتناب المعاصي وطاعة الوالدين والبعد عمَّا يُصيب النفس بالضرر وما خلافه من أمورٍ شتى والمصلون يستمعون إليه فى انتباه وإجلال من كبيرهم إلى صغيرهم .

خارج المسجد وتحديدًا بجواره على بُعد أمتارٍ قليلة يوجد بيت مكون من طابقين صاحبه الحاج عبد الحميد الصوامعى الذي اشتهر بتجارة الجملة في تلك القرية وهو أب لفتى صغير يُدعى خالد قد ذهب معه الى المسجد وفتاة تُدعى أمنية قاربت على إنهاء الجامعة، فتاة ذات طول متوسط، تمتلك شعرًا أسود اللون ملمسه كالحرير، بيضاء البشرة ولها عيونًا سوداء كظلام الليل، لطالما قال عنها أهل القرية والجامعة أنها مثل فتيات أوروبا ،وترتدي قلادة صغيرة عليها نقش يرمز للحرية وهي الآن جالسة بجانب النافذة تستمع إلى خطبة الشيخ عبد الجليل الأخيرة لأنه سوف ينتقل إلى مسجدٍ آخر في حى من أحياء القاهرة ولطالما قدرت ذلك الشيخ الجليل فهو صديق والدها المقرب وكثيرًا ما كان يأتي إلى منزلهم وقد تناقشت معه في شتى أمور الدين والدنيا وكان خير ناصحًا لها في العديد من الأشياء لكنها قلقة في الوقت الحاضر فهي تواجه أمرًا جديدًا وغريبًا عليها لم تتطرق له قط وتحتاج إلى الشيخ كثيرًا لكن هيهات فوالدها الثانى كما اعتبرته سيرحل اليوم ليقطن في القاهرة تاركًا إيَّاها لشدة الحزن، تُكمِل الفتاة خطبته ثم تذهب إلى الصلاة لتوازي المصلين داخل مسجد النور الذي يأمه الشيخ عبد الجليل وبعد انتهائهم هرع الناس إليه فى عجله مودعينه في حزن وأسى فقد أحبه الناس هنا كثيرًا لصلاح حاله وأمره.

- والله يا شيخ عبد الجليل سنفتقدك ومش عارفين هنعمل إيه من بعدك، يقول ذلك الحاج عبد الحميد فى أسى.

- عسى الله أن يبدلكم خيرًا مني يا حاج عبد الحميد وسنظل على تواصل بإذن الله.

- مفيش حد هييجي زيك يا شيخنا، والنهاردة انت معزوم عندي فالبيت ومفيش مجال للرفض الأمر صُدِر خلاص، وبعد الحاح ينصاع الشيخ لكلام الحاج عبد الحميد الذى اشتهر بين الشباب بالحاج أبو الأوروبية.

***

- يا أمنية تعالي يبنتي ساعديني نخلص الأكل قبل ما والدك ييجى من المسجد.

- حاضر يا ماما هوضب الصالة و جاية.

- طيب بسرعة مش عايزاه يتعصب من التأخير.

- ماشي جيت أهه وعلى فكره بابا عمره ما يتعصب عليكي، أنا اصلًا نفسي أخد شخص يحبنى زى ما بابا بيحبك كده.

- ربنا يكرمك يا حبيبتي بشخص يصونك و يحافظ عليكى. .

داخل منزل آخر ليس ببعيد عن المسجد يوجد بيت الحاج سليمان الجزار الذي نال سيطًا واسعًا بين الأهل والناس لإمتلاكه العديد من محلات القماش و قد امتاز بالأمانة والأسعار المقبولة لجميع الأذواق و له ولدًا وحيدًا يُدعى طاهر الذي وعلى غرار والده حاد عن صفاته و اكتسب أُخرى أساسها الأنانية والكبرحيث لا يرى أى شاب مثله فهو الأغنى بسبب والده وثروته والأجمل أيضًا، تهافتت عليه الفتيات لكنه أحَّب واحدة فقط وهي أمنية، أحبها بشكل لا يصدق يحلم بها و يتمنى لو فقط أن تنظر إليه، أرادها أن تقول نعم وسوف يجعل جميع ممتلكات والده تحت تصرفها ولطالما ذهب العديد من المرات إلى أسفل منزلها ليراقبها إذا

خرجت من النافذة او أطلّت بوجهها الحسن عليه و هو قابع دون حراك وقد نهاه أصدقائه عنها ناصحينه لأنها لا تفكر في الارتباط بأحد إلا بعد دراستها فقد كانت طالبة في كلية الصيدلة، متفوقة في دراستها و ابن الحاج سليمان قد أنهى معهد فنى صناعى منذ ثلاثة أعوام لكنه دائمًا ما يرى نفسه فرصة لأى فتاه لثراء والده الفاحش وقد عرضت عليه العديد و العديد من الفتيات نفسهن ليكونن زوجة له لكنه أبى لولعه بأمنية وقد تسبب لها بالكثير من الإحراج في العديد من المناسبات سواء انتظارها خارج الكلية أو في الشارع و قد أبت أن تخبر والدها لأنه صديق للحاج سليمان.

***

- يا أمي أنا بحبها و عايز أخطبها بأي شكل، أبويا يتصرف ده أغنى واحد فالبلد يعنى إيه مش راضى.

- يا إبني ما أبوك قال إنه الحاج عبد الفتاح قاله إنها مش بتفكر فالموضوع ده إلا بعد متخلص دراستها هيعمل إيه تاني وهما الإثنين أصحاب أُسكت بقى خليني أحضر الأكل ليه.

- أكل ايه بس دلوقتى انتى لازم تقنعيه خليه يضغط عليه أنا بقلك إني عايزها بأى شكل - حاضر هشوف ممكن أعمل إيه وهبقى أكلمه، سيبني بقى لأطلق بسببك.

- يا حبيبتي يا أم طاهر. .

***

- الله الله يا حاجة ما أجمل و أشهى أكلك والله.

- عجبك يا شيخ ؟

- كثيرًا، ما ذقت طعامًا مثله يومًا إلَّا من أيدي زوجتى رحمها الله.

- ربنا يرحمها يا شيخ ويسكنها فسيح جناته.

بصوتٍ حزين تقول أمنية:

- يا شيخ هتسيبني وتمشي خلاص وأشكي لمين أنا دلوقتي وأخد بنصيحة مين غيرك!

- يا بُنيتى ما باليد حيلة لكنني سأكون دائمًا العون لك، معكي رقمي وفى أى وقت تحدثى إلىَّ فأنتي تعلمين أنكِ بمنزلة أولادي الذين لم أنجبهم في حياتى، لتبتسم أمنية وتُستكمل العديد من الأحاديث بين الشيخ والأهل.

- يا حاجة الشاى للشيخ لحد مجبله حاجة من الأوضة فوق.

- حاضر يا حاج.

تستغل أمنيه الفرصة لوجود الشيخ منفردًا وتذهب إليه مسرعة وقبل أن تتحدث، ينظر إليها الشيخ في رفق قائلاً:

- اخبريني ما بك؟ أنا أعرفك جيدًا ويبدو أن هنالك ما يُقلقك.

- بصراحة كده يا شيخ اه فيه حاجه فعلًا قلقاني هو حلم اتكرر معايا كتير عشان كده شوفت إني لازم أقولك عليه.

يبتسم الشيخ ويقول بصوتٍ حنون:

- وبماذا حلمتى؟

- حلمت يا شيخ إني فمكان كده زى ما يكون قصر كبير وفيه ذهب كتير برضو.

- الله أكبر الشيخ مقاطعها.

- وبعد كده فجأه لقيت شاب في سني يمكن أول ما عيني وقعت على عينيه جري بعيد و أنا بتسحب وراه وفجأه القصر اتحول لمقابر مرة أو مرة

تاني لشقة بس ضيقة، أو كمان شارع مظلم وفى كل حلم ألاقيه بيعيط وماسك رقبته دايمًا وألاقي استغفر الله يا شيخ زى ظل جن أنا مبشفهوش بس جوا الحلم عارفة إنه جن.

هنا يبدأ الشيخ بالتركيز والامتعاض مما يسمع قائلًا:

- اكملي اكملي يا أمنية.

- ألاقيه جاى من وراه يا شيخ وأول ما يلمسه يكلمنى يقولي أمنية ويصرخ وأصحى علاطول مفزوعة، إيه ده يا شيخ الحلم اتكرر كتير ومش عارفة أعمل إيه.

- إنه حلم عجيب بحق به الكثير من الظلمة فهذا الفتى في ورطة بالتأكيد أو سليل نفس عفن لا أدري سأسال العديد من الشيوخ أصدقائي عند ذهابي إلى القاهرة وسأوافيكى بالتأويل الدقيق لكن انتظري هل قال أمنية فقط أم شيء آخر؟

- أيوه يا شيخ اه اه افتكرت مره في حلم منهم كان بيقول كلام مش فاهماه زى تعويذة كده بتاعت الأفلام.

هنا برزت عينان الشيخ إلى الأمام ثم بدأ يسبح متعجلًا و قبل أن يتكلم، قاطع الحديث والد أمنية قادمًا من الخارج قائلًا:

- إيه يا شيخنا اوعى تكون أمنية مزهقاك.

- هاه لا لا أيها الرجل الطيب فتلك فتاة خصبة كوالدها.

بعد الانتهاء من الشاى يودع الشيخ الحاج عبد الحميد وأسرته الشيخ ليُغادر وهو ينظر إلى أمنية المبتسمة له ويقول بداخله:

" أنتي في خطر حقيقي " ليرحل وعلى وجهه علامات القلق.

***

داخل المقبرة التي شهدة أحداثًا مأساوية يقبع جسد سالم على الأرض وها هو يتأوه مستيقظًا ليقول:

- إيه اللي حصل، رأسي كأنها هتنفجر ومره واحدة يصرخ حيث أنه تذكر ما حدث له و لمن كان معه، يتفحص جسده خشية أن يكون هنالك جرح قاتل حتى يقع نظره على جملة قد كُتِبَت بالدماء أسفله يراها ويقف سريعًا كالمجنون، يتسمر في مكانه ثم يستمر بالركض على الدرجات متخذًا طريقه إلى الأعلى ليرى نور الشمس وهو لا يصدق أنه ما زال على قيد الحياة بعد كل ما حدث، يقوم بإغلاق الباب في عجله و إزاحة الرمال على تلك البقعة كي تعود إلى سابق عهدها ثم يخرج هاتفه ليجده محطمًا، يتخذ طريقًا إلى كشك صغير على مقربةٍ منه.

- لو سمحت عايز أعمل مكالمة فيه أى تليفون هنا.

- لا يا بيه مفيش و الله.

- طيب حتى تليفونك انت وهديك في الدقيقة عشرة جنية.

يفكر الرجل صاحب الكشك قليلًا ثم يُخرِج هاتفه و يُعطيه له.

بعد لحظات و بصوتٍ خافت دون أن يسمعه صاحب الكشك يقول سالم:

- ألو ألو أيوه يا أفندم أنا سالم.

- إحنا نزلنا فعلًا والرجالة كلها ماتت، مش هقدر أشرح أنا بكلمك من عند كشك جمب الأرض .. أيوه النضارة معايا و لسا سليمة .. حاضر هاجي في أسرع وقت بس كان فيه جملة غريبة على الأرض شايف إنك لازم تعرفها بسرعة .. خلاص حاضر لما أجي يا باشا ، ماشى سلام .

***

مرَّ يومان على تلك الو اقعة و الأمور تسير كالمعتاد، في منزل فاخر الأثاث منظم للوهلة الأولى تعتقد أنك فى قصر لتدرك بعد ذلك أنها شقة عريقة فقط، بها غرفتان أحدهما كبيرة و الأخرى أقل منها حجمًا ثم ذلك الدهليز الذي يوصلك إلى باب بداخله شخص يدندن بالأغانى القديمة أثناء تساقط المياه عليه لكن دعنا اولًا نرى ما الذي يوجد خارج ذلك الباب، منضدة باهظة الثمن عليها مجموعة من التحف ورائها مكتب صغير أمامه كرسى ذهبى وعليه بعض الصور لشخصٍ ما في العديد من المناطق التي وبالأحرى أغلبها يحتاج إلى نقود كثيره للذهاب إليها ثم هذه الصورة الممزقة والتي يوجد بها طفل في العاشرة إنها صورة سعفان وهو صغير!

يختفي صوت الشخص الذي بالداخل فعلى ما يبدو أنه أنهى وقته وها هو الباب يُفتح و صوت يقول.

- مفيش أحسن من دش سخن كده في البرد ده يخللى الواحد جعان كمان ليتجه ذلك الشخص نحو المكتب الصغير يبحث عن ورقة لمطعم أو ما شابه فتقع عينيه على صورة سعفان الممزقة لينسى شعوره بالجوع ويتحدث إلى نفسه قائلًا:

" سعفان المسكين، أسبوعان قد مروا الآن وما زالت أحلامك تزداد شيئًا فشيئًا ولحظك التعس تقع مع أناس أخرين يريدون أذيتك بعيدين كل البعد عن أصل مشكلتك أشفق عليك كثيرًا لكنني لا استطيع فعل شيء حيال ذلك في الوقت الحالي فلم يحن بعد أوان تدخلي ولم تأتني الأوامر من العظيم، أقر أيضًا أنني خائفٌ منك وأخشى من الجنون الذى وحتمًا ستصل إليه مع استمرار أحلامك تلك غير قادر على تحديد هويتك بعد ثم أيضًا دكتور حامد الذى يبحث فى أمورٍ عفا عليها الزمن وبتلك الطريقة سيقترب من حقائق لا ينبغي أن تُكشَف الآن أو يعرف أحد سر

الماضي وعلاقته بنا اليوم، هل حان أوان التخلص منه، الوقت يمر ولا أوامر لي بفعل شيء خلال الأيام القادمة التي وبالتأكيد ستكون مظلمة "

يترك المتحدث الصورة على المكتب ليذهب بعيدًا عبر الدهليز إلى أحد الغرفتين قائلًا:

- الثلاثة شموس قد عبرت الثلاثة شموس قد عبرت.

***

ثلاثة شموس والمحيط المظلم، البرد القارس وتلك التماثيل، سعفان يرى نفسه مجددًا داخل تلك الأحلام يشعر أنه يحلم وعلى أرض الو اقع في نفس الوقت، يكاد وهو يقول:

- انا عايز أصحى المكان ده بيرعبني بقالي لحد دلوقتي شهرين بحلم نفس الأحلام دي و أجبر نفسى إنى أصحى، حينها يتذكر كلام طبيبه النفسي الذي جلبته رضوى له،

" يا سعفان طيب ليه طالما حلم بيتكرر زي مبتقول متمشيش فيه وتشوف عقلك الباطن هيوديك لحد فين، ومتقلقش ده حلم مهما كان فى الأخر بس ممكن تكتشف شيء مش عارف توصله في الحقيقة "

كلمات الطبيب التي تذكرها شجعته على المُضى قدمًا وهو يُردد قائلًا:

- ده حلم أكيد مش هيحصل فيه حاجة.

يمشي في طريقٍ مظلم لكنه كلَّما تقدم يُضاء له فيرى ما أمامه وهولا يعرف كيف يستطيع محادثة نفسه داخلم حلم وتذكر ما يُقال له في إنه أمر غريبٌ حقًا لكنه يُكمِل طريقه وسط التماثيل المرعبة، ينظر يمينًا ويسارًا فيرى تماثيل ضخمة من الجان تاره أو تمثال مشوه تارةً أخرى ذو عين واحدة وآخرين من الأقزام، يستمر سعفان في التقدم إلى الأمام

بحركاتٍ بطيئة بفعل الخوف ليجد حافة الطريق الذي قارب على نهايته وأمامه تمثال لرجل، يقترب سعفان منه بحذرٍ شديد يُحاول أن يدقق النظر إليه فيشعر ب ظل خفي من ورائه يلتف سريعًا فلا يرى أحدًا، يتحسس نبضات قلبه الزائدة ويُكرر محاولته مرة أخرى للكشف عمَّا يوجد أمامه ليسمع صوتًا أجش يقول له:

- ابتعد.

ينظر إلى الأمام لا يوجد إلا ذلك التمثال الذي يُقرب نظره منه أكثر فأكثر ليتصنم سعفان مكانه لمعرفته هذا الوجه المنحوت وهو لا يتوقع وجود شخص مثله هنا تتسع عيناه ويتعرق بشدة ليقول:

- هذا الوجه ليس بغريب عني إنى أعرفه إنه، إنـه، وقبل أن ينطق يرى عينين التمثال تنظر إليه في غضب ومره واحدة تتحرك يد التمثال لتُمسِك برقبته فيصرخ سعفان الذي تبرز عيناه ويشعر بخروج روحه منه ليستيقظ على الفور بوجهٍ محاطٍ بالعرق ينظر الى الأسفل ليقول:

- نا فاكر كل حاجه فاكر إني مشيت جوا الحلم وسط التماثيل لحد موصلت لأخره وشوفت الوجه المنقوش لشخص أنا عارفه ده أكيد يبقى، يعقد لسان سعفان عن الحديث وعقله عن التفكير ثم يقول منزعجًا:

- أنا مش قادر افتكره إزاى! أنا شوفته وكلمته ومتذكر كل تفصيلة في الحلم حتى مسكته ليا وصراخي، عقلي ليه بيخوني في أهم لحظة ممكن تخلصني من كل اللي بيحصللي هنا!

***

تحت أسوار كلية الصيدلة، جامعة المنوفية تجلس أمنية رفقة صديقاتها بعدما أنهوا دوامهم الدراسي الشاق.

- أمنية انتي فهمتي حاجه من محاضرة الصناعية النهارده أنا مكنتش فاهمه أى حاجه من الدكتور اللي جايبنهولنا يشرح بعد موصل السبعين.

ترد أمنية ضاحكة:

- طول عمرك كده يا سلمى، أيوه فهمتها وهشرحهالك خلاص بلاش نقاش كل مرة ده.

- هو أنا معرفش أضحك عليكي أبدًا لتقاطعهما ميرنا قائلة:

- سيبكم بس من المحاضرات والكلام عنها قوليلي يا أمنية أخبار طاهر إيه صحيح لسا بيعمل حركاته دي عشان تكلميه.

بصوتٍ حانق ترد قائلة:

- بس بس سيبك من السيرة دي ده كرهني فى عيشتي، شخص عايش على فلوس والده و فاكر إني كل البنات هتتغر في جماله.

- انتي شخص نحس يا ريته كان بيحبني أنا كنت و افقت علاطول، تقول ذلك سلمى ساخرة.

تصرخ ميرنا في وجه الجميع قائلة:

- طاهر هناك أهه جاى علينا.

تنظر أمنية إلى الفتى الذي يتقدم نحوها بخطى ثابتة تعلو وجهه ابتسامة عريضة ليقول:

- احم احم، دكتوره أمنية عاملة إيه؟ أنا كنت في مشوار قريب من هنا وفكرت أجي أوصلك.

- نعم!! توصلني إزاى أكيد مينفعش أنا معرفكش ولا انت قريبي وبعدين صاحباتي معايا. - أنا بس قولت إني والدي ووالدك أصدقاء فده يسمحلي إنى أعمل كده.

- لا طبعًا مش معنى إنهم أصدقاء إننا زيهم من فضلك امشي لتُقاطعها سلمى قائلة:

- لو سمحت اتفضل انت مسمعتهاش ويا ريت متتكلمش تاني إحنا مش فاضيين للكلام ده.

يحمر وجه طاهر خجلًا، ودون أن يتحدث يجد نفسه مغادرًا ومن ورائه الفتيات يضحكون وهن يشعرون بنشوة الانتصار والغرور في آنٍ واحد.

- ظبطتك أهه هاه هتشرحيلي المحاضرة ولا أناديه؟

- كل المحاضرات تحت أمرك.

***

يذهب طاهر إلى سيارته المتواجدة خارج الجامعة حيث يوجد داخلها صديقه عصام منتظرًا إيَّاه والذي يقول بمُجرد رؤيته:

- طمني عملت إيه؟

- أُسكت يا عصام أنا هتصرف معاها الغبية دي.

- حصل إيه طيب؟

- مش مهم دلوقتي حصل إيه، معاك رقم الشيخة انتصار؟

- نعم الشيخة انتصار! ليه انت هتعملها عمل؟

- أمنية لازم تقع في حبي بأي طريقة.

- بلاش يا طاهر الشيخة انتصار بتاعت عفاريت وقادره دي مشهورة في البلد كلها وسكتها خطر اللي بيدخلها مبيعرفش يخرج منها.

- اخلص هات الرقم يا عصام أحسن ما أجيبه من شخص غيرك وسعتها هتخسرني.

- حاضر خده أهه يا طاهر و افتكر إني حذرتك .

فى نفس الوقت كانت تهم أمنية وصديقاتها للمغادرة.

- ميرنا هتعملي إيه النهارده؟

- النهارده مش فاضية خالص يا سلمى أخويا وعيلته جايين البيت وهنقعد اليوم كله.

- و انتي يا أمنية؟

- لا أنا فاضية المفروض ورايا مذاكرة بس طبعًا المذاكرة بالنسبالك يعنى فاضية.

- تمام يبقى النهارده تيجى عندى نتفرج على فيلم ونعمل فشار زى بتاع السينما بالظبط. - طيب بس ميكونش رومانسي زي الأفلام بتاعتك دي.

- لا لا ده أكشن على دراما بعيد عن أى رومانسية خالص.

تمشي الصديقات الثلاثة ومرة واحدة تُمسِك أمنية رأسها حينما تقع نظراتها على إمرأه تجاوزت الأربعين من العمر تحمل كيسًا من الخضراوات وهي تُحدث شخصًا ما على الهاتف.

- اااه صداع .

- أمنية حصل إيه؟ سلمى متسائلة في قلق.

- مش عارفة بس الست دي عندي شعور كبير إنها في خطر لازم أحذرها بسرعة منه.

- نعم نحذرها إيه بس يا أمنية انتي متخيلة هنروح نقولها إيه اصلًا ده أكيد توهم منك بس ما الحاجة أهه كويسة.

- لا يا ميرنا أنا الشعورده عارفاه كويس يلا بسرعة بس.

وبينما تتجادل الصديقات تأتي سيارة مسرعة لتخترق الطريق، وفجأه تنفجر إطاراتها لتُحدِث صوتًا شنيعًا كصوت انفجار قنبلة، يُصعَق الناس للحدث وتتوالى الصرخات وهي تنعطف عن مسارها وتتوجه صوب تلك السيدة حاملة الخضراوات التي اكتفت فقط بالصراخ ليقع كيسها على الأرض والهاتف أيضًا وفي داخله صوت يقول:

- ألو ألو سميحه ردي ألو ألووو.

***

- يلا يا سعيد نجيب عصير من هناك.

- يا سعفان أنا معرفش انت جايبنا لحد رمسيس عشان نروح شارع كلوت بيه عشان تشرب عصير وبعدين إيه كلوت بيه دي عرفت الشوارع دي منين!

- امشي يا دكتور هنروح نجيب ونتحرك علاطول وعد إن شاء الله.

" الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلَّا الله.."

- أهه العشاء أذن خلاص تعالى نصلي في جامع الفتح هنا وبعدها نجيب العصير.

- ماشي يا أستاذ يلا بينا .

- السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمة الله.

تنتهي الصلاة ليجلس الصديقان يُسبحان ويتلون الأدعية.

- الشيخ ده صوته جميل يا سعفان.

- أيوه والله كنت حاسس بخشوع ودي من المرات القليله اللي أبقى كده.

- طبعا ما انت بتصلي وعينك مع كل واحد بيتحرك، الشيخ هيلقي خطبه قصيرة أهه تعالى نستمعله.

شيخ يرتدي جلبابًا أبيض اللون وعلى وجهه يرتسم الورع والتقوى ومتى نظرت إليه نسيت هموم الدنيا وما فيها لتغوص في بحر الدين الذي لا أخر له وقد أُطلِق عليه لقب " الشيخ الواعظ "

- إخوتي في الإيمان بعد الصلاة والسلام على رسول الله موضوعنا اليوم عن السحر،، هنا تلمع عينان سعفان لما يُعانيه تلك الأيام.

- إنَّ السحر مكيدة تجعل من يستخدمها يتوهم في نفسه قوة تفوق الجميع وفي حقيقة الأمر ما هو إلَّا شخصٌ ضعيفٌ سلَّم روحه النقية لعالم الجان وغيرهم من المخلوقات تفعل بها ما تشاء، قد يبدو لنا أنَّهم كائنات قوية لا عزم لنا عليها ولكن كل ذلك هراء فهم إخوتي الطرف الأضعف في تلك المعادلة الصعبة ومتى استعنت عليهم بالله وقرآنه سلمت وآمنت. ليتناول الشيخ بعض الآيات الخاصة بنبي الله سليمان وأحاديث الرسول ﷺ و في نهاية الخطبة وكعادته ذكر أن باب النقاش معه مفتوح حول موضوع اليوم لينصح من يريد النصح ويُثبت من لزمه ذلك وبسبب تلك المُعاملة أُطلق عليه لقب " الشيخ الواعظ ".

بعد أن انتهى ذهب إليه العديد من الناس فمنهم من يعاني السحر بشكلٍ مباشر أو متعلقاته ومنهم من يستفسر عن الأعمال وكيفية بطلانها.

- بقولك إيه يا سعيد أنا هروح للشيخ أسأله عن حالتي.

- تسأله عن إيه يا إبني هتقوله بحلم حلم وبيتكرر!

- أيوه تعالى بس نروحله.

- طيب يلا بينا.

- بعد أن انتهى أخر المتحدثين إلى الشيخ الواعظ لاحظ الشيخ سعفان وقال:

- تقدم يا بُنى.

- توجه سعفان نحوه وسعيد ورائه ليقول:

- السلام عليكم يا شيخ ١١.

بصوتٍ لين يقول الشيخ:

- محمود الشيخ محمود يا بُنى وعليكم السلام تفضل.

- احم، تمام يا شيخ لو سمحت أنا شاب مسلم ملتزم في الفروض الحمد لله عمري متوجهت للسحر أو عالم العفاريت لأني أصلًا بخاف جدًا من الحاجات دي بس من فترة كده بدأت أحلم أحلام غريبة عن الجن ومن سعتها مش مفارقاني.

- خيرًا لا تقلق أخبرني أولًا بماذا حلمت؟

سرد سعفان أحلامه إلى الشيخ والذي برزَعلى وجهه الضيق ليقول:

- هذه الأحلام ليست بمحل صدفة، أظن أنه شيء تعرضت له قديمًا أو قمت به وبدأ يُلاحقك الآن.

هنا نظر سعيد إلى سعفان متعجبًا ليقول:

- انت عملت حاجه زمان ومش قايلنا عليها؟

يرد سعفان خائفًا:

- لا والله يا شيخ أنا بأكدلك إني فعلًا بخاف جدًا من الحاجات دي وعمري ما قربت ناحيتها ده أنا لو اتفرجت على فيلم رعب ممكن يغمى عليا حتى اسأل سعيد.

يومأ سعيد برأسه دليلًا على مو افقته.

- يا بُنى أنا أصدقك لكن تلك الأحلام كما ذكرت ليست بمحض صدفة أو كابوس عابر، حسنًا إذًا عليك بالرقية الشرعية وسأعطيك بعض الآيات ترددها قبل النوم و بعد الاستيقاظ ولا حاجه لذكر وجوب قراءة الأذكار.

- حاضر وشكرًا ليك، اه اه صح يا شيخ أخر مره حلمت الأحلام دي كانت غريبة شوية لقيت نفسي ماشي جواه وتمثال حد أعرفه كان في أخر الطريق وعايز يموتني جوا الحلم. يتوقف الشيخ عن الكلام، يُفكر ثم ينظر إلى باب المسجد يتفحصه أو يترقب ما يوجد خارجه ليقول:

- هل تذكر وجه ذلك التمثال؟

- لا أنا فاكر كل حاجه يا شيخ مريت بيها إلا وشه معرفش ليه عشان كده مرضتش أحكيه لحد ليقولوا عليا مجنون.

- افعل ما أخبرتك به وعليك أن تحذر فذلك التمثال هو دلالة على أن شخص ممَّن حولك هو السبب وراء ما يحدث لك وتذكرك له هو مفتاحك للخلاص ربما.

هنا يُصِيب سعفان داء الشك في كل من حوله ويشعر بالوحدة المطلقة فتلك الكلمات جعلت من أمره أكثر صعوبة لكن سرعان ما يقول الشيخ لطمأنته:

- كلامي هذا لا يعنى أن تشك في أصدقائك ومعارفك لكنه فقط لتحذيرك، أنت فتى مؤمن ويجب عليك أن تتخذ درب الله فقط وهو ناصرك.

يشكر سعفان وسعيد الشيخ ويذهبان إلى الخارج وفى داخلهما اضطرابات فكرية لا يذكرها أحد للآخر لدرجة أنهما قد نسيا العصير وودعا بعضهما البعض ليذهب كلٌ منهم إلى بيته على الفور.

***

على كُرسيه وأمام منضدته يُحدث دكتور حامد نفسه مُجددًا كعادة كل يوم بعد توليه قضية الوشم.

" أيُعقَل يا حامد أن تكون عبقري الآثار والأبحاث ووشم مثل ذلك يُجلسك أمامه طيلة تلك المدة دون اكتشاف يرتاح عقلك له "

يُمسِك صورة وورقتين إحداهما تحوي كلمات متفرقة والأخرى عليها رسومات منظمة، ليضع الواحدة فوق الأخرى حتى تتراكم الأوراق على المنضدة واليأس هو رفيقه إلى أن اضطرب فجأة وهو يقرأ محتوى جديد ليقول:

- إزاى مخدتش بالي من المعلومات دي قبل كده!

يُفتش متعجلًا بين الأوراق حتى يعثر على صورة أخرى للوشم ثم يحضر قلمًا للتدوين وأمامه بحث قد نُشِرَ قديمًا يرجع تاريخه إلى ما قبل ثلاثين عامًا، يُخرِج مخطوطة قديمة لعصر " أمريس " وبعد خمس ساعات من العمل المتواصل والكتابات المترجمة والتي أتت من تحويل الكلمات القديمة إلى لغة مقاربة تُشكل جملًا صحيحة ليأتي دور إبرازها إلى العربية يتبعها بعمل المقارنات واستخدام بعض الشيفرات ومعاني الكلمات المتغيرة ليضع الاحتمالات في أوراق متفرقة ويخرج بالأصح منها أو بالأحرى التي تُعطيه جمل متزنة، عمل شاق بحق يحتاج إلى عزم وفضول للكشف عن ذلك الغموض وبالفعل انتهى منه ومعه تسارعت نبضات قلبه لقربه من الحقيقة ليقول:

- جه دلوقتي وقت الكشف عن ألغاز الوشم وكشف غموضه.

يبدأ في القراءة بتمهل وينتهي على وقوفه عاقدًا لجبينه، فاقدًا لاتزانه وهو يقول:

- مستحيل!!

***

صوت دقات باب تطرق.

- أهلًا يا أمنية عامله إيه؟

- الحمد لله يا طنط سلمى موجودة؟

- اه يا حبيبتي اتفضلي جوا هي في أوضتها.

- انتي يا بنتي مش عارفه إني جايه مفتحتيش ليه؟

مشغولة يا أمنية بظبط سيرفر كويس للفيلم اقعدي بس خلاص أهه هخلص عشان نتفرج عليه.

-ماشى وفين الفشار؟

- على الكرسى هناك.

تطفأ سلمى الأنوار ويبدأ الفيلم ومع مرور النصف ساعة الأولى وسلمى متحمسة تجلس أمنية في عالمٍ آخر يبدو على وجهها القلق لتقول:

- سلمى انا عايزة أصارحك بحاجة.

سلمى غير منتبهة تقول:

- طيب يخلص الفيلم وصارحيني.

- يا سلمى عايزة أقولك حاجة مهمة ركزي معايا.

هنا توقف سلمى الفيلم و تتحول الحماسة التى بداخلها إلى قلق قائلة:

- طيب اهدي، قولي فى إيه؟

- فاكره الست اللي ماتت النهارده؟

- اه طبعًا فاكره كانت حادثة صعبة الكاوتش بتاع العربية عمل صوت انفجار لوحده.

- تمام وفاكره لما قولتلك إحنا لازم نحذرها قبل الحادثة بثو اني.

- أكيد، هو انتي زعلانة عشان كده دي أقدار يبنتي ومهما عملتي كان هيحصلها كده.

- لا لا أنا عايزه أقولك إني دي مش أول مره.

- نعم!!

- يعني من و أنا صغيرة بشعر بكده مرة حسيت إني والدي هيحصله حاجه وفعلًا تعب بعدها بكام يوم ودخل العمليات لولا ستر ربنا كان جراله حاجه ومره إني عم مرزوق البقال اللي تحتنا إنه في كرب و فعلًا طلع إبنه اتوفى لما اتولد ده حتى في الحيو انات و حاجات كتير تاني.

- هو فعلًا كل ده غريب بس أكيد يعني دي صدف ممكن متحطيش الكلام ده فدماغك يا أمنية فيه عقل باطن ممكن يكون سبب ده ومتهتميش زى ما أنا مش مهتمه.

- طيب ماشى بس أنا حاسه دلوقتي إني والدتك مش كويسة.

هنا تصيح سلمى قائلة:

-لاااااا، أمى.

تهب مفزوعة إلى الخارج لتراها لكنها تلحظ أمنية و هي تضحك قائله:

- فعلًا مش مهتمه.

بعد وصل من السباب والضرب تُكمِل الصديقتان الفيلم وفي داخل أمنية يزداد الشك حول طبيعتها وما يحدث معها.

***

سعفان الآن في غرفته مستلقٍ على الفراش يطل منه إلى النافذة حيث ينظر للسماء مفكرًا في كلام الشيخ له ويبدأ فى تحليله مُحدثًا نفسه:

" نعم يا سعفان يبدو كلام الشيخ منطقي جدًا فكيف لكل هذا أن يحدث لك دون غيرك بالفعل أغلب الظن أنه شخص ممَّن يحيطون بك من يفعل كل تلك الأمور الشنيعة فقط لو يستطيع عقلي تذكر وجه التمثال أوحتى صوته، أظن أنه يجب أن أُحلل الأمور واستنتج من يكون فهل هو كريم؟ لالا كريم صديق عمري منذ طفولتي فإن كان هو لفعل ذلك منذ زمن و أيضًا هو سندي دائمًا بالتأكيد ليس هو، سعيد إذًا لكن نادرًا ما أقابله كما أن معرفتنا له كانت صدفة ليس شيئًا مرتبًا ولا يجمعني به أى شيء خاص، هل هو أحمد؟ نعم هو من أشد الأشخاص كرهًا لي لكنه طيب أنا متأكد من ذلك، ندى ربما لا لا تلك فتاة تعيش في عالمها الخاص شديدة الغرور لا تهتم بي من الأساس، رضو.. مستحيل لن أفكر فيها أصلًا رضوى تلك الشخص الذي يشبه الملائكة لا يمكن أن تكون هي ثم أنها الشخص الوحيد الذي أحببته فمن إذًا يا الله أرجوك ساعدنى فأنا في كربٍ شديد، نعم تذكرت لماذا لا يكون دكتور حامد فهو الذي تنطبق عليه جميع المواصفات والشك يُسايرني تجاهه منذ أن التقيت به ذلك اليوم، هنا يقاطع تفكير سعفان صوت غريب يسمعه ليهب مندفعًا من على فراشه ليسمع همسًا يخترق أذنيه يقول له:

- أين أنت؟

هنا ينتفض جسد سعفان بشدة ينظر أمامه فلا يرى شيئًا كالمعتاد فيلتف بالغطاء وهو يسمع تكرار الصوت متذكرًا أحد افلام الرعب التي شاهدها مع أصدقائه حيث كان الشبح ينتظر ضحيته أسفل الفراش، يتحرك سعفان وهو يكتم فمه حتى لا يصرخ و ينظر فى الأسفل فلا يرى غير صناديق تخزين الطعام ليصعد فى ارتياح مؤقت ينظر فوقه ليرى قزم على هيئة مُقززه فيصرخ خائفًا وهو مغمض العينين ليفتحهما بعد لحظات فلا يجده، يبحث عنه كالمجنون دون جدوى ويبدأ في الانهيار ساقطًا على الأرض بعد أن سمع جملة تهمس في أذنيه قائلة:

- لا تخف فأنت نسلي.

***

- انتظر هنا حتى نخبر الشيخة انتصار عن قدومك.

- حاضر، يقول ذلك طاهر مرتابًا.

إنه الآن في مكانٍ مهجور مظلم داخل قريته به الكثير من الأضواء العجيبة وبعض الجماجم التى توجد على عيدان من الخشب ثم تلك الأرضية المليئة بالرمال الحمراء والتي تُهيأ لك أنها رمال قد سُكِبَت عليها الدماء و أيضًا يوجد أناس كثيره تأتي إلى ذلك المكان الموحش طالبة العون من الشيخة إنتصار كما يقولون متناسيين أن العون من الله وحده.

- يلا ادخل والدفع دلوقتي.

- حاضر كام المبلغ؟

- متين وخمسين جنيه.

- اتفضل.

- تمام ادخل الشيخة في انتظارك.

يدخل طاهر إلى ممرٍ ضيق على حوائطه عُلقت التماثيل كرأس ذئب وغيرها من الحيوانات الضاريه ليصل إلى غرفة مليئة بالنقوش يتوسطها منضدة دائرية عليها ورق مثل الكوتشينة لكنه أكبر منه في الحجم بالضعف ربما وبه أشكال غريبة، بخور اتصاعد والذي يظهر من خلفه رأس سيدة عجوز ترى ذلك في وجهها المُرصع بالتجاعيد وشعرها الأبيض البارز ولا تستطيع على الأغلب رؤية لون عينيها من ضيقهما ثم تقاسيم الوجه الذي ما تلبث أن تراه حتى تشعر بالذعر.

- م ممم مساء الخير يا أستاذة، تنظر له الشيخة انتصار غاضبة ليتراجع طاهر خطوتين إلى الوراء قائلًا في خوف:

- آسف يا شيخة انتصار، مساء الخير.

تُشير له بالجلوس دون أن تتكلم ليجلس الفتى في الحال.

- ما هي مشكلتك؟

- حا حاضر يا شيخه أنا ب... وقبل أن يُكمِل تُقاطعه قائلة:

- نعم، تُحب فتاة إسمها أمنية في كلية الصيدلة لا ترضى بك وتتهرب منك دائمًا كما حدث معك البارحة على ما أظن وذلك ما دفعك للمجيء إلى هنا بغية الانتقام أم الحب هذا ما ستقوله لي الآن.

تصنَّم طاهر في مجلسه وعقله لا يستطيع أن يُباشر في تجميع ما قامت به هذه السيدة وكيف لها معرفة كل ذلك في غضون دقائق ليستجمع قواه ويقول:

- جيت عشان تخليها تحبني.

- بشكلٍ عام، الحب والأمور العاطفية ليست بالأمر الجلل، حلها عندي وسوف تنتظر ليوم غد من أجل أن تنول مرادك لتأتي إلىَّ هنا في نفس الميعاد.

- بجد طيب مش هتحتاجي قطرها أو أى حاجه منها أنا ممكن اتصرف.

- اعطنيى عنوان منزلها فقط.

يُعطي طاهر العنوان للعجوز ثم يستأذن للخروج، يُغادر وهو سعيد متحمس ليوم غد حتى ينول مُراده أخيرًا.

***

- ألو، أيوه يا أحمد عامل إيه؟

- الحمد لله تمام يا ندى أخبارك إنتي؟

- الحمد لله بتتصل ليه متأخر كده!

- لا لا أبدًا عايز أسألك عن حاجه حصلت.

- اتفضل.

- انتي أخر الفيلم في السينما اديتي إيه لسعفان؟

- نعم هو انت شوفتنا إمتى وإزاى؟! أنا حتى ادتهاله من غير ما أى شخص ياخد باله.

- انتي عارفاني ملاحظتي قوية.

- تمام و انت متصل متأخر كده عشان حاجه زي دي، فاكرنى بحبه مثلًا ومهتم!

- أبدًا هو فضول مش أكتر.

- طيب يا أحمد كنت بديله سلسلة، هديه يعنى عشان الفترة الصعبة اللي هو كان فيها. - غريبة إنك تدي لسعفان سلسلة ده إنتي أكتر واحده بتتريقي عليه بعدي.

- معلش يا أحمد هو الموضوع شاغل بالك أوي كده ليه ده شيء يخصنى أنا.

- اه يخصك فعلًا، تمام أسيبك أنا دلوقتي، سلام.

تُغلِق ندى وبداخلها يزداد الشك ويتوغل في نفسها أكثر وأكثر متذكره حديثها إلى رضوى حدسها يصدق مجددًا.

على الجانب الأخر يُغلِق أحمد السماعة ويجلس مفكرًا ثم يطفأ الأنوار ويُمدد جسده على الفراش وبينما هو في مدخل نومه إذ به يسمع صوتًا يتحدث داخل غرفته التي لا يوجد أحد بها غيره فيقوم قلقًا يبحث عن مصدره ليسمعه مجددًا ولكن هذه المرة بصورة أوضح لأذنه التي ترجمته إلى، أحمد.

ازداد الأمر ليتحول من صوت إلى شعورٍ بحركة أحدهم خلفه فيلتف مسرعًا ليجد أمامه شخصًا غير متوقع، يتسمر موضعه دون حراك وهو يقول:

- دكتووورحاااامد!!

***

بعد اجتياز الحرس المتراص بكثافة يدخل صاحب النظارات السوداء فيلا باهظة الثمن تستطيع رؤيتها على الطريق من على بُعد مئات المترات، يعبر ممرًا طويلًا ليجد أمامه صالة ذات حجم كبير بها آثاثٌ أنيق، يتخذ الدرج بعد ذلك ليصل إلى الطابق الثاني حيث توجد الغرفة المُراده والتي بعد أن يدخلها يُغلِق الباب سريعًا ورائه ثم يقول:

- نظمي باشا مش مصدق إني لسا عايش وشايف حضرتك دلوقتي، وبينما يُحيى سالم الباشا يسمع خُطى أقدام قادمًا من خلفه ليقف في اعتدال عند رؤيته للشخص القابع بالخلف.

- اجلس يا سالم تصدر تلك العبارة من نظمي.

- سالم قبل ما أخد منك النضارة عايزك توصفلي كل حاجة حصلت تحت بالتفصيل و متنساش أي حاجه.

- حاضر يا باشا إحنا أول منزلنا وعندك طبعًا صور الجزأ المربع اللي فيه التابوت و الجماجم، دخلنا علاطول للممر والدنيا كانت سواد وعن طريق النار شوفنا حشرات و خفافيش وكتابات غريبة معاها رسومات أغرب وكله متسجل على النضارة بجهاز الكاميرا اللي ثبتناه فيها بعد كده يا باشا لقينا جثث الناس اللي دخلت زمان كلها جوا و كان شخص منهم عايش مقدرناش نعرف كان عايز يقول إيه قبل ما يموت بس واضح إنه كان عارف شيء مهم، بعد كده سمعنا صوت مرعب ومشوفتش حاجه تاني غير اللي معايا بيصرخوا و أنا بجري وبعد كده حصل اللي حصل زى مقولتلك في التليفون.

- تمام، هات النضارة وروح انت وفلوسك هتوصلك النهاردة.

- أمرك يا باشا.

- استنى صحيح، إيه الجملة اللي اتكتبت على الأرض.

- لما صحيت على الأرض لقيت جملة مكتوبة بالدم فالأول افتكرته دمي أنا بس الحمد لله طلع دم تانى.

- اخلص يا سالم وقول الجملة كانت إيه؟

- الجملة كانت كده بالظبط يا باشا،

" إذا لم تعد بالمأمون فمصيرك كمصير من سبقوك "

يأخذ نظمي باشا النظارة السوداء من سالم وعلى وجهه العديد من التساؤلات المصحوبة بالقلق، ونفس الحال عند الشخص الذي بالجوار، يُغادر سالم الغرفة ويبدأ نظمي فيما سيفعله، وقد كان رجلًا ثريًا فطنًا يتضح ذلك من بدلته الأنيقة و شاربه المرتب خفيف الشعر لونه أبيض يميل إلى الفضة ذو أنف مدببة و عينان تلحظ من خلالهما دهاء رجل عجوز مر بالكثير من المو اقف والأخطار.

يُشير الآن إلى الشخص المجاور له في الغرفة ليجلس بجانبه أثناء تشغيل الفيديو المُسجل بالكاميرا، بعد أن جهَّز المعدات اللازمة لذلك وشاشة لاب توب، بدأ المقطع منذ لحظة وصول سالم والآخرين إلى المقبرة حتى دخولهم إلى الدهليز المظلم لتبدأ الإضاءة الليلية الخاصة بالكاميرا في العمل، يومأ الشخص المجاور للباشا برأسه له لكى ينظر جيدًا إلى الكتابات المحفورة على الجدران ثم جاءت لحظة الحسم إنهم يرون ما مشاهد الصرخات والهروب، لتخرج صيحة مدوية من نظمي قائلًا:

- الغبي بيجرى و اتجاه الكاميرا بعيد عن اللي بيهددهم وكده مش هنشوف إيه اللي بيحصل للي معاه ورا.

يأمر الشخص المجهول نظمي بأن يُرجِع الفيديو بضع ثوانٍ إلى الوراء لكى يوقفه في وقت يُشير إليه وعندها ترتجف أطراف نظمي وهو يقول:

- إيه الكائن ده! جن أم أكثر ليُكمِلا بقية المقطع مذعورين وبعد انتهائه يقول نظمي:

- عندك حق إحنا لازم نجيب الولد سعفان ده إذًا كنا عايزين نتخطى الممرده و انت أكثر شخص على معرفة بيه.

***

يستيقظ سعفان المُغشى عليه وهو يتذكر كل ما حدث، يتفحص جسده هل هو على قيد الحياة أم أنه قد رحل ليقف ثم يستلقي على فراشه يحاول عقله أن يُدرِك ما الذي حدث وعقله لا يستطيع أن يُفكر وكأن حياته قد توقفت عند تلك اللحظة ومرة واحدة يرن هاتفه ليُخرجه من كل تلك الأفكار التي تُحاصره، ينظر إليه فيرى إسم رضوى يعلوه، يداه ترتجف وهو يتذكر كلام الشيخ الواعظ له عن وجود شخصٍ ما حوله يفعل كل ذلك به يُريد وموته بعد إلقائه في بئر الجنون، يستجمع سعفان قواه ويُقرر أنه قد حان وقت كشف كل شيء ليبدأ في محاولة معرفة من ذلك المجنون الذي يعبث بالجان كأنهم قطع من الشطرنج ليؤذيه بتلك الطريقة الموحشة.

يخرج من غرفته ليلقى والدته وأخته وهما يأكلان سويًا فيجلس معهما يُشاركهما الطعام ومع الوقت يُهاجم عقله ذكرى مضت عليها سنوات ولا يعرف لماذا تأتيه الآن ربما للجملة الأخيرة التي سمعها قبل أن يُغشَى عليه ليقول:

- ماما عايزك ثو اني لوحدنا.

تنصاع الأم لكلام ابنها ويذهبان سويًا إلى غرفتها لتقول:

- خير يا سعفان لوحدنا أهه قلقتني.

- ماما هو بابا عايش؟ تُصعَق الأم لذلك السؤال الصادم لتقول:

- انت إزاى تسأل سؤال زى ده!

- من غير متتعصبي يا ماما كل اللي أعرفه إنه كان مسافر وفي يوم جيتى قولتيلي إنه مات في الخليج و إننا مش هنعرف نشوف جثته كمان عشان اتحرق في المصنع اللي كان شغال فيه.

- أيوة ده اللي حصل.

- يا ماما صارحيني بابا عايش ولا لا عشان أنا حياتي في خطر وهو الوحيد اللي ممكن يكون عارف بيحصلي إيه.

تُصعَق الأم لما سمعت وتقول:

- خطر إيه يا إبني اللي بتتكلم عنه؟

- أنا بس عايز أعرف إذا كان عايش أو لا؟

- سعفان قولتلك والدك مات واليوم اللي حصل فيه كده اتَّصل بيا قبلها و اتكلمنا تقريبًا ساعة كان فرحان أوي إنه مستقر في الشغل وقريب هنبقى أغنياء أخيرًا بعد كفاح بعدها قفل و قللي وراه شغل في المصنع هيخلصه ويتصل بليل سبته وقعدت منتظرة اتصاله متصلش قلقت تاني يوم صحيت الصبح على اتصال من رقم سعودي غريب قلت أكيد هو لقيت شخص بيكلمني بلهجة عربية يُعزيني ويُبلغني بالخبر إني المصنع حصل فيه حريق بسبب خطأ أفراد ووالدك راح ضحيته، ارتحت يا سعفان فكرتني بالماضي اللي جاهدت أنساه، لتجهش الأم بالبكاء فيُعاتب سعفان نفسه ويلوم جنونه ذاك راجيًا من والدته مسامحته، يقوم بمداعبتها بشتى الطرق حتى تعود لسابق عهدها ثم يذهب إلى غرفته وهو فى حالة هيستيرية يكتب جميع الأسماء التي تعامل معها ومن بينهم دكتور حامد الذي يُبصِر بكل شيء فهو صاحب الوشم ومن يعرف ماهيته لكنه حاليًا لا يذهب إلى الجامعة ولا أحد يعرف أين هو لذا وجب العثور عليه مهما كلَّف الثمن.

***

الساعة الآن الحادية عشر ليلًا، تُنهِى الشيخة انتصار كل أعمالها وحيدة لم يتبقى لها إلَّا ذلك الفتى العاشق تقوم بإعداد ما يلزم لتبدأ في مراسمها أولًا سوف تستخدم أحد خدمها في تعقب تلك الفتاة ثم ستنشر أوراقها على المنضدة فكل ورقة تُمثل نوعًا من طائفة داخل عالم الجان

ولكى يتم الإحضار عليها أن تقدم قربانًا أو تتلوا الصلوات العشر متناسية الدين وأحكام الله، فقد اجتازت كل الحدود جاعلة من نفسها صاحبة قوة معتقدة أنها ملكة تحكم سيطرتها على العديد من العشائر ولا يستطيع أحد أن يعصيها.

تُطفأ الأنوار فيما عدا نور أحمر باهت وأمامها صولجان عليه قطرات من دمائها تحضر عليها عزيمة التعقب لتقوم بتلاوتها وتعتدل في جلستها لتسطع عيناها وهي تقول:

- الآن أناديك الآن أتلوا صلاتي عليك يا سانوخ يا بن ابليس المبجل ادعوك أن تحضر و أقسم عليك بالعشر سامون وإخوته عاهود وأربطته ناهوت وأزواجه إلى هذا العهد نصل و على هذا العهد تفعل، احضر معى في ظلك يُباح الأمر.

ما هي إلا لحظات حتى اهتزت الغرفة بأكملها لقدوم بن إبليس المتعقب، بطشه شديد و فتَّاك ليس من أقوى أولاده لكنه ملك على قبائل شتى، تجلس العجوز انتصار منتظرة مجيئه لتشعر بأن هنالك يد خفية تمتد إليها فتقول في توسل:

- ليس الآن يا ابن العظيم فقط مهمة واحدة بعدها سأكون ملكًا لك.

- يبدو أن لغتك العربية قد تحسنت يا إمرأة.

- بسبب معاشرتي لكم فقط والتكلم معكم صرت لا اتحدث إلَّا بها تقول ذلك متباهية ثم تذكر له إسم الفتاة وعنوان منزلها لتختفي الريح وتعود الغرفة إلى ثباتها مرة أخرى.

أمنيه جالسة في غرفتها تستعد للنوم تقرأ أولًا شطرًا من رواية رومانسية تُخفِيها عن الجميع حتى لا يعرف أحد ولعها بتلك الأمور، وبعدها تُطفأ الأنوار لتغط في النوم، الجو هادىء ومستقر لا يُعكره إلا ريح مفاجئة تأتي من نافذة غرفتها مُعلنة بذلك عن وصول المتعقب الذي يبحث عنها في الأرجاء سائلًا عُمَّار المكان المُتراصين في كل جوف ليصل في الأخير إليها ، يجدها نائمة وعلى وجهها الارتياح وفي نفس الوقت يستقبل الآن عقل العجوز ومضات ما يحدث، تفتح عينيها مرة واحدة قائلة:

- جيد إنَّها في غرفتها نائمة وعلى ما يبدو تحلم بشيءٍ ما، تُرسِل بعد ذلك المتقصي، الجان المسؤول عن اختراق الأحلام ثم تنشر أوراقها لتقلب إحداها على رسمة قلب أحمر يخترقه سهم عليه تعزيمة ورموز تتوسطها.

أمام أمنية الآن جان آخر بصفات قادرة على تعقب روحها التائهة والتوغل عن طريقها إليها، يبدأ المتقصي فى التحليق بخط موازي لما تركته الروح من آثر إلى أن يجدها هائمة ويحتك بها حتى يتم اختراقه بالفعل وها هو يبدأ،

قبل دخوله يرى أنَّها تحلم بشخصٍ ما يُمسِك يديها ويتجول بها في بستان أخضر تتخلله أشجار ونخيل وطريق يرتسم لهما يتخذانه سويًا ويبدو أن تلك اللحظة هي الأنسب لاقتحام ذلك الحلم وتحويل ذلك الشاب إلى طاهر لكى يتحقق المراد فيُظهِر المتقصي أذرعه السبعة ويبدأ في الولوج إلى عقلها رويدًا رويدًا كُلَّما مس روحها وبالفعل يتشنج جسدها في الواقع وعقلها يضطرب لتبدأ تفاصيل جديدة في الظهور، ترتسم صورة من بجانبها إلى طاهر، الشعر والوجه بكامل تفاصيله ويزداد مع ذلك قبضة المتقصي على الروح لأنها وبُمجرد حدوث تلك التعديلات ستُحاول الرجوع إلى الجسد مرة أُخرى وبينما هو في ذلك الصراع يُصعَق

بأمرٍ آخر لم يقم له موضعًا، من بجانبها يُقاوم التحول إلى وجه طاهر بل إنه يراه ويقوم بردعه عن إكمال ما يفعل كأنه روح أُخرى تُشارك داخل ذلك القتال، لا يُصدق المتقصي ما يحدث ويُحاول فعل ما جاء له مُجددًا دون جدوى كأنَّما وُجِدَ حاجزٌ صلب يحول بينه وبين غايته وعلى الفور يبعث المتقصي ومضاته إلى العجوز انتصار التي تجلس سويًا مع سانوخ لتتوقف عن العبث معه مرة واحدة قائلة:

- كيف لا تستطيع أن تفعل ما أمرتك به هل تعصي أمري، لا يوجد شيء قادر على أن يصدك عن فعل تلك الأمور فهل صرت عجوزًا أم فقدت قوتك!

- لا أدري، هنالك حاجز يحول بيني وبينها.

- حاجز! هذا غريب كيف لفتاة مثلها أن تمتلكه لدرجة أن يمنعك من إكمال مهمتك.

مضى الوقت وما زالت انتصار مُصره على إتمام الأمر رغم تحذيرات المتقصي لها من تكرار محاولاته حتى توقف تمامًا عن التحدث معها وسط قلقٍ منها فانتظار أى إشاراتٍ منه حتى اختفى تمامًا لتقول مُحدثة سانوخ:

- يجب أن تذهب إليه وترى ما حدث.

بالانتقال الشبيه بالآني وصل سانوخ إلى بيت أمنية ليرى ما الخطب وبمجرد وصوله يشتم رائحة منفرة لا يُميزها في البداية ليتجمد مكانه وهو يُدرِك عِظَم الوقع ويُبصِر ما لم يتوقعه ليعود إلى العجوز مرة أخرى قائلًا:

- لقد انتهى أمره.

بصوتٍ مضطرب تقول انتصار:

- ما الذي تقصده!

- زعزوع حُرِقَ بكامل هيأته.

- كيف حدث ذلك، هذه كارثة.

- ليست هذه هي المشكلة الحقيقية إنَّما شعوري لطاقة تُحيط بالغرفة لا عهد لي بها فإلى من تعود!

- سانوخ يتحتم علينا معرفة من فعل ذلك بأي ثمن وإن كانت أمنية هذه السبب فسنقضي عليها.

***

أمام مسجد الفتح يقف سعفان متأهبًا للدخول حتى يلقى الشيخ الواعظ مرةً أخرى فهو الآن تائه لا يعرف من أين يبدأ وكيف يسير وقد بدأ الشك يُداهمه من كل صوبٍ وحدب إلى أن طال جميع من حوله وتلك الأحداث المضطربه التي تعرَّض لها خلقت منه شخصًا آخر لا يعرفه وعساه أن يجد ضالته هنا، يدخل المسجد ليجد الشيخ جالسًا في حلقة يسأله الناس عن مصابهم كالمعتاد، ينتظر سعفان إلى أن يفرغ ثم يتقدم إليه قائلًا:

- السلام عليكم يا شيخ محمود.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، تفضل.

- لسا فاكرني يا شيخ، أنا سعفان اللي كلمتك عن موضوع السحر والأحلام.

- نعم تذكرتك، لعلك بخير هذه الأيام.

يرد سعفان على الشيخ ليستطرد في الحديث شارحًا له كل ما مرَّ به منذ لحظة انصرافه عنه فيزداد تعجب الشيخ لحاله ويُقرر مساعدته بطريقة أُخرى قائلًا:

- سعفان أنت تحتاج إلى رجل على دراية كاملة بتلك الأمور، شيخ أعلم مني بذلك النطاق وأنا عندي لك الحل بعد يومين سيأتى إلى ذلك المسجد شيخٌ جديد بعدما كان مقررًا له مسجدًا آخر تبدلت الأمور فجأة وسيحل محلي هنا، بدا القلق واضحًا على وجه سعفان عند سماعه لتلك الجُمل ثم يُكمِل الشيخ قائلًا:

- لا تخف فعلى حسب ما عرفته عنه يمتلك هذا الشيخ معرفة كبيرة بكل شيء وبالتأكيد ستكون منهم ضالتك وسأُوصيه عليك، أعدك بذلك.

- - شكرًا يا شيخ محمود أنا مش عارف إزاى هقدر أرد معروفك ده ومساعدتك ليا.

- لا تشكرني يا سعفان فقط تمسك بالأمل يا بُنى وبعون الله وحده سوف تخرج من ذلك الكرب.

- بإذن الله ليستأذن سعفان من الشيخ وقبل أن يخرج يسمع الشيخ يقول له مازحًا:

- وحتى لا ترتبك أمامه مثلما حدث معي، الشيخ الجديد إسمه عبد الجليل.

***

داخل ذلك المكان الموحش يدخل طاهر إلى بيت الساحرة العجوز فقد حان ميعاد تأكيد مطلبه ووقوع أمنية في عشقه ليقول مرتقبًا:

- شيخة انتصار حلتيلي الموضوع.

- لا ليس بعد.

- إزاي! مش ميعادنا النهاردة؟

- نصيحة مني لك ابتعد عن تلك الفتاة إنها خطره.

- أا ايه ابتعد إزاى يعني ده أنا دافعلك فلوس كتير عشان تقوليلي كده، انتي نصابة.

تكتفي العجوز بنظراتها الموحشة لطاهر الذي ارتجف جسده لتخرج المبلغ الذى دفعه وترميه له على الأرض قائلة:

- والآن اغرب عن وجهي حتى لا تموت هنا.

يتوجه طاهر إلى الخارج مسرعًا من الخوف والعجوز خلفه يعتليها القهر لسماع هذه الكلمات المُهينة لها بسبب فتاة صغيرة لم تستطع فعل ما أرادت معها.

***

على الجانب الآخر من القرية، أمنية فى المنزل قد أنهت ما عليها من محاضرات ثم تنزل إلى الأسفل لتناول العشاء وبعد أحاديث مُطوله مع عائلتها تذهب إلى غرفتها تجهز أمتعتها ليوم غد لتستقر في الأخير على الفراش وتُحدث نفسها كعادة كل يوم:

" يا له من حلم جميل البارحة كم وددت ألَّا استيقظ منه أبدًا فقط لو أعرف من هو ذلك الشخص الذي يظهر في أحلامى مرارًا وتكرارًا بهذه الشاكلة والأحلام السعيد منها والسيء، عجيب أمر هذه الدنيا فمهما سعيت داخلها ستُصيبك كل يوم بسهامٍ جديدة لا يستطيع عقلك أن يُدرك جهتها "

تُغلِق أمنية أضواء الغرفة وتذهب للنوم بعد يومٍ شاق لتدخل مرة أخرى في حلمٍ جديد، على أرض ترابية في ساحة كبيرة الحجم تقف أمنية وأمامها ثلاثة أبواب بجانبها فتاها الغامض الذي تحلم به ولا تعرف غير شكله فقط، تُنادي عليه ولا يسمعها فقط يستمر في طريقه وهي تلحق به، يتقدمان نحو ثلاثة أبواب وعليهم اختيار بابًا واحدًا منهم للمرور، تقف في حيرة هل تختار الأيمن أم الأوسط أم الأيسر لتُقرر داخلها أن تختار الأوسط لكنها تجد الشخص المجاور لها يتقدم نحو الأيسر مسرعًا ليفتحه، تشعر هنا بشعورٍ سيء مثل نظيره مع السيدة التي صدمتها السيارة سابقًا لتقول فى صوتٍ يشوبه القلق:

- لا اوعى تفتح الباب ده، أرجوك متفتحهوش، لكن دون جدوى كأن الشاب يأبى أن يستمع لها وبالفعل يفتح الباب الأيسر وهي تجري نحوه وقبل أن تصل إليه ترى سحابةً سوداء تلتف حوله فيخرج منها رجلًا يرتدي ملابس تُعطِيك فكرة أنه ساحرٌ مظلم ليغرز خنجرًا في عنق الشاب وهي تصرخ فيُقفل الباب لتجد نفسها مستيقظة وعلى عينيها قد تراكمت الدموع.

***

نعود مجددًا لتلك المقبرة اللعينة والتي يبدو أن هنالك اهتزاز مفاجيء يجدث داخلها وأصوات كثيرة مدوية تجعل أى شخص قريب منها يسمعها وقد يكتشف مكانها وفي نفس الوقت يجلس سالم في بيته مع امرأته وأطفاله يُشاهدون أحد الأفلام على التلفاز. - بابا هو البطل ده حقيقى؟

- لا يا حبيبتي مش حقيقى ده فيلم خيالي بس.

- يعني مفيش شخص بيطير كده.

- اه طبعًا مفيش حد بيطير زى الفيلم كده إلَّا بابا طبعًا.

- وماما برضو يا سالم ولا إيه.

- طبعًا طبعًا يا حياتي أومال هطير أنا لوحدي زى ما قالت ماما كده يا ملك هي كمان بتطير، وسط سطوة الأم يُكمِل الجميع مشاهدة الفيلم ليسمع سالم صوتًا غريبًا قادمًا من غرفة نومه فيترك أطفاله وزوجته متوجهًا ناحية الغرفة فيُنير المصباح لكنه لا يرى شيئًا يُذكر غير أن النافذة مفتوحة فقط يذهب إليها ليُغلقها ثم يعود أدراجه إلى الخارج وقبل أن يخرج يُقفَل الباب ولا يدري سالم لما أصابه القلق من هذا الأمر الذي ربما يكون عاديًا بفعل الهواء، يتمالك أعصابه ويُحاول فتحه دون جدوى كأنه موصدٌ من الخارج، يصيح لكى يفتح له أحد فلا يُسمَع أو يُرد عليه لينفجر المصباح بعد ذلك ويعم الظلام الغرفة وسط ذعر من سالم يلحظ ظل يحوم حوله أو ربما يتوهم ذلك لكن ما لا يتوهمه هو ازدياد كثافة الهواء حوله وذلك الثِقل الذي يعصف بجسده بجانب الطنين الذي يخترق وهنا يشعر كأنه رجع إلى ذلك الدهليز المخيف في تلك المقبرة فيقع على الأرض متذكرًا ما مرَّ به فالداخل قبل أن يُغشَى عليه ليُصاب بالجنون لسماع نفس الهمسات التي أحاطت به قُبيل فقدانه الوعي بلحظات.

على الجانب الأخر فى المقبرة يمر رجلان بالقرب منها ليسمع أحدهم صوتًا قادمًا من جهتها ليقول:

- اسمع كده يا جوده مسمعش صوت غريب نواحي الزرع اللى جمبينا دي.

- أيوه والله سامع صوت تعالى نشوفوا إيه ده!

يقتربان من مكان المقبرة الغير مؤمنه بعد منذ أخر حادث قد صار بها وهي ما زالت تهتز بشدة، نرجع مرة أخرى إلى سالم الذي فقد عقله وصار يتوهم أشياءًا لا تحدث وأُخرى يلتمسها بالفعل والظلال مُحيطة به من

كل ناحية حينها يُصب اليأس عقله قبل قلبه ويُقرر دون تردد أن يقوم بإلقاء نفسه من النافذة حتى يتخلص من كل شيء وبحركته المتجهة إلى النافذة تشعر وكأنَّما هنالك صوتًا يُحركه من الداخل ويعتقد أنه سيُسحَب إلى عالم الجان لكى يُعذب هناك وخلال ذلك يتذكر زوجته وأطفاله الصغار إنه يسمع صوت فتاته وهي تسأل والدتها عنه إنها تريده ليجهش بالبكاء لكنه ومع استمرار شعوره المثقل وقرب سحبه إلى عالمٍ موازي، يقفز من النافذة أخيرًا ليسقط قتيلًا في الحال، ومع قرب الرجلين من المقبرة يتوقف الصوت فجأة فيُصابان بالذعر ويتفقان في الأخير أنه ربما لم يكن هنالك صوت من الأساس وما سمعوه هو مجرد أثار الجوزة المخلوطة بالحشيش التي شربوها تاركين كنز المقبرة أسفلهما تمامًا.

***

عند محطة شبرا اجتمع سعفان مع أحمد بعدما وردته مكالمة هاتفية منه بضرورة القدوم إلى تلك المنطقة وبعد وصوله ورؤيته يقول:

- إيه يا ابني جايبنى المشوار ده كله ليه؟ لو عشان تعزمني على أكل تصالحني بيه يبقى يا ريت.

- بوجهٍ عابس يرد أحمد قائلًا:

- سعفان فيه حاجه هقلهالك بس لازم تتمالك أعصابك.

يتغيروجه سعفان وينظر إلى صديقه متعجبًا والذي يُكمِل قائلًا:

- سعفان والدك لسا عايش.

يتجمد سعفان مكانه لا يدري هل ما سمعه صحيح أم أنَّها مُجرد خيالات عابرة كالتي يمر بها في الآونة الأخيرة ليقول بصوتٍ متردد:

- والدى عا عايش! انت بتقول إيه وعرفت إزاى؟ دي أكيد لعبة جديدة من بتوعك بس أؤكدلك إنها ساذجة أوي.

- سعفان أنا عارف إنك مش بتحبني و إني كتير اتريقت عليك وعلى رغم إني اللي بقولهولك صدمة مش قليلة بس دي الحقيقة أما إزاى دي مش وقتها المهم نلحقه لأنه ممكن يمشي في أى لحظة.

- أنا مش مصدقك ومستحيل تكون صادق.

- والله ما بكدب أنا هحكيلك كل حاجه بس يلا نلحقه دلوقتي بسرعة الوقت مش في صالحنا صدقني.

هنا تعبث أفكار سعفان الجنونية مرة أخرى برأسه هل أحمد هو من وراء كل هذا؟ هل هو من أوصله لتلك الحالة؟ للحظة ما فكَّر أن يقتله الآن ويُنهِي كل ذلك العذاب لكنه تراجع عن فكرته تلك فقصة أن والده ما زال حيًا لا يُصدقها عقل وعلى رغم ذلك شعر هو أيضًا بذلك فهل يُعقَل! ليُقرر فالأخير أن يذهب مع أحمد المتعجل وبعد السير خلفه لوقتٍ مديد ها هما قد شارفا على الوصول بعد أن توغلا في العديد من الأزقة، يذهب أحمد إلى أحد المحلات المجاورة للسؤال عن ما وُصِفَ له ثم يأمر سعفان باتباعه مجددًا ليتوقف في الأخير عند بيتٍ قديم مكون من طابق واحد فقط، ينظر سعفان إلى البيت ثم ينظر إلى أحمد قائلًا:

- والدي قاعد هنا؟

- أيوه يا سعفان المفروض إن شاء الله إنه هنا.

- يعنى إيه المفروض دي! هو هنا ولا لا يا أحمد؟

- يا سعفان هنا، اهدى بقى وقلل عصبيتك دى، يصمت سعفان و الخوف يملأه متسائلًا داخله،

" هل وراء ذلك الباب أبي حقًا؟ هل هو من يكمن بجسده فالداخل؟ أيُعقَل أن أقابله الآن؟ وبينما هو غارقٌ في أفكاره يسمع صوت أحمد وهو يقول له:

- لازم نخبط على الباب، انت مستعد؟

يومأ سعفان برأسه و يدق أحمد على الباب والصديقان ينظران إلى بعضهما فى حذرٍ شديد ...

***

داخل صرح عظيم شاهق الارتفاع به الكثير من النو افذ الزجاجية والعديد من الكتب و الوثائق، صورة دائرية كبيرة في المنتصف كُتِبَ عليها إسم محمد صلى الله عليه و سلم بزخرفة لا نظير لها أسفلها مختلف أنواع الطلبة الذين يلبسون جلباب و على رؤسهم العمم أو ما شابه ذلك يجلسون على المصاطب الخشبية القديمة المرتفعة قليلًا عن الأرض وحولهم على الحو ائط كتابات تنم عن سمة العصر وتمكن اللغة العربية به، يقف أمام الطلبة عددًا من الشيوخ ذو اللحى البيضاء الناصعة والقدر الذي يتضح على وجوه الجميع تجاههم، نحن الآن تحديدًا في عام 1623م تحت ولاية العهد العثماني لمصر.

- يا شيخ حسن هل جائتك أخبار القصر؟

- لا يا مراد بك إن الأمور ما زالت متعثرة، الحرب تقف على فتيل الاشتعال، فالجنود العثمانيين يرفضون تولي على الشيشنجى باشا مقاليد الحكم و يريدون عوده قره مصطفى باشا مهما كانت التضحيات لندعو الله فقط أن تثبت البلاد و تستقر ليحفظ الله مصر ويولي من يُصلِح.

- لا أرى خيرًا في ذلك أيها الشيخ فهؤلاء الطلبة هنا يدرسون و يوثقون التاريخ و نحن فى غرار الحروب والفتنة، يجب عليكم أنتم أهل العلم أن تتخذوا موقفًا أيها الشيخ الفاضل.

وقبل أن يرد الشيخ يُقاطع الحديث فتى في السابعة عشر من عمره، ضعيف البنية، قصير الطول وشاحب اللون له عينان بارزتان عن وجهه إتَّسم بأنه قليل الكلام و أيضًا الجد في دراسته فعلى رغم صغر سنه إلَّا أنه قد فاق العديد ممَّن هم أكبر منه.

- شيخ حسن إذا سمحت، هل لي أن أحدثك حول موضوع قد شغلنى أثناء بحثي بالمكتبة؟

- بالتأكيد يا قُصى، حسنًا لنُكمِل حديثنا في وقتٍ لاحق يا مراد بك فالعلم لا ينتهي هنا و مع ابتسامة من الجانبين يودع الشيخ الرجل ويذهب مع طالبه إلى أحد المقاعد الخشبية المجاورة ليقول:

- ما الذي أردت أن تسألني عنه لدرجة أنك قاطعتني بتلك الطريقة؟

- لقد كنت أبحث في مملكة سُليمان عليه السلام وكيف حكم الأرض مسيطرًا على الجان والريح ثم تطرقت للملك النمرود وقصته مع إبليس ومختلف الكتب الأخرى مثل شمس المعارف لإبن البوني، أبحث في لغات السحر وطرق القراءة وغيرها من الأمور الهامة والتاريخية حينها لمعت عينان الشيخ الناظر له في اهتمامٍ ملحوظ ليقول:

- يبدو لي أنك تعمقت كثيرًا و إنني لأُثنِي عليك حب إطلَّاعك لكنني أوصيك أن تقف حيثما وصلت فتلك الأمور يا بُنى لا تأتي إلا بالشقاء الذي لن تتحمله ولا أظن أن معلمًا هنا قد أمرك بذلك البحث فوالله لو حدث هذا لعقابه شديد عندي.

- لا لا يا شيخنا لم يأمرني أحد بذلك بل هو اجتهاد شخصي مني، حينها توقف الفتى برهه ثم قال فى صوتٍ رقيق وعلى وجهه الترقب:

- أيها الشيخ لقد علمت أنك الأكثر معرفة هنا والأجدر خبرة بتلك الأمورولم آتي إليك لأحدثك عمَّا ذكرته إنَّما أردت معرفة شيءٍ واحدٍ فقط منك.

يتعجب الشيخ لنبرة تلميذه ليقول:

- حسنًا قل ماذا تريد؟ أنا أحبك يا قُصى وتعجبني همتك لذا لن أتردد في مساعدتك بما أعلمه.

- ماذا تعرف عن صفقة فاوست؟

يتسمر الشيخ في مكانه بمجرد سماع سؤال الفتى وتتسع عيناه فجأة ليقول بصوتٍ خافت تتخلله لعثمة طارئة على الشيخ:

- من أين لك أن تعرف هذا الإسم ومن أخبرك بتلك الصفقة؟!

- لم يُخبرني أحد ولا أعرف أى شيء فقط من خلال بحثي المطول وجدت ذلك العنوان مخبأ في أحد الكتب وقد قمت بالبحث عنه مُطولًا دون جدوى ثم استنتجت أن هنالك لفافة مفقودة تتحدث عن الصفقة وصدقًا أيها الشيخ أعي تمامًا أنك أنت من أخفيتها ولا تقلق لم أخبر أحدًا بعد.

كلمات قُصى الحارقة أصابت الشيخ في مقتل واهتزت يداه لذلك لكنه سُرعان ما تدارك الأمر ليقول بصوتٍ ثابت:

- هل تُهددني أيُها الصغير؟ هل تُهدد كبير الشيوخ و أنت لم تبلغ بعد.

- حاشا لله، أنا لا أهددك أنا فقط أخبرك.

يسكت الشيخ مُفكرًا ثم يبتسم و يقول:

- هل تريد حقًا معرفة تلك الصفقة؟ أتُريد أن تكون خليفتي يا صغير؟

- نعم أريد.

- حسنًا يومان من الآن لا تأتي فيهما إلى هنا وفي اليوم الثالث اذهب إلى منزل قرقان بن الفحام على الجانب الآخر من النهر وحينها ستجد ما يسرك لكن اعلم أنك بدأت أمرًا يتعدى تلك الصفقة بكثير وما هي إلَّا بداية حدث قديم في الماضي لا يعلم عنه أحدٌ شيئًا.

يهز الفتى رأسه في تعجب ثم يقول:

- موعدنا إذًا بعد ثلاثة أيام.

***

أمام باب المنزل يقف سعفان بجوار أحمد يترقبان ما سيحدث ليمر الوقت دون تغير يُذكَر فلا أحد يرد من الداخل أو يفتح ليزداد القلق أكثر فأكثر حتى يُخرجهما من أفكارهما صوت رجل بالجوار يقول:

- انتوا مين؟

- ها هاه إحنا كُنَّا جايين نشوف،

- متتعبوش نفسكم الأستاذ سيد السنباطي مش موجود، بمجرد أن يسمع سعفان إسم والده تزداد ضربات قلبه حده فكيف يكون والده على قيد الحياة طيلة تلك المدة ليعود إلى الواقع منتبهًا أن الرجل قد أخبر أحمد أن أستاذ سيد يأتى إلى منزله بعد منتصف الليل فيشكران الرجل ويذهبان سويًا.

- إيه رأيك يا سعفان مش قولتلك والدك عايش أهه الإسم أكيد قلل شكوكك في كلامي طبعًا.

- أنا مش مصدق يا أحمد حاسس إني بحلم أكيد فيه حاجه غلط بس مش هتأكد برضو غير لما أشوفه بنفسي، انت عارف يعني إيه عايش

سنين إني والدك متوفي وفجأه يطلع عايش مستحيل شخص عاقل يصدق الكلام ده.

- تعالى طيب نقعد في القهوة دى منها بتطل على البيت علاطول ومنها نشرب كوبايتين شاى.

- لا أنا عايز سحلب.

- فعلًا حبك للسحلب بقى شيء مريب جدًا بالنسبالي هو عم شوقى السبب اللي حببك فيه ماشى يلا بينا يا سعفان، يجلس الصديقان على أحد الأماكن المواجهة للمنزل ليأتي لهما العامل قائلًا:

- اؤمروا يا أساتذة.

- كوباية شاى لو سمحت وواحدة شيشة تفاح وواحد سحلب.

- سحلب وشاى وواحدة شيشة حر اقة فواكه هنا بسرعة.

- اااااخ يا أحمد رجلي مش شايلانى حاسس إني اتشليت ومش قادر أتحرك كل ما أفكر بس إني ممكن أشوف والدي، انت تعرف إنه سافر و أنا عندي أربع سنين وحتى لما رجع قعد كام شهر و سافر تاني أنا معرفش شكله غير من الصور اللي مع ماما وكمان ده شكله و هو شاب وصور قديمة يعنى ممكن أشوفه النهاردة معرفهوش.

- بإذن الله تشوفه و يرجع البيت وتشبع منه.

- بس هو ليه مجاش على البيت وسابنا فاكرين إنه ميت أنا مش عارف يعنى إيه يسيبنا متعذبين كل ده!

- اهدى بس يا ... ،اتفضلوا يا بهوات الشاى و الشيشة و السحلب للأستاذ.

يُمسِك أحمد الشيشة ويبدأ فى نفس دخانها ليخرجه من فمه في وجه صديقه الذي يعنفه على ذلك و هو يكمل حديثه قائلًا:

- اهدى يا سعفان و كل شيء هيتعرف لما تشوفه بإذن الله متستعجلش الأمور.

- استنى إحنا الكلام خدنا ونسيت تقولي أهم حاجه انت عرفت منين إنه هنا وعرفت إزاى أصلًا إنه حي، إيه السر اللي وراك يا أحمد؟

عندها يترك أحمد مبسم الشيشه وينظر إلى صديقه قائلًا:

- أنا عرفت مكانه عن طريق شخص عمرك مهتتوقع إنه يقولي معلومه زى دي.

- اخلص يا أحمد وقول مين اللى ممكن يعرفك مكان والدى؟

- من دكتور حامد، يصرخ سعفان فى وجه صديقه قائلًا:

- دكتور حامد بتاعنا! ده حتى مبيجيش الكلية انت وصلتله إزاى؟

- هشرحلك كل حاجه بس أنا دلوقتي فعلًا مش عارف طريقه وبدأت أشك إنه ورا كل حاجه بتحصلك،

يرن هاتف أحمد وسط حديثه ليرد قائلًا:

- ألو، إيه إمتى ده حصل؟ في مستشفى إيه، خلاص خلاص أنا جاى دلوقتي سلام.

- خير فى إيه؟ يقول ذلك سعفان قلقًا.

- أمي أغمى عليها وودوها المستشفى شكلها غيبوبة السكر أنا لازم أمشي دلوقتي يا سعفان معلش وهنكمل كلامنا بعدين و ابقى اتصل بيا قولي حصل إيه مع والدك.

- أكيد طبعًا و أنا هبقى أتصل بيك، روح الحق والدتك.

يجلس سعفان منتظراً والده وهو يُمسِك كوب السحلب عائدًا إلى أفكاره مُجددًا.

مرَّ الوقت وها هي الساعة قد شارفت على الثانية عشر، ليلحظ سعفان شخصًا يقترب منه ثم يفتح الباب ويدخل مسرعًا فيفزع سعفان ويقوم متأهبًا يُحاسب ثم يتجه مباشرة ناحية الباب، عقله توقف عن التفكيروقلبه يكاد يخرج من حجرته لا يُردد إلَّا أبي أبي، يدق الباب وما هي إلَّا لحظات حتى يفتح له رجل مسن، ملابسه بالية يملك لحية صغيرة وشاربًا ضخمًا من الوهلة الأولى تظن أنه رجل مشرد ليقول:

- انت مين؟

ينظر سعفان إلى والده آسفاً غير قادر على تحديد ملامحه ليتأكد منه لكن وبطبيعته البلهاء يُجيب في الحال قائلًا:

- أنا سعفان يا بابا.

ينظر إليه الرجل عن كثب ثم ومرة واحدة يصرخ ويقع على الأرض فيهرع إليه سعفان حتى يساعده على النهوض فيقول له:

- سيبنى ابعد عنى مش عايز أموت مش عايز أموت.

- تموت إيه، أنا ابنك سعفان.

- انت مش ابني لا، ابعد عني انت شيطان.

يُصعَق سعفان لما يسمع، لا يدري ماذا يحدث فقد أصابت والده نوبة من الصرع وهو يجره للداخل يُهدأه إلى أن دخل في ثُباتٍ عميق.

مرَّت ساعة وما زال والد سعفان مُلقَى على الفراش و إبنه بجانبه حتى استيقظ مفزوعًا.

- بابا، انت كويس؟ أنا سعفان إبنك.

- انت لسا موجود برضو أنا مش قولتلك ابعد عني و انت عرفت مكاني إزاى؟ انطق.

- صاحبي هو اللي عرف مكانك وقلي عليه فجتلك علاطول لأني كنت بتمنى كل يوم إنك تطلع عايش.

- انت فاكر إنك كده هتخليني أامنلك.

- أنا معرفش عملت إيه خلَّاك تعاملني بالشكل ده!

- هو انت مش عارف حقيقتك لسا ولا بتكدب وجاى تقتلني.

- اقتلك! انت شايفني إيه مجرم فيه ابن هيقتل أبوه وهو فأمس الحاجه ليه، تخرج هذه الكلمات الحارقة من سعفان الذي ارتسم على وجهه الحزن.

- كلامك ونبرة صوتك بتوضحلي إنك فعلًا متعرفش ماضيك واللي كنت سبب فيه ومين ممكن يكون ورا كل اللي انت فيه ده واللي أنا أكيد معرفهوش بس متوقعه.

تجحظ عينان سعفان وهو يستمع لكلام أبيه المفاجيء له ليقول مسرعًا:

- يعني إنت عارف مين من اللي حواليا فأصحابي اللي بيعمل فيا كل ده بس إزاى و انت مش معانا أصلًا!!

يضحك الأب لأول مرة على كلام سعفان ليأخذ زفيرًا ثم يقول:

- اللي بيعمل فيك كده مش بيستخدم قدامك إسمه الحقيقي.

تتوالى الصدمات على سعفان الذي يقف متحجرًا لا يُظهِر أى رد فعل سوى انتظار معرفة صاحب الإسم المستعار ممَّن حوله ليسمع والده وهو يُكمِل قائلًا:

اللي هيتسبب فهلاكك هو أقرب حد ليك، يم... يُقاطع تلك العبارة المرتقبه-

صوت طلقات نارية تمر بجانب سعفان الذي يرتمي إلى الخلف وبعد انتهائها يُصعَق لرؤيته لأبيه ضريحًا على الأرض قد امتزج جسده بذلك السائل الأحمر اللزج فيهرع إليه وقبل أن يتحدث يرى يدين والده تتشبث به وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ليقول بصوتٍ ضعيف:

- حلك عند الشيخة انتصار.

لا يفهم سعفان ماذا يعني والده بذكر هذا الإسم المُبهم له ودون أن يشعر تتحرك أرجل خفية من ورائه ثُم يُغشَى عليه في الحال إثر اصطدام رأسه بعصا خشبية يحملها مجهولٌ من خلفه.

***

نعود مجددًا إلى تلك الغرفة المظلمة والأوراق التي تنم عن المستقبل وهذه السيدة العجوز القابعة في مكانها تفكر دون حراك.

- يا شيخة انتصار الناس كلها بتسأل عنك بقالنا كتير موقفين حالات وعدد كبير كل يوم بييجي و انتي مش عايزة تشتغلي هنرجع امتى؟ السوق محتاج بركاتك.

- قل لهم عن قريب.

- الجملة دي أنا بسمعها كل يوم منك ومفيش أي تغيير.

تكتفي العجوز بالنظر إلى الصبي بغضب ليُغادر على الفور تاركًا إيَّاها تفكر فيما تحمله من هموم.

- لماذا لا تُريدين العودة إلى عملك؟ يصدر ذلك الصوت من العدم تسمعه فقط انتصار.

- ما هذا الحضور المفاجيء يا سانوخ منذ متى تقدم إلى هنا دون سابق إنذار بمجيئك؟!

- لا تستعجبي هكذا يا عجوز فبعد أن حُرِقَ زعزوع والجميع صارت لديه احتياطاته.

- وهل تلك الاحتياطات تشملني أيضًا؟!

- لا تنسي أن المتقصي قد حُرِقَ وهو تحت إمرتك ثم أنه لولا وجودي بجانبك لتحولت الأمور وفقدتي عشائرك.

- لا يستطيعون فأنا استطيع حرقهم جميعًا أتغفل عن امتلاكي لعهد السينار لست أنا الوحيدة التى تُنفذ عليها الأحكام هنا.

- حتى و إن كنتي تمتلكين العهد سيفضلون أن يُحرقوا على يديك خيرًا من العمل مجددًا معك وملاقاة مصير أخيهم ثم أنَّ جلوسك هكذا وعدم عودتك إلى عملك يُزيد حالة الإنكار عندهم واستشعار ضعفك.

- سأُجن يا بن إبليس كيف لفتاة مثلها أن تقوم بمنع زعزوع من الولوج إليها ولم تكتفِ بذلك بل قامت بحرقه فهل يُعقل ذلك!

- من الممكن أنها تمتلك حجابًا قويًا أو صاحبة منزلة عُليا فنحن لا نعرف عنها كل شيء ولا نستطيع بعد ما حدث الاقتراب منها في الوقت الحالي. ولا يجرأ احد منا على الإقتراب منها.

- أنا لا استطيع المضى في العمل قدمًا دون معرفة من تكون مهما كلفني الأمر وقد قمت في الأيام السابقه بالبحث عنها وعن ماضيها فلم أجد ما يُرضيني.

- يجب أن تعودي إلى العمل و أنا سأتكفل بها سأحاول أن أجعل أمراء الهيكل يهتمون لأمرها وما فعلته وإن حدث ذلك سنعرف من تكون بكل تأكيد.

- وهل تعتقد أن الأمراء سيفعلون ما تقول فهم ذو شأنٍ عظيم.

لا تشغلِ بالك فقد قومي بما أخبرتك به، وداعًا.-

***

غرفة مظلمة وكرسي في المنتصف يجلس عليه شخص مكتوف الأيدي، على فمه شريطٌ لاصق وأمامه منضدة موضوعٌ عليها هاتفه الذي يرن الآن، اخاصمك ااه اسيبك لاا اخاصمك اه اسيبك لا وجوا الروح هتفضل حبيبي اللي أنا بهواااااه.

على الجانب الآخر يجلس أحمد على الأريكة ينتظر رد سعفان على هاتفه دون جدوى ليُقرر فالأخير الذهاب إلى المكان الذي تركه فيه بعدما طال غيابه عنه ليجد تجمعات بشرية أمام منزل والد سعفان فينقبض قلبه و يبحث عمَّن يسأله ليُخبره أحدهم بأنهم وجدوا جثة رجل مقتول على الأرض و أنه شاهد رجلًا يحمل شابًا يافعًا إلى عربته السوداء وينطلق بها سريعًا.

هنا يصرخ أحمد قائلًا:

- دي مصيبة.

يجري أحمد إلى المترو وأثناء ذلك يتصل بأصدقائه جميعًا لكى يقابلوه و يخبرهم بما حدث وما هي إلا ساعة واحدة حتى يتجمع الأصدقاء في القهوة المعتادة لهم بعد تأكيده عليهم بالمجيء للضرورة.

- إيه يا أحمد اللى انت بتقوله ده، ندى متسائلة في قلق.

- اشرحلنا بسرعة سعفان اتخطف إزاى يا احمد؟

- اهدي يا رضوى ولأنا هشرحلكم كل حاجه .

- انت لسا هتشرح انطق بسرعة مين خطفه، سعفان فين؟ تخرج تلك الكلمات منكريم بنبرة يتملكها الحدة.

- يا جماعة لازم تهد... يقاطعهم عم شوقي قائلًا:

- اؤمروا يا بهوات تشربوا إيه؟

- نفس المشاريب يعم شوقي.

- إيه ده أومال فين أستاذ سعفان ولا أحضرله السحلب لحد مييجى؟

- لا متحضرش حاجه هات للي موجودين بس، تقول ذلك سمر في عجله. يذهب الرجل العجوزوالدهشة تعلووجهه، ليُكمِل أحمد قائلًا:

- ممكن تسمعوني و أنا هشرح كل حاجه بالتفصيل. انا و سعفان رحنا نشوف والده ومن غيرمتستغربوا والده طلع عايش.

يُصعَق الجميع وبالأخص كريم الذي عاشر سعفان منذ الصغر ليقول متعجبًا:

- إزاى يا أحمد؟! والده مات أنا متأكد من كده.

- يا كريم من غيرإزاى دي الحقيقة.

- ومين قلك إن والده عايش بقى، سعيد متهكمًا.

- دكتورحامد.

حالة من الصمت تُسيطرعلى الرفاق لترد ندى قائلة:

- دكتورحامد! انت أكيد بتهزر.

- كنت في البيت قبل منام وفجأة سمعت صوت اتحركت للشباك ملقتش حد بلتفت ورايا لقيت دكتور حامد كاتم نفسي وبيقولي اوعى

تصرخ أنا هديك حاجه وماشي علاطول بس انت الوحيد اللي أقدر أأتمنك عليها وسابلي ورقة و مشى فورًا حتى من قبل ما أكلمه.

- ومشي إزاى يعنى طار مثلًا قول كلام يتصدق يا أحمد.

- لا يا كريم نزل من الشباك على الماسورة زى الحرامية بالظبط لثانية حسيت إنه شخص تاني مش الدكتور حامد اللي أعرفه، أنا عارف إن كلامي مستحيل حد يستوعبه بس والله ده اللي حصل بالظبط.

- واشمعنى انت اللي يجيلك، طبعًا مخبي علينا حاجه و أنا متأكدة من ده.

- ندى مش وقت أفكارك دي المهم إن فتحت الورقة لقيت عنوان وتحته مكتوب والد سعفان طبعًا الصدمة خلتني مش عارف أفكر فكلمت سعفان و رحنا.

- أنا مش مصدقة إنك تعمل كده في سعفان يا أحمد مهما كان كرهك لي متوصلهوش لأنه يتخطف.

- يا رضوى أنا كنت متفاجيء ومش مصدق ومفكرتش خالص إنه ممكن يحصل حاجه زى دى.

- طيب ووالده فين دلوقتى؟

- اتقتل يا ندى.

ما يلبث أن يقول أحمد ذلك حتى تتعالى الصيحات فينظر لهم جميع من بالقهوة حينها يقف سعيد قائلًا:

- إحنا لازم نروح لوالدته نقولها ونزل صورته في الجرايد عشان لو حد شافه ييجي يقولنا، يلا نتحرك بسرعة مفيش وقت للصدمات دي وحسابنا معاك بعدين يا أحمد.

- طيب و منبلغش الشرطة ليه؟

- لو بلغنا الشرطة هنفتح على نفسنا أسألة كتير وتحقيق في جريمة قتل ملهاش لازمة، وبالفعل ينقسم الأصدقاء جزأ يذهب إلى بيت سعفان والأخر ينطلق إلى الجريدة ليقوم بنشر إعلان عنه ...

يُخبر الأصدقاء والدة سعفان بما حدث فتُصاب بانهيار عصبي يؤدي بها إلى المشفى وأصدقاء سعفان جميعهم بجانبها وتأخذ رضوى أخت سعفان الصغيرة لتقطن معها ريثما تسترد الأم صحتها فكلام الطبيب المعالج لها لا يوحي بأنها سوف تخرج قريبًا، تنزل صورة سعفان في الصحيفة ويراها الكثير من الناس والأصدقاء يجلسون كل يوم يتناقشون فيما ينبغى أن يقوموا به، يذهبون للبحث تارة أو للمشفى تارة أخرى، تمر الأحداث سريعًا والصدمات تتوالى دون توقف.

***

في تلك الغرفة المظلمة يستيقظ سعفان ليجد نفسه مُكممًا يُحاول أن يصرخ دون جدوى ينظر إلى أنحاء الغرفة فلا يستطيع أن يرى شيئًا من الظلام الحالك، الخوف يسيطر على قلبه وعقله، يحاول أن يفكر في مخرج لتلك الأزمة وحينها يتذكر ما حدث لوالده وكيف جاء إلى هنا، يسمع صوتًا يقترب فينظر في ترقب ليُفتح الباب ويجد نفسه أمام رجلًا يرتدي قناعًا أسود اللون يُمسك صينية عليها مأكولات متنوعة ثم يضعها على المنضدة أمام سعفان الذي يتضور جوعًا من رائحة الأكل المتصاعد، ثم يُزيح الرجل الملثم عن فمه الشريط اللاصق ليصرخ سعفان قائلًا:

- انت مين و أنا فين؟

يُشير الرجل بيديه تجاه الطعام ثم يغادر الغرفة دون اى حديث بعد أن أنار النور ووسط صرخات سعفان تاركًا إيَّاه وبعد وقت يهم سعفان على الأكل بفمه فقط يُحاول التقاط ما يستطيع حتى يسد جوعه.

***

- ماما باركيلي، أنا جبت الدرجة النهائية في عملي الطبية ومش مصدقة نفسي. - ألف مبروك يا أمنية يبنتى ربنا يكملهالك على خير يا رب.

- هانت يا ماما خلاص أخر سنة وهبقى دكتورة رسمي.

- أهه والدك جه فرحيه بقى هو بيحب أوي يسمع أخبار تفوقك ونجاحك.

- أكيد بس المرادي هخليه يجبلي هدية.

- يا حبيبتي انتي تستاهلس ألف هدية مش بس واحدة.

تمشى أمنية متبخترة أمام والدها الذي يقول:

- شكلك وراكي حاجة يا بنت الصوامعى.

- هو يا بابا اللي يفرحك تعمله إيه؟

- يا سلام وهو فيه أحلى من الفرحة أعمله أى حاجة يقول عليها.

- أنا جبت الدرجة الكاملة في العملي يا بابا وقربت خلاص أحقق حلمك و أبقى معيدة في الكلية.

- بجد الله الله هو ده الكلام ولا بلاش إنتي كده بنت الصوامعى على حق.

- لا مينفعنيش أنا الكلام ده أنا عايزه فلوس يا بابا الفلوس تتكلم هيه.

- أقول إيه بس هتجبيه من فين ما من عند أمك.

- بتقول حاجة يا عبد الحميد؟

- لا يا حبيبتى أبدًا ده أنا بشكر فيكي،

- طيب المحفظة فوق الجورنال عندك أهه هاتيها يا بنتي ونشوف هتاخدي كام.

- تجري أمنية تجاه المحفظة، تُزيح الجريدة لتأخذها حينها تتحول ابتسامتها تلك إلى جمود وضيق لرؤيته، إنَّها ترى فتى أحلامها، ترى الشخص الذي عاشت معه الكثير دون معرفته وتلاحمت بوجدانها معه قبل أن تراه، تلحظ صوره سعفان على الجريده لتقف متصنمة دون حراك تُحدث نفسها قائلة:

" أحلامي تتحقق هل يعقل ذلك! كيف لعقلي الباطن اصطناع شخصية حقيقية بالفعل! سأُجن.

- أمنية، إيه يا بنتي أخدتي فلوس المحفظة كلها ولا إيه؟ يقول تلك العبارة الأب مازحًا.

- هاه لا لا يا بابا أنا بس افتكرت إنّ لازم أعمل حاجة مهمة دلوقتي وجايه علاطول ، يندهش الأب وهو يرى إبنته تُسرِع إلى الطابق العلوي ومعها الجريدة، تفتح أمنية باب غرفتها لتجلس على المكتب ثم تفتح الجريدة على الخبر الموضوع فيه صورة سعفان،

" شاب في كلية الأداب جامعة القاهرة قد تعرض أمس للخطف على يد مجهولين فمن يتعرف على صورته أو يراه في أى مكان برجاء الإبلاغ أوالاتصال على أهله المذكورة أرقامهم وعنوانهم بالأسفل "

تنظر أمنية للعنوان ومعه تعرف إسمه أخيرًا، إنه سعفان فتبتسم ثم تُدرِك بعد لحظات أنه مخطوفٌ الآن، يبدأ عقلها في التفكير والذي يُخبرها

بأن تذهب إلى القاهرة و تارة يُخبرها بأنه شخص لا يعرفها تعرض للخطف وما عليها إلا الدعاء له بالعودة سالمًا ، تترك أمنية الجريدة على المكتب و تخلد إلى النوم بعدما اتخذت قرارًا بوجوب سفرها وقد علمت كيف ستُقنع والدها بذلك.

***

مرَّ على سعفان حتى الآن ثلاثة أيام وهو ما زال حبيسًا في تلك الغرفة المظلمة يدخل إليه الأكل عن طريق ذلك الرجل المقنع ويذهب دون أن يتكلم ويبدو أنه قادمًا إليه مجددًا، يدخل شخص ما من الباب ينظر إليه سعفان فتتسع عيناه لأنه ليس الرجل المقنع إنَّما طفلٌ صغير قادمًا إليه، يلتف الطفل حوله و سعفان يحاول أن يتمعنه بعينيه وهو يهز رأسه عاجزًا عن الحديث من ذلك الشريط اللاصق الموضوع على فمه ليجد الطفل مرة واحدة يُخرج سكينًا صغيرًا حينها يهتز بجسده محاولًا المقاومة والطفل ورائه ليقوم بقطع الحبل المربوط به يد سعفان قطعًا جز أيًا ثم يغادر الغرفة مسرعًا تاركًا الباب مفتوحًا، يحاول سعفان الذي لا يفهم كيف جاء ذلك الطفل إليه جاهدًا أن يفك الحبل عن يديه حتى ينجح بعد بضعة دقائق في ذلك ليقف مسرعًا ثم ينزع الشريط عن فمه و يصرخ بأعلى صوته:

-أنا مخطوووووف يا جماعة مخطوووف يا إخوانا الحقوني، فيندهش لعد رد أي شخص عليه فيستجمع قواه و يذهب خارج الغرفة ببطيء فيجد أنها شقة مهجورة لا يوجد حتى أثاث بها ، يُسرع إلى باب الشقة يقوم بفتحه وينزل مهرولًا إلى الشارع ليجد نفسه في منطقة عشوائية بها العديد من الناس و الباعة والطرق الغير مستوية لا يعرف أين هو ليسير بضعة أمتار للأمام و ضوء الشمس يُزعج عينيه فقد ظلَّ فترة من الوقت قابعًا في الظلام ثم يوقف تاكسى قادمًا نحوه قائلًا:

- أقرب متروبسطة.

***

على الجانب الأخر أصدقاء سعفان الآن قرب منزله يجتمعون منتظرين والدته فمن المفترض أن تكون في بيتها لكنها لا ترد.

- تفتكروا تكون اتخطفت زي سعفان.

- إيه يا سمر اللي بتقوليه ده أكيد هتفتح دلوقتي.

تمر الدقائق كأنَّها دهرٌ من الزمن ونفس النتيجة تحدث الكثير من الطرقات ولا استجابة تُذكَر ليسمع الأصدقاء صوت أقدام تندفع على الدرج وفي صوتٍ واحد يقولون جميعًا:

- سعفـــان!

***

سنرجع بالزمن مرة أخرى إلى الوراء قليلًا ليست بتلك المدة الكبيرة إنَّما عشرة سنوات فقط نحن الآن داخل منطقة شعبية أصيلة على إحدى القهاوى المشهورة في روض الفرج، تجد الدكاكين هنا وهناك،الشوارع المزدحمة بالناس والأطفال التي تلعب سويًا بالكرة أو بتلك الدوائر الصغيرة التي تُطلق عليها

(بلى) ،ثم نتطرق إلى عم سيد الذي يجلس أمام دكانه يقوم برش الماء وهو يصفروأخر بجانبه يقوم ب كى الملابس تاره او الحديث مع من بجانبه حول أمور الحياه تاره أخرى وعلى الرصيف المقابل هنالك عربة مليئة بالبطاطا مع الدخان المنبعث منها يجعلك تلهث شوقًا لتذوقها، وتلك المنازل المتراصة شرفاتها بجانب بعضها البعض فتجد أم اسماعيل تحادث جارتها أم حسن عن شبكة فُتنة بنت الحاج عاصم وكيف أن خطيبها قد أحضر لها خمسين جرامًا فقط من الذهب ثم يتطرقن إلى

تلك الفتاة الجديدة " منى " التي جاءت لتعيش في تلك المنطقة حديثًا وكيف يتهافت عليها الكثير من الشباب لجمالها الآخَّاذ وقد ملئت الغيرة قلبهن، نتركهم ونذهب إلى الأسفل حيث توجد أعرق و أقدم مكان في تلك المنطقة، قهوة ابن البلد ذات الصيت الواسع، تنظر لتجد تلك الكراسى الخشبية والراديو القديم الذي يعرض كل يوم في بداية الليل أغانى لأم كلثوم وعبد الحليم وخلافه من أصحاب الطرب الأصيل وقد تجمع بها الرجال كبار السن و أيضًا الشباب فهنالك جو ألفة عام بين الجميع لمعرفتهم الوطيدة ببعضهم البعض، ومن بين هؤلاء يجلس ثلاثة من الشباب وأمامهم الشيشة وأكواب الشاى، إثنان منهم منغمر في لعب الطاولة والأخير يقرأ كتاب يُدعى (الأسرار السوداء للجان).

- لعبت معاك يا برنس و الزهر خادمك.

يُمسِك البرنس مبسم الشيشة في فخر قائلًا:

- يا وليد الزهر بيدى اللعيب بس و انت مضعف.

- مضعف مين ده حظك بس مش كفاية مستحملين إني إسمك نبيل و بيدلعوك برنس معرفش جات غلطة دي ولا ايه ولا يمكن اتولدت حاطط رجل على رجل.

- إيه يا إبني خفة الدم دي، العب خليك تاخد العشرة دي كمان يا مضعف.

- نلعب إحنا ورانا حاجه ودينى لأوريك و انت يا سي مسعد مش ناوي تسيب الكتب اللي لحست دماغك دي وتلعب معانا؟

- يا أستاذ وليد الكتب دي بتوريني العالم ده بمظهره الحقيقي، عالم غريب فيه حاجات إحنا منعرفهاش وممكن تكون بتحصل معانا بتكرار.

- يا سلام و ده إزاى بقى؟

- يعني مثلًا في الكتاب ده هتعرف إنك لو عيطت كتير لوحدك بليل مش بتحس إني درجة حرارة جسمك عالية؟

- اه والله ده مره كنت بعيط على قرش حشيش ضاع مني كان جسمى مولع.

- قرش حشيش! تصدق أنا غلطان إنِّ بكلم شخص زيك.

- أنا قولتلك يا مسعد إنه مضعف محدش صدقنى.

- خلاص خلاص بهزرليه بقى انطق.

- عشان القرين بتاعك بيحضنك ساعتها ومش بيسيبك إلَّا لما تخلص عشان كده انت وبتعيط يا إمَّا حرارتك بتعلى يا إمَّا بتحس إنه فيه صوت حواليك و انت لوحدك.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إيه يعم الكلام ده!

- خد دي كمان عقل الجن عامة أقل من عقولنا يعني لو إحنا وهما في سن بعض عقلنا إحنا يتعداه بمراحل في مقابل عقله يكون عقل طفل صغير عشان كده أعمارهم كبيرة لمئات أو ملايين السنين.

- كل ده في الكتاب يا مسعد.

- لا ولسا فيه معلومة دلوقتي بقرأها وهشوف الناس اللي معلقة عليها إنَّها حصلت معاهم بيقولك إنه مفيش إنسان مقابلش جن في حياته عامة سواء على هيئة بشرى أو جوا أحلامه بس عقلنا المستخدم منه جزأ محدود ومن رحمة ربنا بينا إننا مش بنتذكر الحاجات دي.

هنا يبدأ الصديقان المقابلان لمسعد ببلع ريقهما سويًا وأعينهما تنظر يمينًا و يسارًا كاأنهما يخشون هجوم أحد الجان عليهما ثم ينتهان مجددًا إلى مسعد الذي يُكمل قائلًا:

- فيه ناس بعد كده أهه بتقول مو اقف حقيقية حصلت معاها لفت انتباهي ولسا بقرأ فيها واحد بيقول:

" كنت في طريقي إلى البيت قادمًا من العمل فمررت بأحد الأزوقة المظلمة في هذا الوقت المتأخر من الليل وفي الطريق وحيدًا لمحت قطة سوداء تقف بالتواء لم أرى مثيله من قبل فاستعذت بالله وأكملت وجهتي دون أن أنظر إليها وفي الوقت الذي مررت فيه بجانبها بصرتها تُحرك شفتيها فلم ثم سمعت منها صوتًا كالبشر لكنه غير مفهوم كأنَّما بُعثرت كلماته فتكونت جملًا لا صحة لها ، بعدها وعلى حُمرة عينيها صارت تُثبت أنظارها نحوي دون أن ترمش ولم يكن مني سوى أن أسرعت إلى البيت صارخًا ومنذ ذلك اليوم لم أمر من هذا الطريق مرةً أخرى.

ينظر الصديقان إلى بعضهما البعض وقد بدأ الخوف يُسيطر عليهما ليقطع ذلك الصمت صوت وليد وهو يصرخ في وجه مسعد قائلًا:

- عندي قطة سودة تحت البيت، أنا كده مش هعرف أروح بيتي بعد الكلام ده أنا كان مالي ومال كتبك دي ليضحك عليه البرنس وهو يُدارى خوفه نافخًا في مبسم الشيشة مرارًا وتكرارًا.

- طب اسمعوا دي كمان، معلومة مهمة عن الشخص اللي بيضحك كتير أو بصوت عالي.

- لا لا اسكت اسكت الله يرضى عليك.

- إيه خفت يا برنس، وليد ساخرًا.

- لا البرنس مبيخافش بس خلاص وبعدين بصوا منى معدية سيبكم من الكلام ده و اتفرجوا.

هنا يترك مسعد الكتاب المُفضل لديه لينظر إلى منى، فتاة في سن الثانية و العشرين ذات قوام متناسق و جسد فاتن، تلتف في عباءة

سوداء ذات شعر طويل أسود ناعم يمر على جسدها كالوشاح ولها بشرة سمراء خلَّابة، تمشي و هي تلتفت ناحية القهوة لتقع عينيها على مسعد المحدق بها في ترقب لتبتسم و تستمر بالمُضى.

- الله يسهلك يا مسعد الجمل مُعجب وإحنا هنا بنلعب طاولة.

- ده العشق يا إبني العشق تفهموا إيه انتو فالكلام ده، أنا بحبها ولازم اتجوزها - تتجوزها! بس إحنا منعرفش عنها حاجة دي مبقالهاش شهر هنا ولا معلومة عن أهلها حتى.

- ميهمنيش يا برنس المهم إنِّ عايزها وهاخدها بأى ثمن.

- طب سيبكم من السيرة دي فيه حد منكم رايح نهائى أفريقيا التذاكر نزلت.

- أيوة عايزين نروح ماتش الأهلي مع القطن صعب والفريق محتاجنا نقف وراه، الأهلي هياخد البطولة و هتشوف يا مسعد.

- يا رب شوفولنا تذاكر طيب يا جماعة ونروح الماتش.

يودع الأصدقاء بعضهم البعض ليذهب مسعد إلى بيته ممسكًا كتابه الشيق الذي يستمر في قراءته بغرفته فمسعد مولع بأمور الجان والسحر فقد حاول تجربة العديد من التعاويذ الخاطئة والكثير من الكتب لدالتون وخلافه من كُتَّاب هذا المجال ولم يصل لشيء حتى بعد محاولاته في البحث الكتب الأصلية التي تتعلق بذلك العالم مثل شمس المعارف، أرض السحرة، تعويذة بن سعيد بجانب السحر الأسود دون جدوى لم يجد إلَّا التقليد ليجد بعدها ذلك الكتاب في موقع ما على الانترنت وقرر أن يشتريه، ما شدَّ مسعد إليه أنه قد كُتِبَ عليه تحذير،

" أن ما يورد فيه حدث على أرض الو اقع و ليس من وحى خيال الكاتب "

لم يصدق ذلك بأكمله لكن ما دفعه للمغامرة هو أنَّ مؤلفه مصري يُدعى

" سليمان النجار" تابع قراءته وهو يعلم أنه ليس مشهورًا لكنه رُبما يكون صادقًا وقد وجد أثناء قراءته ملحوظة كُتبت في أواخر الصفحة المئة وسبعين

" ‘ذا أردت شيئًا بشدة ولا مجال لتحقيقه دون الاستعانة بالجان قم بتأدية تلك التعويذة وسوف يتحقق لك ما تريد لكن احذر ما أن تؤديها فلا مجال للعودة "

ما أن قرأها حتى اتَّسعت عيناه وشعر بروح المغامرة تدب داخل عروقه لكنه تذَّكر ماضيه المُحبط مع سابقات الكتب فعدل عن الاستمرار وذهب لينام لأنه سوف يتأخر عن جامعته إذا لم يستيقظ باكرًا في الصباح.

***

على الأريكة يجلس الجميع غير مصدقين ما حدث، جانب الأصدقاء بعد أن روى سعفان لهم تفاصيل ما حدث معه حتى هروبه من الشقة على يد طفلٍ صغير وجانب سعفان الذي كاد أن يُجن لاختفاء والدته واستنتاجه لفكرة و افقت ظن سمر بأنها قد خُطفت انتقامًا منه دون أن يعلم المتسبب في ذلك ولماذا يقوم بتلك الأفعال.

- سعفان كل اللي بيحصل ده مش طبيعى فيه حاجات كتير غلط ودكتور حامد لازم نلاقيه هو الوحيد اللي عارف كل حاجه ومتوقع يكون عارف كمان مكان والدتك ،انت حياتك بتضيع وإحنا و اقفين ساكتين لازم ندورعليه كلنا. - معاك حق يا كريم.

- طيب إحنا هنمشي دلوقتي نسيبك تنام وبليل نتجمع ونفكر كلنا هنعمل إيه سوى.

- تمام تعبتكوا معايا يا جماعة بس أمي لازم نلاقيها فأسرع وقت ممكن مهما حصل هعرف مكانها فين.

- بإذن الله.

يذهب سعان إلى فراشه وما يلبث أن يضع رأسه على الوسادة حتى يغط فى نومٍ عميق، تمر نصف ساعة حتى يبدأ فى إصدار أصواتًا تنم عن حلم مزعج يتكرر،إنه يحلم مجددًا، ثلاثة شموس وتلك التماثيل وها هو يمشي فى الطريق المظلم كما السابق، الجو قارس البرودة لا يعلم كيف وهذه الشموس حاضرة ، يسمع تلك الأصوات المخيفة ، إنَّها تُلقي الطلاسم الواحد تلو الأخر ، لا تُلقيها عبثًا إنَّما لغرض لا يعرفه وكلما حاول سعفان أن يضع يديه على أذنه شعر بقوى غريبة تُزيحه وصوت يأتى نحوه من الأمام يقول فى صوتٍ أجش:

- يجب أن تتعلم، لم يتبقى لي إلَّا القليل معك، يعرف سعفان كالمعتاد أنه داخل كابوس يُطارده لكن ما اندهش له أن تلك الكلمات لم تعد تُخيفه كالسابق وصار لها أنيسًا، لساعات يتلقى سعفان تلك الطلاسم ثم يتوقف الصوت فجأة وتختفي التماثيل أيضًا، يُقرر حينها أن يُعيد الكره ويتخذ ذلك الطريق مجددًا حتى وصل إلى أخره ليرى التمثال المشهود ويُرسَم على وجهه نفس نظرات التعجب السابقة عند رؤيه صاحبه ليقول:

- انت ازاى هنا؟! مستحيل تكون جن أنا أعرفك من سنين وكويس جدًا.

- لا تتعجب فأنا مجرد موجة عاتية في بحرٍ من الظلمات قادم نحوك.

لا يفهم سعفان مرادفات تلك الكلمات الغامضة ليقول:

- انت اللي قتلت أبويا؟

يرد التمثال ضاحكًا:

- أكمل طريقك الذي رُسِمَ لك وفي نهايته ستعرف كل شيء، فقط أنهي تلك المعضلة التي تؤخر مصيرك.

يستيقظ سعفان لكن تلك المرة دون أن يصرخ فقط يتذكر التفاصيل كاملة وبالطبع ما عدا واحدة هي الأهم بالنسبة له ليقول وقد امتلأت جبهته بالعرق :

- ليه بصحى مش فاكره كأنه بيرسم غمامة على عقلي، ليُنهي حديثه بصرخة مدوية.

***

وصلت أمنية إلى القاهرة وكلها حماس أن تبدأ مغامراتها في الكشف عن رفيق أحلامها الخفى، تذهب أولًا إلى منزل خالتها لتُسلم عليها وعلى الجميع هناك ثم تُحدث صديقتها مى لكى تراها.

في ذلك الوقت يجلس سعفان بغرفته غارقًا في تفكيره الذي لا ينتهي في الأونة الأخيرة ليُحدث نفسه قائلًا:

" ماذا ستفعل يا سعفان ومن أين ستبدأ الآن؟ أولًا يجب علىَّ تحديد وجهتي أستكون دكتور حامد والبحث عنه فهو المدبر الأول لخطف والدتي أم أذهب لأرى الشيخ عبد الجليل فقد تأخرت كثيرًا عن الميعاد الذي أعطاه لي الشيخ محمود وربما يعرف مكان أمي فعلى ما يبدو أنه يتسم بالمعرفة، و أيضًا ما ذكره لي والدى قبل مقتله عن الشيخة انتصار لكن أين وكيف أجدها؟! "

تخطر بباله فكرة رائعة وهي أن يبحث عنها على الإنترنت لربما تكون سيدة مشهورة فيتوصل إليها وبالفعل يذهب ليُشغل الحاسب الآلي الخاص به، ويكتب على مُحرك البحث الشيخة انتصار ثم ينتظر نتائج البحث التى تُظهِر له الممثلة انتصار في بعض المشاهد أو الشيخة انتصار سالم على الصباح والتي يقرأ عنها فيجد أنَّها من قامت بتأسيس دار لؤلؤة للنشر كما أنَّها عضوٌ من أعضاء المجلس الاستشاري في الأمم المتحدة ليبتسم حينها سعفان ساخرًا ليقول:

- انت أكيد مش هتوصل معرفتك للعالم دي يا والدى الله يرحمك تلاقيك كنت بتقضي العشاء بتاعك نوم هتعرف استشاري أمم متحدة، ثم يستمر في البحث وقد بدأ عزمه يقل وهمته تفتر لكن وأخيرًا يجد ضالته، يُسرِع إلى عنوان مكتوبٍ عليه الشيخة انتصار المصرية صاحبة الصيت فى أمور الجان فيدخل عليه مسرعًا ليجد مقالًا تفصيليًا عن تلك السيدة، قوتها الكبيرة ومواقفها في علاج الكثير من المرضى ومعرفة المستقبل وخلافه فيبحث عن عنوانها ليجد أنَّها تعيش في قرية بالمنوفية وبعد تفكير يُقرر الذهاب إليها فلربما تكون هي نجاته، يذهب بعد ذلك ليرتدى ملابسه مقررًا الانطلاق إلى رمسيس ليُقابل الشيخ عبد الجليل مفضلًا إيَّاه عن زيارة الدكتور حامد التي قرر تأجيلها لخوفه أن تكون والدته فقبضته فعلى رغم تحول شخصية سعفان إلَّا أنه ما زال يحتفظ بذلك الجانب الضعيف الخائف من المواجهة.

***

- أخيرًا شوفتك يا بنتي واحشانى جدًا عاملة إيه إنتي وأهلك؟

- سيبك من أهلي دلوقتي، انتي أخبارك إيه وصيدلة وامتحانتها الحمد لله إني خلصت منها عقبالك كده.

- هانت يا دكتورة هانت.

- قوليلي بقى عايزة نروح نقعد فين فيه كلام كتير عايزين نحكيه.

- بصي هو مشوار صغير كده الأول عند بيت شخص معين عايزة أشوفه في حلمية الزيتون وبعدها هنرجع رمسيس أقابل الشيخ بتاعي وبعد كده هفضى خالص.

- بس كده ماشي بس مين الشخص ده؟

- واحد قريبي بقالي زمن مشفتهوش.

- ماشى طيب يلا بينا عشان منتأخرش.

تتجه الصديقتان إلى المترو لتبدأ رحلتهما إلى الحلمية سويًا وأثناء ذلك يتحدثان عمَّا يحدث معهما من أمورٍ شتى إلى أن يصلا إلى المحطة المبتغاه، تنزلان من المترو وتتجهان نحو الخارج حتى يصلا إلى العنوان الذي تحفظه أمنية من الجريدة بعد أن استقلتا توك توك للوصول.

قلب أمنية ينبض متسارعًا لا تستطيع تهدأته وفي نفس الوقت بهم سعفان للنزول من بيته على عجله لكى يلحق بالشيخ عبد الجليل، سعفان أسفل منزله والتوك توك يتقدم إلى الشارع المُراد، سعفان الآن في الشارع يتخذ طريق المترو، وفي نفس الوقت تصل أمنية وصديقتها أخيرًا إلى منزله، تنزل الفتاتان من التوك توك وسعفان أمامها مباشرةً يتقدم نحوهما، تُخرِج أمنية نقودًا من حقيبتها وتلتف لتُعطيها للسائق وفي نفس الوقت يمر سعفان من ورائها والذي تراه مى في حين أن أمنية مشغولة بمحاسبة السائق حتى يتعداهما وبعدها تفرغ أمنية ممَّا تفعل لتطلب من صديقتها التحرك غير مدركة أن من تبحث عنه قد مر بجانبها دون أن تلحظه، ترى على يمينها مخبزًا وعلى اليسار محل بقالة، أثناء ذلك تقوم بمراقبة أرقام البيوت إلى أن تصل إلى منزل رقم خمسة وهنا تتزايد سرعة ضربات قلبها حتى شعرت بالإعياء وبأ العرق يتصبب منها بغزارة لتلحظ صديقتها ذلك فتهرع إلى البقالة تبتاع لها عصيرًا ظنًا منها أنه

انخفاض لمستوى السكر في الدم، تذهب مى تاركة صديقتها تتفحص المنزل جيدًا رفم إعيائها وتلتقط أذناها حديث سيدتين في الشرفة خلفها من البيت المقابل وإحداهما تقول:

- سعفان النهاردة رجع البيت.

- رجع إمتى وإزاى هو مش كان مخطوف.

- معرفش فجأه لقيناه ماشي في الشارع وهدومه متبهدلة والناس بتسلم عليه - طب محدش عرف كان مخطوف ليه؟

- لا بس أكيد عمل حاجه غلط إنتي عارفه الشباب في السن ده بيبقى همهم الحاجات اللي تجيب مشاكل وبس.

- اه والله هو أكيد عمل حاجه غلط سببت خطفه.

- شباب أخر زمن.

تسمع أمنية تلك الجمل فتشعر بارتياح غير مُبرر لعودته لكنها لا تستطيع أن تقدم على خطوة أُخرى خصيصًا مع رؤيتها لأنوار منزله وهي مطفأة فتستنتج أنه بالخارج أو ربما نائمًا.

- العصير أهه يا أمنيه اشربي يلا، تقول ذلك مى بملامح قلقة.

- حاضر هشرب أهه وخلاص يلا بينا تقريبًا قريبي مش قاعد هنا.

- طيب نخبط على الباب ممكن يكون موجود.

- لا ما أنا خبطت ومحدش رد مش مشكلة أبقى أجيله وقت تاني.

تمتثل مى لرغبة صديقتها وترجع معها إلى رمسيس حيث يتواجد شيخها الجليل.

***

داخل المنزل الذي يقطن فيه نظمي باشا في قرية المقبرة كما اعتاد أن يُلقبها، يجلس الآن يقرأ الجريدة وأمامه منضدة عليها كوبًا من عصير البرتقال وأخر من الليمون للشخص الذي بجواره، يتفحص صفحة من الجريدة ثم يُنزلها ثم يرفعها مجددًا ويُنزلها مرةً أخرى ليستمر على تلك الحال فترة من الزمن ثم ينظر من خلال النافذة إلى الأرض الخضراء صامتًا متمتعًا بسكون القرية الذي يُخالطه أصوات الضفادع المنتشرة على الترعة بالخارج.

- مالك يا نظمي قلقان كده ليه؟

- لازم أقلق إحنا الوقت بيعدي مننا والرئيس ممكن ييجى فأى لحظة سعتها هنكون انتهينا.

- متقلقش كل حاجه هتحصل زى ما خططنا الصبر بس.

- أنا صابر بس مش عارف إحنا خطفنا ليه أم سعفان من شقتها.

- زى مقولتلك دي الطريقة الوحيدة اللي هتخليه يلاقينا بنفسه لما يقرر يستخدم المحظور، لازم لازم يستخدمه وإلَّا مش هيكون مفيد لينا.

- طيب ليه مخطفهوش هو نفسه وأجبرناه يعمل كده.

- لأنه لازم يعمل كل حاجه بإرادته غير إنِّ مش عارفه قوته إيه ومتنساش إننا لازم ننفذ الخطوة الثانية النهارده.

- مش ناسي عند الميعاد المحدد كل حاجه هتكون خلصت والمقبرة هتكون مُهيأه.

- هنشوف قولي صحيح انت عمرك شوفت الرئيس ولا دايمًا بتسمع صوته بس، تتبع تلك العبارة نبرة ساخرة من نظمي وهو يقول:

- أشوفه! أنا عايز أقولك إني مسمعتش صوته حتى أصلًا لحد دلوقتي ودايمًا اللى بيكلمنى شخص من رجالته في العراق.

- تفتكر يكون زيي معاه خدمة من الجان؟

- معرفش بس كل اللي أسمعه عنه إنه قوى بشكل ميتصورهوش حد وحواليه عدد محدود جدًا من الناس والباقي جنود زينا كده بيحركهم فكل حتة، يُقال إنه يعرف طلاسم من أيام حضارة بابل.

- كلامك عنه خوفني منه أكتر، أنا بس لو أعرف حتى إسمه الحقيقي لأني جربت أتتبعه من الإسم ده فشلت.

- إحنا لو متصرفناش قبل ميجي هتلاقيه قدامك سعتها معتقدش إني خدمتك هتنفعك قصاده.

- متقلقش قولتلك استمتع بس بالجو هنا إحنا مش بنيجى الريف كل يوم.

- عندك حق، لينظر كلاهما إلى الأرض الخضراء مستمتعين بجمال الطبيعة التي قلَّما يجدونها.

***

وصل سعفان إلى مسجد الفتح ليهرع إليه للحاق بصلاة العشاء وأثناء الصلاة يسمع صوتًا جميلًا تقشعر له الأبدان وتنسجم معه القلوب وبعد الانتهاء من الصلاة أخذ يُفكر سعفان في صاحب الصوت متوقعًا أنه الشيخ الذي يقصده، إلى الشيخ الجالس أمام المنبر فيرى فيه وقارًا وهيبة الشيوخ الأجلَّاء لكنه يرتاب في أمره بعدما لاحظ أنه لا يتوجه أحدٌ إليه مثلما كان يحدث مع الشيخ محمود ليسأل أحد المصلين بجانبه عن سبب ذلك فيخبره أن ذلك الشيخ الجديد منغلق نوعًا ما عن الشيخ السابق ولا يتحدث كثيرًا حتى هابه الجميع و صاروا يترحمون فقط على

الشيخ محمود وسعة صدره لهم، بتلك الكلمات المقلقةيتردد سعفان في الذهاب إلى الشيخ لكنه ومع قلة حيلته أمام ما يواجهه يُقرر الحديث معه.

في البداية يُلقِي عليه التحية لكنه لا يردها فقط يُكمِل تسبيحه ليتذكر سعفان شيئًا قد يُساعده ويقول:

- أنا اللي جاي من طرف الشيخ محمود.

ينظر حينها الشيخ إلى وجه سعفان فتتسع عيناه فجأة ليُغلقهما سريعًا ثم يتمتم بالتسبيح بصورة أسرع وسعفان ينظر إليه في دهشة، لحظات من الصمت تسود ولا شيء يحدث حتى أنهى الشيخ ما يفعله.

- الشيخ محمود أخبرني أنه سيأتينى فتى يخصه ويلتمس فيه الصلاح، إذًا هذا الفتى هو أنت؟

- أيوة يا شيخ ولو حضرتك متضايق من وجودي أنا ممكن أمشي حالًا.

- لم أقل ذلك، أنا فقط مُشددًا علىَّ كثيرًا هنا فكما تعرف هذا المسجد يُعد من المساجد الحيوية في البلاد لذلك لا اتحدث إلى الناس بطلاقة هنا كما تعودت أن أفعل في المسجد السابق.

- اه فهمتك أكيد يا شيخ طيب ممكن أشرح لحضرتك أنا بيحصل معايا إيه. - بالتأكيد فقد أعطاني الشيخ محمود نبذة صغيرة عنك لكنى أريد سماع كل شيء منك.

يبأ سعفان في سرد حياته وما حدث معه حتى اليوم بشكل تفصيلي استغرق نصف ساعة كاملة والغريب أن الشيخ كان يستمع إليه بتمعن دون ضجر أو ضيق ليقول بعدما أنهى حيثه وظهرت ملامح اليأس على وجهه:

- انظر لم يرسلك الشيخ محمود إلىَّ هباءًا فهو يعرف أنني قادرٌ على مساعدتك، أولًا هنالك بعض النقاط الهامة التي يجب أن أعلمها حتى نتمكن سوياً من حل لغز ما تمر به لذا تمالك نفسك وأوقف تلك النظرات البائسة، هل تذكر أحداث أول يوم حلمت فيه حلمك الأول قبل تكرارها؟

- سؤالك ده مفكرتش فيه قبل كده يا شيخ عبد الجليل مم لا مش قادر افتكر الصراحة كل اللي متذكره إنّ كنت مع كنت مع أحمد صاحبي بس لا أحمد سابني سعتها عشان حصلتله مشكلة مع خطيبته أوصلها كنا بليل اه كنت بليل مع سمر ومش فاكر حاجه مهمة حصلت اليوم ده ولا فاكر حتى وصلتها ولا لا مش عارف إزاى!

- جيد هذا خيط قد نعتمد عليه فربما تعرف سمر ماذا حدث لك تلك الليلة فهي أخر من رأتك، فيتحمس سعفان قائلًا:

- تمام يا شيخ، معاك حق.

- حسنًا نأتي لنقطة أخرى هامة ألا وهي والدك كيف عرفت مكانه أولًا؟

- أحمد كلمني و قالي على مكانه عن طريق دكتور حامد اللي بلغه يوصلي ده، ليبدأ سعفان في الشرح للشيخ عن دكتور حامد وأحداثه معه.

- اعتقد أنَّ كل ما يحدث لك بعيد كل البعد عن الجان.

- إزاى يا شيخ وأحلامي دي واللي شوفته واللي بيحصلي.

- استمع إلىَّ فقط، ما هي صلة دكتور حامد مع صديقك أحمد هل فكرت في ذلك أيضاً؟ هل هذا الشخص هو والدك حقاً أم أنه مجرد سراب قد صنعوه لك؟ من رأيت في ذلك المكان هل بدا لك مألوفًا؟

أسألة متعددة هادمت عقل سعفان من كل صوبٍ وحدب ليقول:

- أنا مفكرتش في كل الحاجات دى فعلًا، حقيقي مش عارف أركز.

- لا يهم معرفة الحقيقة الآن ما يُهم فقط أن تحتفظ بعقلك وتبتعد عن فقدانه حتى تعرف حقيقة من حولك ومن منهم هو الشر الخالص المتمثل في صورة أبشع من تلك التي يملكها الجان نفسه ولتطمأن سوف أُعطيك حجاباً حافظاً لك يُبعد عنك تلك الأحلام وخلافها من الأمور التي تراها، لكن يجب أن تبحث بدقة فيمن حولك.

- شكرًا يا شيخ أنا مش عارف من غير الحديث ده كان حصلي إيه وفعلًا لازم أكون قوي، أبعد الأمور عن الجن و أفكر بو اقعية أكثر.

يُعطِي الشيخ الحجاب إلى سعفان ثم يذهبان معًا إلى خارج المسجد، أثناء ذلك يرن هاتف الشيخ المحمول ليُجيب عليه في الحال قائلًا:

- السلام عليكم،، أنا الآن أمام مسجد الفتح سانتظرك هناك.

- طيب يا شيخ اسيبك أنا بقى عشان معادك وآسف إذا كنت عطلتك.

- لا تقل ذلك، عليك فقط أن تبحث جيدًا لتعرف من يحبك بحق ومن يكن لك الضغينة.

يستأذن سعفان الشيخ ليذهب وفي تلك الأثناء تصل أمنية ومعها مى إلى المسجد.

- أهه الشيخ قدام المسجد ياه أنا فرحانة أوى إنّ هشوفه.

- باين عليه الوقاربس مين اللي و اقف معاه هناك ده!

- ممكن يكون واحد من المُصلين أكيد بيسأله عن نصيحة زى أهل قريتنا ما كانوا بيعملوا.

- طيب يلا نروحله.

- ماشى يلا بينا.

يستأذن سعفان من الشيخ ليتحرك في إتجاه الصديقتين وقبل أن تراه أمنية يصطدم بها أحد المارة وهو يمر سريعًا من جوارها فتسقط حقيبتها على الأرض وعلى الفور تنظر لأسفل من أجل التقاط ما سقط منها وسعفان مجددًا يمر بجانبها دون أن تراع على عكس مى صديقتها التي تنظرله عن كثب وهي تقول بصوتٍ خافت:

- مش ده اللي شوفته عند بيت قريب أمنية!

تظل ترقبه إلى أن اختفى وسط الزحام ثم تذهب مع أمنية إلى الشيخ الذي يُرحب بأمنية بشدة وهي تقول:

- أخيرًا قدرت أشوفك يا شيخ.

- ابنتي العزيزة أخبارك وكيف هو والدك أرجو أن يكون بخير حال.

- الحمد لله يا شيخ، أحب أعرفك الأول دي مى صاحبتي من القاهرة.

- مرحبًا بك.

- أهلًا بيك يا فضيلة الشيخ ممكن بس أسأل حضرتك سؤال؟

- تفضلي.

- هو الشاب اللي كان و اقف معاك ده تعرفه كويس، يندهش الشيخ لهذا السؤال ليرد قائلًا:

- لا أعرفه على وجه التحديد إنَّما شرحه كأى غريب آتى من أجل النصيحة، شخص غريب أتى من أجل النصيحة وأجبته فهل يوجد ما يُريبك به؟!

- لا لا أبدًا.

- إنتي تعرفيه يا مى؟

- لا يا أمنية معرفهوش ولا حاجه أنا بس بشبه عليه، حينها تلمع عينان الشيخ وهو يتفحص مى عن كثب.

- ماشي المهم أخبارك إيه يا شيخ فيه حاجات كتير أوي عايزة أحكيهالك وأحداث كتير حصلت.

- لا تتعجلي فالوقت أمامنا هيا لنجلس فى أى مكان مناسب ونتحدث.

- ماشي يلا بينا يلا يا مى.

- لا يا أمنية أنا هسيبك مع الشيخ بقى ونبقى نتقابل بعدين ماشى.

- خلاص ماشي هتصل بيكي ... سلام

***

بعدما استطاع مسعد التوصل إلى رقم منى قام بترتيب موعد لقاء بينهما في مكانٍ بعيد عن مسكنهما ولم تتردد الفتاة في الموافقة ليلتقيا أخيرًا بعد عذاب الشوق ويقول مسعد فرحًا:

- أنا مش مصدق إنّ معاكي وبكلمك دلوقتي يا منى.

- للدرجادي يا مسعد فرحان إنَّك معايا؟

- طبعًا من ساعة ما جيتي حارتنا وأنا كل يوم بر اقبك وبفكر فيكي بقول إمتى بس ييجى اليوم اللى أقدر أشوفك فيه بعيد عن الناس وتبقي معايا لوحدي.

- أنا مش مصدقة إنه في المدة القصيرة دي حسيت بكل ده وكمان منكرش إنّ برضو استلطفتك من وقت مشوفتك معرفش ليه بس كل حاجه بالعقل يا مسعد ولا إيه؟..

- مش مهم العقل مش هينفعنا بحاجه المهم وجودك جمبي دلوقتي أنا مش عايز حاجه تاني من الدنيا.

- طيب ده انت حتى متعرفش أنا منين ولا أهلي فين ولا أى حاجه عني.

- مش مهم كل ده مش هيمنعني من نطق كلمة بحبك يا منى وبحب اليوم اللي جيتي فيه لحد عندنا.

- مو مسعد انت مجنون مجنون، تقول ذلك منى ضاحكة.

- ما انا قولتلك العقل مش مهم دلوقتي.

- ماشى يا مسعد أنا كمان با با، بحبك يا مجنون بحبك نا كده مجنونة زيك صح!

- انتي كده أعقل واحدة في الوجود ليسيرا سويًا على الكورنيش مُمسكين يد بعضهما البعض.

- مسعد أنا من الشرقيه وحيدة والدي ووالدتي، هما الإثنين اتوفوا في حادثة و شبه دلوقتي مليش أهل، جيت القاهرة هنا عند واحدة من صاحباتي جمعتلي شغل بس كان لازم أخد سكن قريب منه عشان كده جيت شارعكم ودلوقتي أنا شغالة في محل ملابس الحمد لله.

- البقاء لله وأكيد هما في مكان أفضل دلوقتي، أنا بقى في كلية طب أسنان فاضلي سنة واتخرج إن شاء الله وبعدها أفتح عيادة وأعمل فلوس كتيرونعرف نتجوز.

- انت بجد عايزني يا مسعد، انت دكتور وليك مستقبل كبير وأنا واحدة مش معايا شهادة جامعية حتى، فعلًا لسا بعد معرفتني عايز تتجوزنى.

- أكيد، انتي عندي أحسن من أى حد وأنا زى مقولتلك من أول مشوفتك و انتي دخلتي عقلي وروحي عارفه حب أول نظرة ده هو اللي فيا وبحس بيه معاكي.

- أنا مش عارفة أقولك إيه بس ربنا يخليك ليا وتفضل دايمًا معايا.

يمر الآن قرابة الشهر ومسعد يواعد منى باستمرار وقد عرفا عن بعضهما البعض كل شيء تقريبًا ومنها ولع مسعد الرهيب بالجان والسحر وخلافه من تلك الأمور فنهته بشدة عن ذلك لأنها تخاف كثيرًا من تلك الأمور وقد قطع لها وعدًا بأنه لن يقترب من تلك الأشياء مجددًا وبالفعل تخلص من جميع الكتب المتعلقة بهم، نسى كل شيء وتفرغ فقط لدراسته من أجل أن يظفر بحبيبته وقد لاحظ أصدقائه ذلك واختفائه المستمر عنهم حتى أخبرهم أنه الآن على علاقة معها لحين انتهائه من الجامعة سوف يقوم بخطبتها ثم الزواج منها، حسده الكثير على ذلك ففتاة مثل منى بجمالها الآخَّاذ لا توجد بكثرة في مثل تلك المناطق ليأتي يومٌ أخر يلتقى فيه مسعد مع منى وقد قاربا على العودة لتأخر الوقت.

- أنا لازم أسيبك دلوقتي عشان داخلين على الشارع مش قادر أوصفلك انا بحسب الأيام إزاى لحد مخلص وعايز أبشرك إنِّ دكتور زميلي بس أكبر مني عرض عليا شغل معاه في العيادة عنده في مقابل أجر كويس جدًا، الظروف كلها أحسن دلوقتي وعايز اني أخطبك النهارده قبل بكره.

- ألف مبروك يا حبيبي، أنا برضو مستنية اليوم ده اللي هبقى فيه مرات الدكتور مسعد، والدي ووالدتي كانوا هيفرحوا جدًا باليوم ده ربنا يخليك ليا يا رب.

- طيب يلا لما تروحي كلميني ماشي و أنا هروح عشان عندى مذاكرة دلوقتي. يودع الحبيبان بعضهما ويذهب كلٌ منهما إلى بيته، تقوم منى بفتح الباب وإضاءة الأنوار لتدخل إلى غرفتها لكى تقوم بترتيب بعض الأشياء لتسمع صوتًا مُريبًا في الخارج فتنظر لتجد شخصًا ليس بغريبٍ عنها يقف أمامها وهو يلهث وعيناه بارزتان إلى الأمام.

- البرنس! انت دخلت هنا إزاى وجاى تعمل ايه؟

- اهدي بس يا منى أنا جتلك عشان بحبك، أنا اللي بحبك مش مسعد ده، أنا بعبدك يا منى انتي بتاعتى أنا وبس.

- انت بتقول إيه! انت اتجننت وأكيد شارب حاجه، اخرج لأصوت والناس كلها تيجى تشوفك هنا.

- انتي فاكرة إنّ مسعد ممكن ياخدك مني ده فاشل و أنا راجل بشتغل وبكسب فلوس كتير ومعايا ورشة كبيرة بس تبقي معايا وهخليكي تلعبي بالفلوس.

تهم منى للصراخ فيُسرع البرنس ويكتم فمها بيديه ثم يشدها إلى الفراش ويبدأ في تمزيق ملابسها وهو يلهث قائلًا:

- انتي بتاعتي أنا وبس أنا بعبدك بعبدك، تحاول منى التخلص منه بشتى الطرق تُحرك جسدها في مختلف الاتجاهات لكنه يحكم قبضته عليها جيدًا، يبدأ الآن في تمزيق ملابسها بالفعل يُقبلها في وجهها ويتغلغل إلى الأسفل رويدًا رويدًا وعلى شفاهه كلمات مثل بعبدك، بتاعتى، ملكي، يستمر فى ذلك إلى أن يجعلها شبه عارية وهو أيضًا يقوم بخلع ملابسه ويده الأخرى ما زالت في موضعها، يجعل جسده فوقها تمامًا لكى يُحكِم قبضته على تحركاتها، وفي نفس الوقت يجلس مسعد منغمسًا في مذاكرته مترقبًا اتصال فتاته التى عشقها ويجتهد من أجلها، لا يعرف ما يحدث معها في تلك اللحظات الصعبة، ها هو البرنس يقوم بالتوغل في

جسد منى أكثر فأكثر وهي لا تستطيع فعل أى شيء سوى البكاء بحرارة ودموعها تتساقط بغزارة تتذكر في أفعال البرنس بها حبيبها وصديقه مسعد فتزداد عزمًا على التخلص منه وفي لحظة ضعف تستطيع الإفلات لتُسرع إلى خارج الغرفة وهي تصرخ ليُنجدها أحدهم،يلحقها البرنس سريعًا ليكتم أنفاسها دون شعور منه باختناقها تحت يديه إلى أن يكف جسدها عن الحركة معلنًا بذلك أنَّها قد فارقت الحياة، ينظر البرنس إلى يديه لا يصدق ما اقترفه، يقوم بفتح الباب بسرعة ويهرب بعيدًا تاركاً فتاة شبه عارية على الأرض قتيلة، دموعها تعلو وجهها المليء بالكدمات.

***

مرَّ يومان كما ذكر الشيخ حسن إلى الفتى الغامض قُصى لم يذهب فيهما إلى المكتبة فقط اكتفى بالجلوس في بيته الذي يقطن فيه وحيدًا دون أهل أو صحبة، لا معلومات عن ماضيه أو كيف يعيش بتلك الطريقة ولم يلعب في طفولته مع أصدقاء الشارع كما يقولون أو يُمارِس تلك الفترة على الأقل بشكلٍ طبيعي إنَّما اكتفى بعزلته ودراسته منذ سنه الصغير، كَبُرَ وهو على تلك الحال لا يعرف أحد ولا أحد يعرفه، لكنه اتَّسم وسط سكان المدينة الذين ارتابوا في أمره بالفتى المُتمتم لأنه كان دائمًا ما يُحرك شفتيه لتخرج منها كلمات مبهمة وبصوتٍ خافتٍ مُريب أثرها على من يسمعها مُخيف ونتيجة لذلك ابتعد المجاورون له عنه وأمروا أطفالهم بعدم الاقتراب منه.

وبعد طول انتظار آتى اليوم الثالث أخيرًا، يتخذ الفتى دربه إلى المنزل المذكور له من قبل الشيخ والذي يبتعد عنه الكثير ليمشي في العديد من الأزقة والطرق الوعره وبينما هو في طريقه يرى جنودًا أشدَّاء يترجلون من على أحصنتهم والغرور يتملكهم ليحكموا قبضتهم على بائع الخضراوات يجمعون منه المال وهو يصرخ لعدم قدرته على دفع القيمة التي يُريدونها

منه غصبًا و اقتدارًا، يبدأون في تسديد الضربات له و إفساد بضاعته بالسيوف وسط أنظار المارة الغير قادرين على الحديث والذي غلب على وجوههم الآسى، يرى الفتى ما يحدث فلا يُحرك له ساكنًا بل يستمر بالمضى إلى أن يسمع أحد الجنود يقول متفاخرًا:

- لن يُنقذك من غضبنا بشر أو جان بعشائرهم أجمعين، ما يلبث أن يسمع قُصى تلك الكلمات حتى يُحول وجهته ليمر بجانب أحد أحصنة الفرسان فيضع يديه في خلسة على حصانٍ أبيض اللون ليتلوا تمتمته ويمضى، يستمر الجنود في الإطاحة بالرجل المسكين دون رحمة ليتوقفوا فجأة وهم يسمعون صوتًا مزعجًا قادمًا من الخلف، ينظر أحدهم فيجد أحصنتهم قادمة تجاههم وهي في حالة هياج تام، يصرخ في أصدقائه الذين يوجهون سيوفهم نحوهم وهم يرتعدون من الخوف، ترفع الأحصنة أرجلها إلى الأعلى لتُنزلها بقوة على أجسام الفرسان حتى يسقطوا أرضًا وتُكمِل على وجوههم مرارًا وتكرارًا في مشهدٍ دموي ينأى له الجبين والذي تعجَّب له المارة غير مصدقين ما يرونه فالجنود التي كانت تغتر بأنفسها منذ قليل تفقد حياتها عن طريق أحصنتهم، ثم يتقدم الحصان الأبيض من البائع الذي ينظر إلى المشهد وقد تجمدت الدماء في عروقه وعجزت أرجله عن الحركة ليجده يتودد له، يقترب البائع منه يشكره ويقول للناس:

- تلك الأحصنة والله لأفضل منكم جميعًا فقد نصروني و أنتم عني غافلون وبمجرد إنهائه لكلمته يُظهِر الحصان أسنانه ويعض البائع في رقبته الذي اتَّسعت عيناه وصرخ صرخة مدوية وهو ينظر إلى دماءه المتناثرة بشدة على الطريق حتى توفته المنية، يُغادر الجميع المكان مهرولين بعد ما حدث والخوف يدب في قلوبهم ليبتعدوا وهم يصيحون:

- الله اكبر الله اكبر.

يستمر الفتى في المضى قدمًا بملامحه الجامدة ليقول بصوتٍ خافت:

- يا لها من ضوضاء، معشر الجان لا ينقذ أحد أيها الفارس الشجاع.

وصل أخيًا بعد قطع الكثير من الطرقات إلى العنوان المذكور، إنه متواجدٌ الآن في منطقة انعدمت بها سبل الحياة يُحاوطها فقط الصخور والدكاكين المغلقة، يستمر بالسير دون تردد أو حذر ولا زالت تقاسيم وجهه كما ليرى منزلًا يبدو عليه القِدَم وأنَّ شكانه قد هجروه منذ سنوات وبينمل يسعى إليه يسمع أصواتًا قادمة نحوه لكنه يمضي غير مبالٍ بما يحدث ليسمع صوتًا يقول:

- أيها الفتى الصغير لا تتحرك خطوة واحدة إلى الأمام فقط التفت لنا، يتوقف قُصى مكانه ويفعل كما أُمِر ليرى عددًا من الجنود المتراصة وهم يُشهرون سيوفهم نحوه وصوتٌ يقول:

- أسنقتل طفلًا صغيرًا مثل هذا يا سليم؟!

- نعم فهل لديك إعتراض؟

- لا اندهشت فقط من الأمر ومع ذلك حسنًا لنفعلها فلا تغضب.

يتقدم سليم إلى الفتى الواقف دون حراك وسيفه بقضبته ليقول ضاحكًا:

- لا تخف سأقتلك بهدوء ودون أن تشعر بشيئ.

مع اقتراب سليم منه يُخرِج قُصى من حقيبته الصغيرة حلقة دائرية تحمل عليها نقوشًا غامضة يُمسكها في قبضته ثم يُصدِر صوتًا مزعجًا.

يندهش سليم ممَّا يحدث ليقول:

- ما هذا الشيء الذي تُمسِكه! أيها الأحمق هل تعتقد أنه سيحميك مني؟

لا يرد قُصى عليه فقط يكتفي بإكمال ما بدأ وتثبيت نظره على الأرض، يتوجه سليم الغاضب من تجاهل الفتى له نحوه ليوجه سيفه تجاهه متعجبًا من وقوفه مكانه دون أن يُبدِي أى مظاهر تنم عن الخوف، ليسمع صوت رجاله في الخلف يصرخون، ينظر لهم مسرعًا ليجد عددًا هائلًا من الفئران تصعد على أجسامهم وتلتهم فيهم مسرعين، يلوحون بسيوفهم والفئران تزداد عددًا وقدرة كأنَّهم صاروا ذئابًا رأت غنمًا، ينقضون على الرجال من كُل مكان والصيحات تعلو الآفاق إلى أن يخروا صرعى وسط سائل من الدماء لا آخر له أمام أعين سليم الذي يُبصِر رجاله وميتتهم بتلك الشاكلة المنفرة الكريهة وهو غير قادر على تصديق ما يرى، دقائق وهو جامدٌ محلَّه ليُحول وجهته إلى الفتى فيجده محدقًا به ووجهه ثابتًا كما هو ليقول:

- م م مما من أنت ؟! اجبني من تكون بحق الله.

يتركه قُصى ليسير تجاه المنزل تاركًا رجلًا يضحك بشكلٍ هستيرى دون سبب ثم يبكي ليضحك مجددًا ويبكي مرةً أخرى إلى أن يُدخِل سيفه في قلبه وهو ينظر إلى الأعلى قائلًا:

- لم أحب الفئران يومًا.

يصل الفتى ليقف أمام المنزل المقصود وأخيرًا يبدأ في التحدث قائلًا:

- هل انتهيت الآن يا شيخ حسن من محاولة معرفة من أكون؟

يُفتَح الباب وخلفه يرى الشيخ و اقفًا يُمسِك بيديه لفيفة ثم يقول بصوتٍ ثابت:

- لم أتوقع يومًا أن يأتي أحدهم وينجح في اجتياز اختبار الثولاث.

- ألهذا جعلتني انتظر ثلاثة أيام حتى تقوم بتحضيره، لقد أضعت وقتنا سويًا يا شيخي العزيز.

- أنت تعلم أيضًا متطلبات الاختبار! حسنًا سأسالك أنا نفس سؤال هذا الأحمق من تكون أيُها الفتى؟

بصوتٍ ثابت وأعين كالصقر يرد قُصى قائلًا:

- أنا لا أحد، أنا أنت أُحب من أحببت وأكره من كرهت كم وودت أن أعيش وكم تمنيت أن أموت، أنا وهم تحول إلى حقيقة وحقيقة صارت دروب الخيال لم أكن نفسي يومًا ما وسأظل كذلك ما حييت أنا فقط أبحث عن الخلود فهل عرفت الآن من أكون؟

يندهش الشيخ في بداية الأمر ثم يبتسم ويضحك بشدة قائلًا:

- هذه المرة الأولى التي أعجز فيها عن حل أُحجية بشر، إذًا لقد صدقت النبوءة فيا تُرى هل ستكون صاحبها، من الآن أنت تلميذي لفترة من الزمن سوف تعرف العهد وغيره ثم ستنال مُرادك لتبدأ رحلتنا من الآن سنجوب الأرض وأنت معي وسأُعلمك السر الكامن الذي يرجع لماضٍ سحيق لا علم لأحدٍ به.

يبتسم قُصى للمرة الأولى ثم يقول:

- يبدو أنَّنا سنخوض الكثير معًا.

- لعلمك أنا أعرف إسمك الحقيقي.

يرتعش جسد قُصى للحظات وهو غير مُصدق لما يسمع ليُحول الشيخ وجهته إلى داخل المنزل وهو يقول:

- لست وحدك من يُخفِي الأسرار يا صغير، اتبعني إلى الداخل يا سعف ان!!

***

على طاولته يجلس دكتور حامد منعزلًا عن الجميع يكتب رسالة طويلة وقد اقترب من إنهائها مفكرًا في كل ما قام بكشفه ليُحدث نفسه قائلًا:

" يبدو أنَّ ما يحدث أكبر بكثير من مجرد مقبرة لا نستطيع فتحها ومن الأفضل للجميع تركها هكذا ففي أظنه الهلاك الذي لا قِبلَ لنا به ولا يعلم أحد من هؤلاء خطورة ما هم قادمون عليه من ظلمة ستنال الجميع وعلى ما اعتقد فنظمي باشا بمساعدة من معه اقتربوا كثيرًا من معرفة المفتاح اللازم لفتحها وهذه مصيبة فالأمر لا يقتصر على لعنة مصرية قديمة وملوك وضعت سحرًا على مقابرها خيفة أن تُسرَق إنَّما التعقيد يصل إلى حيوات أُناس بعد تلك الفترة بالتأكيد لهم آثر عظيم فيما سنُلاقيه قريبًا، لقد قمت بجمع كل شيء و اقترفت أمورًا من شأنها جعلي مؤمنًا "

ينظر حامد إلى جسده المُزين بالوشوم والكتابات العشوائية ثم يترك القلم من يديه ويضع ما كتبه في ظرفٍ صغير، يُخرِج الهاتف ويتصل بأحمد،...

- ألو، دكتور حامد أنا مش مصدق إنك بتتصل بيا أخيرًا، قلبت الدنيا عليك. - انت فينك دلوقتي.

- أنا رايح أقابل سعفان في القهوة أهه لو عايزني أجيلك علاطول ها.. يُقاطع حامد أحمد قائلًا:

- لا لا روحله أنا بس بكلمك أبلغك إنه فيه جواب أنا كتبته محطوط في ظرف أصفر صغير هيعرفك كل حاجه، الظرف ده أنا هحطه دلوقتي فى أامن مكان عن أى روح لحد ما انت تيجي تاخده هحطه في... هنا يسمع دكتور حامد صوتًا غريبًا يتبعه صوت أحمد قائلًا:

- أيوه يا دكتور هتحط الظرف فين؟.

- سلام دلوقتي يا أحمد وهكلمك بعدين، تُغلق المكالمة ليرتدي دكتور حامد حذائه مسرعًا مع شعوره بقرب حركة مموجه منه وكُلَّما اقتربت شعر بنغزات حادة بجلده أسفل الوشوم المرسومة ناتجة عن احمراره، يخرج على الفور من الغرفة المتواجد بها، يتحرك صوب المكان الذي دائمًا ما شعر فيه بالراحة وتخلَّص به من همومه، يتجه نحو لبنى وهو يُفكر قائلًا:

" يا إلهي ماذا أفعل لقد ضاقت عليَّ الدنيا كثيرًا إنني الآن لا أهرب من البشر فقط الذين يُريدون قتلي بل والجان معهم أيضًا لكن لا بأس غدًا سأقوم بكشف كل شيء فلم يتبقى لي إلَّا القليل لترجمته لإظهار حقيقة قد عفا عليها الزمن لكنني اليوم أريد أن استريح قليلًا ولا مكان أحب إليَّ أكثر من منزل لبنى "

صوت دقات الباب...

تفتح لبنى لتتفاجأ أن من يطرق هو دكتور حامد فتقول مُرحبه:

- أخيرًا شوفتك أنا كنت هموت عشان أوصلك إيه الاختفاء المُريب ده وإزاى متكلمنيش خالص الفترة دي كلها نسيت إني بحبك وبقلق عليك.

- عارف يا لبنى عارف أنا بس كنت مشغول شوية.

- شكلك مكتأب والدنيا صعبة معاك الأيام دي لا ده انت تسيبلي نفسك النهاردة فيه جوا في المطبخ إزازة بيرة وعندي نص كيلو كباب مشوي ثو اني و أكون محضرة كل حاجه.

يجلس حامد على الأريكة منتظرًا فتاته التي ذهبت إلى غرفتها ثم تخرج وهي ترتدي الفستان الخاص بها فينظر لها قائلًا:

- واضح إنّ النهاردة هيكون حرب نووية.

- انت مش هتعمل أى حاجه قبل متاكل عشان تكون صحتك كويسة انت مش شايف شكلك عامل ازاى؟!

- عارفه يا لبنى أنا اتجوزتك عرفي ليه مع إنك رقاصة.

- ليه؟

- عشان لسا فيكي طيبة زمان طيبة الناس القديمة اللى اتنست وهنا بنعزل تمامًا عن كل الشر الموجود والكذب والنفاق بتاع البشر زى الناس اللي عايزه تدمر البلد وتسرق آثارها أو عن اللي بيستخدموا أفظع الأساليب عشان يوصلوا لده ويدخلوا في عوالم مش وراها إلَّا الخراب.

تنظر له لبنى في بلاهة ليضحك دكتور حامد قائلًا:

- تعالي يا لبنى نعمل اللي انتي بتفهمي فيه خليكي بعيد عن مشاكلي.

- أنا متعلمة برضو يا دكتور وحاسه بيك وفرحانة إنَّك بتشاركني همومك.

- متقلقيش بكره كل حاجه هتنكشف وأوقفهم كلهم.

تذهب لبنى لتُشغل الموسيقى وترقص متمايلة وهي تقترب من حامد حتى تُصبح بين يديه لتُعطيه كأسًا من النبيذ وهو يُحاول إمساكها فرحًا وقبل أن يفعل ذلك تتعالى صرخاته ليقع على الأرض، تنهض لبنى على الفور من على قدميه مفزوعة قائلة:

- حامد حصلك إيه؟

- نَفسى يا لبنى مش قادر أاتنفس، إزاى مستحيل يكونوا هما أنا راسم وشوم عدنان ميقدروش يخترقوها.

- مين اللي بتتكلم عليهم، تقول لبنى ذلك والفزع يُسيطر عليها.

- لا لا مستحيل ا أاأا الوشم، مفيش احمرار حتى على الجلد يعنى إيه! أكيد فيه حاجه غلط.

عندها تضحك لبنى وهى تبتعد عن حامد قائلة:

- أكيد الوشم مش هيعمل حاجه ولا هيحميك لأنك هتموت بشيء أبسط من كده يا حبيبي، انت هتموت بالسم اللي شربته في الكأس،إيه رأيك يا حياتي في المفاجأة دي؟

- انتي يا لبنى، ازاااى، مو مم مستحيل تعملي معايا كده طب ليه لتبدأ قوى حامد في النقصان والضمور مع مرور الوقت و أنفاسه تخرج بصعوبة بالغة.

- ليه دي مش بإيدي،أنا منكرش إنِّ حبيتك بس انت تعديت الخط الأحمر وكان لازم تموت وكنت عارفة إنه مهما عملت هتجيلي في الأخر ما أنا لبنى اللي عارفة كل نقط ضعفك.

وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يقول حامد بصوتٍ خافت:

- انتي طالق.

تنظر له لبنى في ضيق وهو على الأرض حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة ثم تُخرج هاتفها و تطلب رقمًا ما وعندما يرد الطرف الآخر تقول:

- ألو، هات رجالتك ينضفوا الشقة، دكتور حامد مات يا نظمي باشا.

***

- عم شوقي نفس الطلبات و متنساش سحلب سعفان.

- بعد إذنك يا عم شوقي زود مكسرات وخليه تقيل عشان حاسس بهبوط.

- عنيا يا بهوات ومرحب برجوعك يا أستاذ سعفان.

- ياه يا جماعة بقالنا كتير متجمعناش كده الواحد مفتقد القعدة دي.

- أيوه والله يا كريم من ساعة المشاكل اللي بتحصل مع سعفان وإحنا كلنا مش زى الأول.

- أنا عايز بس الأول أشكركم يا أصدقاء على وقوفكم جمبي والمتاعب اللي سببتها ليكم كل فترة و بشكرك جدًا يا رضوى عشان أختي اللي مستضيفاها عندك لحد دلوقتي وأهلك دول فوق رأسي.

- متقولش كده يا سعفان المهم والدتك ترجع بخير بس وتلاقيها.

تُقاطع ندى الحديث قائلة:

- مالك يا أحمد حاسه إنَّك متوتر كده.

- مش متوتر وبلاش أسلوبك ده.

- طالما اتعصبت كده يبقى فعلًا متوتر.

- ندى إنتي عايزه إيه؟

- استهدوا بالله يا جماعة مش كده ده شيطان.

- يعني انت مش شايف يا سعيد بتكلمني إزاى!

- سعفان انت ناوي على حاجة الأيام الجاية ولا مش مخطط لسا؟

- لا يا سمر أنا أصلًا كلمتكم عشان نتناقش سوى كلنا انتوا زى اخواتي مش وأكيد واثق فيكم، عندها ينظر سعفان إليهم واحدًا تلو الأخر ليجدهم يُبادلونه النظرات في ارتياب.

يُخرج كريم ورقة وقلم من جيبه وقبل أن يتكلم يأتي عم شوقى بالمشروبات قائلًا:

-أهه السحلب يا أستاذ سعفان زى ما طلبته.

- يا سلام عليك يا عم شوقى شكرًا ليك، ليبدأ سعفان فى التهام المكسرات التي تعلو السحلب مع قطع الفواكه.

- طيب لحد ميخلص سعفان إيه رأيكم نكتب كل حاجه أو ملحوظة عند كل واحد فينا وبكده ممكن نوصل لحاجه، يُمسِك كريم القلم وينظر لأصدقائه لتبدأ سمر قائلة:

- أول حاجه لازم نعرفها علاقة دكتور حامد ب أحمد لينظر الذي ينظر لها غاضبًا لكنه يلتزم الصمت، يُسجل كريم أول نقطة ثم يأتي الدور على أحمد الذي يقول:

- السلسلة اللي إدتها ندى لسعفان فينظر الأصدقاء جميعهم إلى ذلك الثنائى والدهشة تعتليهم ليتوقف سعفان عن شرب السحلب ويقول:

- دي مجرد سلسلة مرسوم عليها، وقبل أن يُكمِل يقاطعه كريم قائلًا:

- إحنا مش هنتكلم فحاجه لحد منكتب كل النقط بعدها نشوف هنتناقش فإيه، ليُسجل كريم تلك النقطة أيضًا وبعدها يتكلم سعيد عن والد سعفان وما حدث في ذلك اليوم ثم يأتي دور سعفان الذي يقول:

- متنساش يا كريم تكتب أحلامي.

ينتهي الجميع من مشروباتهم ليستعدوا للبدأ في نقاشهم الهام حول تلك النقاط الأربعة وماذا سوف يُسفر عنه.

- أول حاجه نتكلم فيها السلسلة، إيه قصتها؟

قبل أن يشرح سعفان تُقاطعه ندى قائلة:

- أنا هقولهم يا سعفان السلسلة دي إيه، طبعًا كلكم عارفين إنّ طالع عليا إشاعات زي مغرورة عشان حلوة،غنية وذكية غير وضعي الاجتماعي

طبعًا، المهم يعني أكيد مكونتش أحب وجود سعفان في شلتي عشان وضعه وتفاهته دى ودايمًا أصحابي يتريقوا علينا بسببه بس في الأحداث الأخيرة، سعفان اتغير تمامًا وبقى شخص تاني كده شخص أنا معرفهوش وحسيت إنه بقى ليه أسرار عظيمة مش الشخص التافه بتاعنا اللي متعودين عليه ومقدرش أقاوم فكرة يكون فيه سر وندى متعرفهوش فحاولت اتقرب منه من غير محد ياخد باله وجبتله هدية عبارة عن سلسلة من الفضة عشان يفتكر إنّ بتقرب منه ومعجبة بيه بس معرفش إزاى شوفتني يا أحمد و أنا بخاطر وبعمل حاجه زى دي بس للآسف برضو معرفتش أى حاجه، أنا أسفة يا سعفان بس كلنا عارفين إنَّك بتحب رضوى وده سبب فشلي، يحمر وجه رضوى وهي غير مُصدقه ما تفوهت به صديقتها وتفقد قدرتها على النطق، يسقط كوب السحلب من سعفان عند سماعه تلك الكلمات المفاجئة والبقية ينظرون لبعضهم البعض منهم من يضحك في سره ومنهم من يتعجب لقول ندى ذلك بمنتهى البساطة وجراءتها اللامتناهية، تنظر رضوى إلى ندى وعلى وجهها تقاسيم مُخيفة ثم تسرق نظرات إلى سعفان الذي لا يستطيع توجيه بصره سوى إلى الأرض وهو يسب ندى بصوتٍ منخفض ليقاطع كريم الجمع قائلًا:

- أحلامك يا سعفان.

- أكيد فاكرين كلكم اليوم اللي قلوتلكم فيه عن الحلم بتاعي كامل لما افتكرته وأُغمى عليا، أنا اليوم ده بعد ما قلته شوفتكم كلكم في صورة بشعة مُقاربة للجن.

- نعم! انت بتقول إيه دي أكيد هلاوس يا سعفان، سعيد متحدثًا.

- أيوه شوفتكم كده بالظبط،فكرت كتير فى اللي حصل بعد كده حصلتلي حاجات غريبة في أحلامى وهو إنّ دايمًا ألاقي في آخر طريق مظلم

تمثال بيكلمني مُتمثل في نفس الصورة دى وبيقولي حاجات عجيبة مش مهمة دلوقتي بس اللي يهمني أنا جملته اللي بيقول فيها إنه شخص أعرفه من زمان، شخص من بينكم انتوا مخترق أحلامي وحياتي.

يُخيم السكون على الأجواء ليبدأوا في تبادل نظرات الشك فيما بينهم والذي هو موجود من الأصل وحديث سعفان الجديد أشعله ثم يُكمِل سعفان قائلًا: - أنا اتصلت بيكم النهاردة عشان كده، أنا روحت لشيخ وأرشدني إنه ممكن كل القصص دي تكون من تدبير بشري وكل اللي بيحصل بيأكد الكلام ده قبل منتطرق لنقطة دكتور حامد فيه شخص منكم هنا عارف كل حاجه، حد شايفنى بتعذب كده وساكت، أنا مش عايز أشك فيكم بس لازم تنطقوا.

بمجرد انتهاء سعفان تبدأ وصلة لا متناهية من تبادل الاتهامات وموضعها عند ندى التي تقول:

- انت يا أحمد.

- وليه ميكونش سعيد لأنه بدأ يقرب مننا جدًا الفترة دي، كريم متحدثًا.

- انت صاحبه من زمان و أكيد أكثر شخص عارفه وتقدر تأذيه بسهولة يا كريم .

- لا مش كريم دى سمر، تقول رضوى ذلك بنبرة ثابتة.

- و أنا هعمل كده ليه ولا عشان أحمد اختارني عنك؟

تنفعل رضوى وسط سخط سعفان لتقول:

- بر اقبك دايمًا أول مبتيجي سيرة سعفان ومشاكله بتبتسمي وممكن توصل معاكي لضحك خفي وكل ده ليه عشان أكيد فيه حاجة مش عايزاه يعرفها وفرحانة بكونه في مأزق.

تتصنم سمر محلَّها وكأنَّما استطاعت رضوى استنتاج حقيقة لا يقدر عليها أحد لتقول:

- انتي عايزه بس تخرجي نفسك برا محل الشك عشان عرفتي حقيقة حب سعفان ليكي و أكيد هيخرجك برا حسبة الشك.

يصرخ سعفان فيهم جميعًا قائلًا:

- كفاااااااية، أنا مقولتش كل ده عشان يحصل كده، كلنا غلط و أنا نفسي مش عارف هل أنا شخص كويس ولا وحش بس حبيت أوضحلكم تفكيري عشان نكون كلنا على نفس الخط.

- تمام يا سعفان خلاص كلنا نسكت و نبطل شك في بعض وهنكمل النقط بتاعتنا ومع الوقت هنعرف مين فينا اللي بيعمل كل ده لأنه بالشكل ده ممكن فعلًا نقتل بعض ليُكمِل كريم حديثه قائلًا:

- النقطتين اللي جايين مرتبطين ببعض، علاقة أحمد بالدكتور حامد ووالد سعفان لينظر الجميع إلى أحمد الذى يبدو قلقًا ثم يقول:

- أول حاجة، علاقتي مع دكتور حامد إنه الواسطة بتاعتي جوا الكلية، انتوا مش مستغربين عدم حضوري لأى محاضرة ودايمًا تقديري عالي، هو ده السبب دكتور حامد عشان ليه معارف كثيرة وسلطةوطبعًا فلوس والدي، افتكر هو ده السبب اللي خلَّاه يختارني أنا لأنه تجمعني بيه علاقة قوية وهيفضلني عن أى شخص فيكم.

- واضح كون الحديث ده يا شباب بيكشف أشياء خفية كتير منعرفهاش عن بعض، تقول ذلك ندى ساخرة.

- طبعًا لما جالي البيت ومعرفش ليه أصلًا عمل كده بالشكل ده لدرجة إنه دخل أوضتي زي الحرامية كأنه بيهرب من حاجة إذَّاني بس ورقة عنوان

والده وبلغني بكام نقطة تاني ومشي بسرعة وباقي القصة عند سعفان هو اللي شاف والده.

- أنا فعلًا شوفته و اتكلمت معاه بس مش عارف أحدد إذا كان هو ولا لا لأني كنت صغير أوي لما سابنا ومش فاكره والصور ضايعة والموجود منها حالتها غير سليمة بس مش ده المهم فيه حاجه حصلت قبل ما يموت هي دي اللي لازم تعرفوها إنه قلي على واحدة إسمها الشيخة انتصار.

- الشيخه مين!

- انتصار يا أحمد وبعد بحث عنها لقيت فعلًا إنه فيه واحدة اسمها كده بتاعة أعمال وسحر والحاجات المريبة دي في قرية فالمنوفية مش بعيد عن القاهرة.

- طيب وناوي على إيه يا سعفان هتروح عند الساحرة دى! الموضوع ده خطير. - أنا طبعت عنوانها بالظبط وناوي على كده فعلًا.

- طيب لازم حد مننا يروح معاك.

- لا يا كريم ده شيء خاص بيا وهخلصه لوحدي.

- لا يا سعفان أنا جايه معاك.

- انتي يا رضوى!

- و أنا كمان أكيد جاي معاك.

" كم أنت مستفز يا كريم هل هذا هو وقت شجاعتك، رضوى وحدها تكفي وتزيد " سعفان محدثًا نفسه.

- تمام كده اتفقنا هروح أنا ورضوى وكريم بكره المنوفية إن شاء الله وبقيتكم ممكن يشوفوا دكتور حامد مكانه فين بإختفائه الغريب ده و أكيد سعتها هنوصل لوالدتي، يكتم أحمد اتصال دكتور حامد له خيفة

أن يُزج به في تهمة أُخرى ليودع الأصدقاء بعضهم بعضًا بعد ليلة كشفت العديد من الخبايا.

***

ضوضاء صاخبة في أحد المنازل المجاورة يستيقظ عليها مسعد الذي غفا يوم أمس أثناء مزاكرته، يُمسِك هاتفه ليرن على منى لكنها لا تُجيب، يُهاتفها مجددًا دون جدوى، يُقرر الخروج إلى الشرفة فيجد زحامًا في الأسفل، يُدقق النظر ليكتشف تمركزه أمام منزل حبيبته فيدق قلبه متسارعًا لكنه يتمالك نفسه ويهرع إلى الأسفل فيُصعَق لوجود عددًا لا بأس به من سيارات الشرطة والإسعاف و أناسٌ كُثر لا يرددون غير جملة:

- لا حول ولا قوة إلَّا بالله ونساء من الشرفات تصيح كالغربان، يمشي مسعد من بينهم غير مُدرِك للأمر فقط قبضة تهلك كاهله وتُعيق عقله عن استنتاج الأمر، كُلَّما اقترب بطأت حركته وتيّبست مفاصله إلى أن رأى صديقيه، البرنس ووليد و اقفين ينظران إليه فى أسى، هنا بدت الظواهر توحي ببواطن الأمور ليسأل مسعد رفيقيه بصوتٍ يخشى الخروج:

- هـ.. هو حصل إيه يا جماعة لكل الزحمة دي؟!

يبكي البرنس أمامه بدموع التماسيح ويخبره وليد قائلًا:

- مو منى اتقتلت يا مسعد .. لا يُصدق مسعد ما سمع وهو يرى جميع أحلامه تتحطم داخل كلمات صديقه، فقط يكتفي بالنظر إليه وعيناه تكاد تنبثق من مقلتيهما قائلًا:

- منى مين اللي ماتت، انت أكيد اتجننت صح، عقله يا برنس وخليه يراعي كلامه، منى مماتتش لاااا.

يتركهم ويُسرِع إلى الداخل وهو في حالة هياج، يلحقه وليد والبرنس بسرعة ليمنعانه من ارتكاب أى فعلٍ أحمق، وبعد مشاحنات مع رجال

الشرطة يستطيع أن يرى فتاته التي أحبَّها وهي تلتف في غطاءٍ أبيض اللون فينهار ساقطًا على الأرض ليسحبه صديقاه إلى الخارج وهو يُحاول جاهدًا دفعهم بعيدًا عنه وسط صرخاته التي لا تتوقف.

- اهدى يا مسعد متجبش لنفسك مشاكل، ده قضاء ربنا و انت كده بتعذبها، صدقني.

- ماتت إزاى انطقوا، مين اللي عملها؟

- محدش عارف، اللي حصل إنِّ واحدة من الجيران نزلت تخبط عليها تسألها على حاجات عايزاها لقت الباب مفتوح بتدخل شافتها على الأرض وهدومها متقطعة، يُقاطع مسعد صديقه قائلًا:

- قصدك تقول إنَّها جريمة اغتصاب!

يسكت وليد بُرهة غير قادر على الرد ليتركه مسعد وسط صيحاته له عن وجهته دون أن يُعيره انتباهًا.

مرَّت ثلاثة أيام منذ ذلك اليوم الذي احتضن ذلك الحادث الأليم وقد ألحق بأهل المنطقة الحزن لأيام خصيصًا لمعرفتهم أنه بعد التحقيقات وتحليل الطب الشرعى قرر أنَّ هنالك حادثة اغتصاب قد لحقت بالفتاة ومن فعلها قام بخنقها خشية أن تقوم بالإفشاء عنه وما زال الفاعل مجهول لتبدأ الشرطة في تحرياتها عسى أن يتوصلون إليه، تنتشر القوات خلال الحى تسأل العديد من الناس وتجمع الأدلة وخلافه من الأشياء الهامة التى قد تنفعهم وها هو مسعد وصديقيه مع العديد من أهالى المنطقة يشيعون صلاة الجنازة على روحها ويقومون بدفنها بعد الإفراج عن جثتها وقد ظلَّ مسعد ثابتًا لا يتحدث لأحد ولا تهطل منه دمعة واحدة إلى استقرَّ جسدها داخل المقبرة وأُغلِقَ عليها لتنعم بالظلام الساكن.

يدخل مسعد غرفته سريعًا وسط أنظار أهله المشفقين عليه ولا يستطيعون حتى التحدث معه، يُغلِق الباب ويجلس على مكتبه يفكر فقط في كيفية معرفة القاتل الذي أقسم أن يقتله مهما كان الثمن وسيفعل لكن من يكون؟ حتى الآن لم تهطل دموعه فقط الصمت والصراخ بالتناوب للعجز الذي يشعر به حتى تذكَّر كتابه القديم وتلك الجملة التي سخر منها ليُحدث نفسه قائلًا:

" هل سأعود مُجددًا إلى طريق السحر والجان، ألم أعد منى ألَّا اقترب من تلك المحظورات مرةً أُخرى، لكن هيهات أين هي الآن! أسفل الأرض قد فارقت الحياة بسبب سافلٍ لن أرحمه وبالتأكيد وبتلك الشاكلة لن تتوصل الشرطة إليه وستُقيدها ضد مجهول لذا سأحقق انتقامي بنفسي "

ينهض ليبحث في ثنايا الغرفة والكتب المبعثرة عن الكتاب الذي كان يقرأ فيه قبل مقابلته لمنى ويُمرر الصفحات حتى يصل إلى غايته، الصفحة التي يُريد والجملة الملحقة بها:

" إذا أردت شيئًا بشدة ولا مجال لتحقيقه دون الاستعانة بالجان قم بتأديه تلك التعويذة وسوف يتحقق ما تريد لكن احذر ما أن تلبث وتفعلها فلا مجال للعودة "

يقرأ مسعد تلك الجملة ثم يبحث في الصفحة التي تليها عمَّا يفعله فلا يجد شيئًا يُذكَر إنَّما معلومات أخرى عن الجان، يعود للصفحة السابقة يتفصحها بدقة ونفس النتيجة، تخمد حماسته لكنه يتمسك بالأمل الضئيل المتبقي له فلربما تكون الجملة صحيحة بالفعل لكن بها لغز خفى يُفتش مرة أخرى وهو يتجول بالكتاب داخل غرفته إلى أن يلمح أنه عندما تقع الجملة تحت الضوء مباشرةً يظهر شيئًا ما، يُسرِع وُيحضِر مصباحًا ويوجهه إلى تلك الصفحة فيجد أسفل الجملة رقم هاتف يظهر

بوضوح ثم يضمحل شيئًا فشيئًا، يدونه مسرعًا ويُغلِق المصباح، يُفكر ماذا سيفعل به ليُقرر الاتصال بذلك الرقم فلا خيار آخر له وبالفعل يُخرِج هاتفه ويتصل على الرقم الموجود، قلبه يخفق و هاتفه يرن لكن دون استجابة، يُكرر اتصاله العديد من المرات ونفس الحال لا أحد يُجيب، يلعن الكتاب وصاحبه ثم يُغلق الأنوار ويذهب إلى فراشه يُفكر غير مدرك أن الساعة الآن قاربت على الثانية عشر ليلًا ومسعد جاثمًا على وجهه لا يفعل أى شيء سوى التفكير وتذكر حبيبته ليُقرر الاتصال بالرقم فهو لن يهدأ حتى يرد وأخيرًا تحدث المعجزة ليسمع صوت رجل يرد عليه فيقول:

- أ ألو لو سمحت هو ده، يسمع صوتًا يبدو أنه رسالة مسجلة، إذا أردت أن تؤدي تلك التعويذة سأخبرك الخطوات وستنال ما أردت دون أن أكون مسؤولًا عمَّا سوف يحدث لك أو يأتي من أجلك فإذا أردت الاستمرار قل "بلا" وإذا لم ترد أغلق الهاتف، يُجيب مسعد دون تردد قائلًا:

- بلا أريد، لحظات من القلق ثم يستمر الصوت المسجل في المضى قدمًا قائلًا:

- حسناً الآن قم بإحضار الكتاب وسجل كل ما سأقول، يسكت الصوت برهة عندها يُحضر مسعد الكتاب مهرولًا، يُنير الأنوار وينتظر، يستأنف الصوت الغريب عباراته المبهمه قائلًا:

- الكلمة الأولى في الصفحة الثانية، الكلمة السابعة في الصفحة الخامسة ،، الكلمة الثامنة والعشرون في الصفحه العاشرة ... الكلمة الخ الخ.يستمر الصوت في الحديث بنفس ذلك النمط ومسعد يُدون لبرهة من الزمن حتى ينتهي أخيرًا على صوته وهو يقول:

- والآن بعد تجميع تلك الكلمات سوف تُعطيك الطلسم الأول للسحر يُدعى بالطلسم القيعاني، سيأتي إليك خادمه وسيفعل كُل ما تريد لكن تأكد من أن تنفذ أوامره الأولى لك حتى يُطيعك وإن كنت ذو شأن فارفض وقاومه حينها ستكون ملكًا على الأرض، أخيرًا احضر خمسة شموع وقُم بتغطيتهم باللون الأسود و مرآه دائرية أمامك ثم ورقة الجوكر فى الكوتشينة و اكتب ذلك الرقم على المنضدة 50101023 .

تُغلَق المكالمة تاركة مسعد وأمامه الكلمات المُجمعة وهو لا يصدق أنه تلقى معلومات عن كيفية فعل طلسم صحيح دون تزييف وما يُزيده إصرارًا دافع الانتقام لحبيبته التي ضهبت ضحية مُجرم لا شأن له وها هي فرصته مُتاحة لفعل ذلك.

***

في الغد صباحًا يلتقي سعفان مع رضوى وكريم ليتوجهوا إلى المنوفية حيث تقطن تلك التي تُدعى الشيخة انتصار، يلتقون عند موقف السيارات فيجدون واحدة في الموقف غير ممتلأة بعد وقبل أن يذهبوا إليها تتقدم فتاة في عجلة لتركب بها، يتوقف سعفان وأصدقائه عن المضى فتلك السيارة باتت الآن غير مناسبة لثلاثتهم ليقرروا الذهاب إلى محطة قطار رمسيس واستقلال القطار إلى محطة أشمون، يتوجهون الى المحطة تاركين فتاة تودع صديقتها التي ركبت العربة الأخيرة قائلة:

- سلام يا أمنية هتوحشيني وهنتظرك تيجي تاني أكيد.

- أنا مش عارف أشكركم إزاى يا جماعة إنكم معايا دلوقتى.

- متقولش كده المشوار مهم ومش هنسيبك طبعًا يا سعفان.

- شكرًا يا رضوى، يقول ذلك سعفان وقلبه يخفق امتنانًا.

- طيب اخلص يا صديقي وكفاية رومانسية ورانا شغل وسفر، جبت معاك العنوان؟

- أيوه هنركب الأول لمحطة أشمون وهناك هننزل ناخد عربية للقرية اللي هي فيها ونسأل بقى عن مكانها.

- تمام يلا بينا.

يستقل الأصدقاء القطار من على رصيف عشرين متجهين إلى أشمون في رحلة تُشعرهم بالقلق، يعبرون العربة تلو الأخرى باحثين عن مقاعد فارغة حتى يجدوا مقعدين متجاورين، تذهب أولًا رضوى لتجلس في المقعد الداخلي المجاور للنافذة ليُسرِع سعفان لكى يجلس بجانبها لكن كريم يمنعه قائلًا:

- انت رايح فين يا سعفان، أنا اللي هقعد مش إحنا مسافرين معاك عايزني كمان أقف لا دولا انت على كرسي تاني.

- يا كريم سيبني أقعد جمب رضوى دي فرصة إحنا إخوات مش كده، يقول ذلك سعفان بصوتٍ خافت وببرود يتجاهل كريم كلام صاحبه ويذهب للجلوس ثم ينظر إلى سعفان نظرة المنتصر الذي يسبه داخله وسط نظرات من رضوى التي لا تفهم ما يدور حولها.

يستمر سعفان في المرور بالعربات باحثًا عن مقعدٍ فارغ دون جدوى ليبأس ويُقرر الوقوف في الممر بينهم لكنه يُفاجأ بأنَّ أحدهم يُشير له بيديه، يتقدم سعفان نحوه فيجده رجلًا هرمًا يرتدي ما يُسمى بالبُرنيطة، سوداء اللون ونظارة سوداء أيضًا، يُمسِك جريدة وأمامه كوبًا من القهوة ليقول:

- تقدم يا بُنى، اجلس بجانبي هنا، ولدي ذهب للخارج من أجل التحدث في هاتفه وقد أعلن عن خطبته حديثًا ومنذ ذلك الحين لا يفارقه الهاتف أبدًا، يقول ذلك العجوز ضاحكًا.

- أنا مش عارف أشكر حضرتك إزاى كنت بدأت أتعب من الوقوف فعلًا، ليجلس سعفان بجانب العجوز ويعود القلق إليه مفكرًا فيما يحدث له و ذهابه تلك المسافة من أجل سيده تدِّعى أنَّها ساحرة وكيف كان ظهور والده مطمئنًا له فقط للدقائق التي قضاها معه ليختفي بعدها إلى الأبد تاركًا له سر انتصار ثم وأخيرًا اختطاف والدته الذي يعتصره من الداخل وخصيصًا لا أحد يعلم كيف ومتى تمَّت هذه العملية ومن يكون ورائها والذي على الأغلب هو دكتور حامد لذا أماله مُعلقة بهذه الشمطاء التي يتوجه إليها.

يُقاطع تفكيره الرجل العجوز الذي بجواره قائلًا:

- أنا لا أعرف لما شباب هذه الأيام لا يتحدثون بالفُصحى فهي أرقى اللغات وأهذبها إلى النفس.

- الزمن اتغير يا حاج بس أنا أقدر أتكلم معاك بالفُصحى لو حابب.

- وهل تستطيع! فعلى ما يبدو لي من هيأتك أنَّك غير مُرتب.

يحمر وجه سعفان لتلك الصورة التي يأخذها الجميع عنه بُمجرد رؤيتهم له ثم يقول متحديًا:

- نعم استطيع.

يضحك العجوز ليُكمِل كلامه قائلًا:

- حسنًا ما هو إسمك وإلى أين انت ذاهب؟

- إسمي سعفان ورايح إلى أشمون يا حاج بإذن الله، أقصد ذاهب إلى أشمون.

- فقط دون أن تُناديني بحاج، لا تُشعرني أنني كبرت إلى هذا الحد و أنا إسمي أستاذ رضا، كم عمرك يا سعفان؟

- ثلاثة وعشرون سأكملها الشهر القادم بإذن الله.

- لا تستعجل على العمر يا ولدي، بعد مدة ستصير عجوزًا مثلي.

- رزقك الله العمر المديد والصحة لترى أحفادك.

- قل لي هل تريد أن تتزوج أم لا؟

- بالتأكيد أريد جدًا يا أستاذ رضا لكن من أحبها صعبة المنال وحتى إن رضيت وقبلت بي لا أظن أنَّ أهلها سيرضون بذلك وفي الأخير ستخضع لهم وتتزوج شابًا غنيًا وتعيش في عذاب.

- أضحكتني كثيرًا يا سعفان لما هذا التشاؤم الذي يُسيطر على عقلك لتسمع إذًا القول الحكيم من رجل خاض الكثير، يعتدل العجوز في جلسته قائلًا:

- المرأة يا ولدي إن أحبَّتك بصدق فعلت كل ما تستطيع من أجل أن تظفر بك ستقف أمام أهلها، جيرانها، أقربائها، والجميع وإن سخطت عليك ذاقتك من مر الحياة ما لم تره وأمَّا إذا أحبَّتك بالفعل ولم تجد السبيل إليك فتزوجت كما تقول مكروهة لا تظن أنها هي من ستعيش في عذاب كما تقول بل أنت من سيذوقه كل يوم هل تعلم لماذا؟

- لا، فكيف لي أنا أن أذوق عذاب الفراق وحدي!

- لتجعل تلك الجملة راسخة في عقلك ما حييت:

" أحيانًا أن تُجبر على الاختيار يكون خيرًا من أن تختار"

- فهمت وسأتذكرها كل يوم.

- جيد، هل تعلم أنني تزوجت بعشرين جنيهًا فقط.

يبتسم سعفان وهو يقول:

- العشرين جنيه دي دلوقتس متجبش ساندوتشين فول اأقصد في زمننا هذا لا تكفي، عذرًا إن خالطت العامية حديثي فلم اعتد على التحدث بالفصحى.

- لا عليك مستواك جيد ولا أعيبك، أعيب فقط من تناسوها فنسوها.. لحظات من الصمت تسود وسعفان يُفكر فيما قاله هذا الرجل وتلك الجملة التي أصابته في مشاعره كالسهام وجعلته قلقًا على مستقبله مع رضوى هل بالفعل الإجبار على الزواج يكون أفضل من أن تجلس ولا تستطيع اختيار غيرها، ليقطع العجوز فِكره مجددًا قائلًا:

- ما رأيك أن نقوم بعمل شيءٍ مختلف.

- ماذا سنفعل؟ يقول ذلك سعفان بشغف.

- سنلعب سويًا لعبة شيقة جدًا لن تمل منها أبدًا.، سأقرأ لك الفنجان، يسمع سعفان هذه العبارة فيخمد حماسه قائلًا:

- كنت أعتقد أنها لعبة حماسية مثل ألعاب الكوتشينة لكن لا بأس فقط قراءة الفنجان كيف ستفعلها هنا؟! ثم إنَّك تحتاج فنجان قهوة شربته حديثًا وهذا لا يمكن الآن.

- لا يُهمني ما تقول فأنا لست كالجميع.

- وكيف هذا؟

- يكفيني فقط أن تشرب من الفنجان الذي سأُعطيه لك وعندما تفرغ سأقراه.

يُوافق سعفان وسط اندهاش منه للأمر فتلك تجربة مثيرة بحق وبالفعل يبدأ العجوز في تحضير ما سوف يفعل، أولاً يُخرِج فنجان فارغ من حقيبته المُلقاه بجانبه ثم يُخرِخ ما يُدعى ب (الترمس) الذي يوضع فيه الشراب ليحتفظ بسخونته، يضع قليلًا من الشاى الموجود بداخله، ثم يُعطي سعفان الفنجان الذي يُحاول شربه كاملًا بأقصى سرعة لديه لحماسته فتذوب شفتاه من الحرارة.

- على مهلك يا بُنى ما زال الطريق طويلًا.

- أنا بخير لا تقلق لكن ما هذا الشيء الذي شربته فمذاقه غريب جدًا.

- لا يهم الآن اعطني الفنجان لنبدأ في الكشف عن أسرارك، يُمسِك العجوز الفنجان ويقلبه يمينًا ويسارًا ثم يخلع نظارته السوداء، تعلو الصدمة وجه سعفان وهو يكاد أن يصرخ لولا أن وضع يديه على فمه، يكتشف أنَّ العجوز فاقدًا لبصره يصمت سعفان، ينظر إليه بأعين مُشبعه بالرفق ثم يتابع تحركات يديه وماذا تفعل.

بعد أن خلع العجوز نظارته بدا وجهه عابسًا ليُقرب الفنجان أمام عينيه ثم يقول:

- أشعر أنك تفاجئت، لا تقلق فقُدرتي على القراءة لن يُعيقها فقداني للبصر بل تتعلق بالبصيرة فقط، هيا نروي لك ما تريد سماعه:

- أنت شاب لم ترض يومًا عن حياتك، كثيرًا ما كنت وحيدًا خائب الأمل ساخطٌ على وفاة أحد أقربائك وتتمنى رجوعه إليك بأى ثمن، يندهش سعفان لكنه يُجيب مسرعًا:

- نعم إنه والدي فقد توفى منذ زمن بعيد،.. يُكمل الرجل حديثه قائلًا: تحب فتاة لا تراك إلَّا في صورة أخ وبقية حياتك ليس بها الأمر الجلل، ثم يقلب الفنجان مجدداً ليُكمِل ما بدأه قائلًا:

- طريقك يرتسم لي الآن مليء بالنور والأشجار الخضراء مع أصوات العصافير التي تُضفي شعورًا بالبهجة لكن لحظة ما هذا!!

- ماذا حدث يا أستاذ رضا، ما الذي تراه؟!

- يبدو أنَّ هناك ما يُعيقك عن دخوله ومسارك يتحول إلى دربٍ آخر، وحلٌ عفن مكتظ بالسواد والظلمة أراك تتواجد به مكبلًا وعند كل منعطف يوجد حارس لا أرى وجهه إنَّما أشتم رائحته المنفرة، يتعرق العجوز بشدة وهو يصف ما يقول وسعفان يُلاحظ ذلك لكن حاله ليست بأفضل منه فهو أيضًا قلق شديد الذعر، فكلام ذلك الرجل يبدو صحيحًا بما آلت إليه أموره ولا يعرف كيف استطاع معرفة كل هذا من فنجانٍ صغير وهو ضرير أيمتلك تلك البصرة حقًا! وذلك ما يدعو للخوف، يُقلب الرجل الفنجان مجددًا لكن تلك المرة بصعوبة بالغة فيضعه قريبًا من عينيه البيضاء مكملًا:

- كما ذكرت عند كل منعطف يوجد حارس يبدو أنهم أعوذ بالله من الجان وبجوارهم إمرأه عجوز تُمسِك مجموعة من الورق وكُلَّما حاولت الهروب من هذا المكان تقوم بسحبك إلى الطريق مجددًا، انظر إنه طويل جدًا.

ينظر سعفان إلى الفنجان فيجد فراغاً لا شيء أكثر من بقايا السائل الذي شربه ثم ينظر للعجوز الذي يتابع حديثه قائلًا:

- نعم إنني اقترب من نهايته، اقترب بشدة لترتفع نبرة الرجل أثناء حديثه ويبدو على صوته تسارع نبضات قلبه ليصرخ قائلًا:

- في نهاية المطاف ستلتقي به وجهًا لوجه فيا تُرى من سينتصر، لا أصدق إنني أرى الإجابة أمامي واضحة لكن كيف! لا لا ابتعدوا عني ابتعدوا، جسده العجوز ينتفض بأكمله، يُحاول سعفان انتزاع الفنجان من بين يديه المتصلبه لكنه يشعر بوجود قوى غامضة لا يشعر بها تجعل

الفنجان ملتصقًا به إلى أن ينجح في النهاية في إزاحته عنه، يتجمع العديد من الناس حولهما للصخب الذي حدث حتى يهدأ العجوز وسعفان خائف ممَّا حدث، وقبل أن يسأله يسمع صوتًا من خلفه يقول بحدة:

- ماذا حدث! ماذا فعلت لوالدي؟

- ينظر سعفان إلى الوراء فيجد شابًا طويلًا يرتدي بذلة سوداء بل إنَّ جميع ما يرتديه أسود اللون، وجهه شاحب للغاية وعيناه جامدتان لا ترمش حتى، يُحدق به في غضب ليرد قائلًا:

- معملتش حاجة والله والدك بس كان بيقرأ الفنجان... يُقاطعه صارخًا:

- فنجان آخر وضحية جديدة، يُزيح الشاب سعفان عن مكانه ليُمسِك والده يتفصحه فيسمع سعفان العجوز وهو يقول لإبنه:

- ابعد ذلك الشيطان عني بسرعة.

تنزل تلك الجملة على سعفان كأنَّما غُرِزَ في قلبه خنجرًا ولم يُحرك ساكنًا بل تذكَّر وصف والده له بمجرد رؤيته بالشيطان أيضًا، يأمر الشاب سعفان أن ينصرف وسط أنظار الجميع الذين أغمروه بتلك النظرات الحادة كأنه شيطانًا بالفعل فيهرع إلى خارج تلك العربة وهو ينظر إلى يديه يتفحصها متسائلًا، هل هو بالفعل شيطان، يسقط على الأرض ثم يتابع سيره إلى عربة صديقيه.

***

داخل شقة دكتور حامد يتواجد عددًا من رجال الشرطة والجيران وهم يشاهدون في الداخل جثته معلقة بالأعلى، مربوطًا من عنقه بحبل شديد الإحكام، يقوم رجلان من الإسعاف بإنزاله برفق ليحملوه إلى الأسفل، بجانبه يوجد ظرفًا أصفر اللون على الطاولة يفتحه الرائد

سراج الذي يترأس قوات الشرطة في المنزل ثم يقرأه وبعد الانتهاء منه يسمع صوتًا من الخارج يقول له:

-مين اللى قتله يا حضرة الظابط؟

- قتله! لا دي شكلها عملية انتحار شنق نفسه وكاتب جواب بخط إيده عن إنه انتحر لأنِّ حياته مبقاش ليها قيمة ومفيش حتى أى دليل على إنَّها جريمة قتل.

- بس دكتور حامد عمره مكان كئيب أو لاحظناه بيمر بأزمات نفسية، أنا مستغرب جدًا.

- الحاجات دي بتحصل فجأة نتيجة ظروف أو ضغوطات لسا هنحاول نكتشفها بشكل عام لسا الجثة هتروح للطب الشرعي للتأكد وبإذن الله ستظهر الحقيقة.

- شكرًا على مجهودكم.

- مفيش شكر ده شغلنا يا أفندم.

ينتهي الفريق من معاينة المكان وإنزال الجثة ثم أخذ البصمات ووضع الظرف وبداخله الجواب الذى كُتِبَ ليكون ضمن الأدلة ليتوجهوا إلى الخارج و أثناء ذلك يأتي اتصال إلى الرائد سراج الذي يقول:

- ألو، أهلًا يا حسام عامل إيه، أخيرًا سمعنا صوتك.

- قولي بس يا سراج مش وقت سلامات حقيقي اللي سمعته إن دكتور حامد اتقتل؟

- هو نص الحقيقه بس.

- يعنى إيه؟!

- هو مات اه بس اتقتل لا، لقيناه في بيته شانق نفسه وكاتب جواب فيه اللي يأكد كده.

- مات الدكتورمات.

- انت تعرفه ولا إيه يا حضرة الرائد.

- لا لا أبدًا قولي بس مش ممكن إنّ الجواب مش بخط إيده ويكون ده تمويه لجريمة قتل.

- وارد بس أنا قارنت خطه في كتب ليه مع الجواب ولقتهم زى بعض وغيركده هنرسل جثته والجواب للطب الشرعي وأكيد هيأكدلنا ده بس قولي صحيح مين قلك إنه مات؟

- هاه، اتصلت بيك في القسم قالولي طلع عنده تحقيق عن قتل دكتور إسمه حامد في كلية أداب قسم الآثاربالشكل ده عرفت وكلمتك.

- طيب وإيه مش هنشوفك يا حسام عايزين أكلة جمبري من بتوع زمان عشان صاحبك أدائه بقى في النازل، سراج ضاحكًا.

- انت بالجمبري أو من غيره أدائك في النازل سلام دلوقتي وهكلمك بليل.

- سلام يا رائد.

يُغلِق الرائد حسام الهاتف لتتغير ملامح وجهه إلى الحزن الشديد والغضب وهو يتذكر صديق القِدم حامد الذي عاش معه فترة طويلة في السابق، ثم يقف أمام صورة معلقة على الحائط بها شخصان يبدو أنه هو وبجانبه حامد لكنهما في سن أصغر على الأغلب، ليُحدث الصورة قائلًا:

- موتك ده مش هيمر مرور الكرام يا حامد أقسملك إنّ هقبض عليهم كلهم و هنهى كل اللي انت بدأته ومتقلقش موت سعفان على إيدى أنا.

***

بعد ساعة منذ حدوث تلك الو اقعة مع الرجل العجوز، يصل القطار أخيرًا إلى محطة أشمون لينزل الأصدقاء الثلاثة منه وسعفان ما زال صامتًا لا يُخبِر أصدقائه بما حدث معه، يقف على الرصيف ثم يذهب إلى الخلف قليلًا باحثًا عن العجوز من أجل الاطمئنان عليه من النافذة و أثناء ذلك يسمع صافرة القطار تبدأ لتُعلِن عن تحركه من الرصيف، يزيد سعفان من خطو اته إلى أن يجد غايته، العجوز جالسٌ على كُرسيه متكأً برأسه على النافذة في ثبات يطمئن قلب سعفان أنه بخير ويهم للمُضى نحو أصدقائه الذين يصيحان فيه للتحرك لكن مرة واحدة ينتفض العجوز من موضعه فيُلاحظه سعفان الذي يترقبه قلقًا أن يكون مكروهًا أصابه فيراه يُوجه رأسه نحوه كأنه يراه ثم يكتب على يديه بقلمٍ معه بضع كلمات و القطار يتحرك بالفعل، يمشي سعفان موازيًا للقطار ثم يرى باطن كف العجوز ملتصقًا بالنافذة ليقرأ ما كُتِبَ عليها:

,,, لا تذهب إلى الشيخة انتصار حتى لا تُعجِّل بهلاكك ,,,

يرى سعفان تلك الجملة فتتسع عيناه ويصرخ في الرجل الجالس قائلًا:

- انت مين انطق وعرفت إزاى، يتحرك القطار وسعفان يجري ورائه حتى يقع على الرصيف وسط ذهول من المارة بما فيهم صديقيه ليكون أخر ما رآه هو منظر العجوز وهو يبتسم له.

- حصل إيه يا سعفان؟ ومين الشخص اللي بتصرخ فيه ده.

سعفان على الأرض متجهم الوجه عقله لا يُسعفه لتحمل تلك الضربات المتتالية ولا يسعه سوى الفتكير في هيأة العجوز ونظراته الأخيرة له والتي لن ينساها أبدًا.

- سعفان حصل إيه! رد عليا.

- هاه لا لا مفيش يا رضوى أنا بس افتكرت الراجل اللي شوفته فالقطرده شخص متوفي أنا أعرفه وطلعت هلوسة.

- إيه حكايتك مع الأموات اللي بتصحى الفترة دي، طب يلا بينا عشان منتأخرش.

ينهض سعفان ليتحرك على مضض وهو يُفكر في العودة إلى القاهرة مجددًا والهروب بعيدًا عن هذه البلد، الهروب من ذلك اللقاء، الهروب من كلمات العجوزوالهلاك الذي ينتظره، أفكار كثيرة تجول في خاطره ولا يدري كيف يتصرف لكنه في الأخير استسلم للذهاب إليها فلا مجال للعودة الآن، يتجه الثلاثة صوب موقف السيارات ليتحدث سعفان قائلًا:

- دلوقتي المفروض نروح قرية إسمها طاليا.

- إيطاليا، هو فيه قرى في المنوفية بالإسم ده!

- طاليا يا بني ءادم إيطاليا مين بس تعالوا ورايا نشوف العربيات اللي ممكن تودينا وبعد العديد من الأسألة يجدون المكان المخصص للذهاب لها، يركب الثلاثة وتنطلق السيارة، يجلس سعفان شارد الذهن يُفكر فيما حدث ومع اقتراب المسافة يخفق قلبه أكثرفأكثر.

***

- يا طاهر انت متأكد من اللي عايز تعمله ده؟

- أيوة طبعًا لا سحرة ولا غيره مش كفاية الدجالة انتصار بتاعتك دي ، أنا هتصرف بنفسي، هستناها ترجع البيت وعرفت إنَّها هتوصل قريب وهقف معاها في مدخل بيتهم، والدها ووالدتها مش في البيت دلوقتى وده أنسب ميعاد للوقوف، أمنية بتاعتى أنا وبس.

- أنا خايف يا طاهر.

- لا متخافش انت بس ر اقب المكان لو لمحت حد تتصل بيا علاطول.

***

داخل القرية وبعد الوصول يقف الأصدقاء وسط الأرض الزراعية وهوائها العليل ليقول كريم:

- سعفان مستغرب يعنى إنَّك معقبتش على الناس اللي كانت بتتكلم قدامنا

-إيه! ليه هما قالوا ايه؟

- لا ده واضح إنَّك كنت سرحان بقى يا رومانسي، أبدًا يا سعفان اتكلموا عن قرية قريبة من هنا نساءها مشهورين بنزولهم للشغل بكثافة كبيرة في الأرض زى الرجالة بالظبط.

- بجد يا رضوى مصر دي كبيرة أوى كل مكان وله تقاليده وعاداته.

- تعالى بقى نسأل عن الشيخة بتاعتك دي، معرفش أنا إزاى الناس بتقولها اللقب ده وهي دجالة بتضحك على الناس.

- اسكت يا كريم ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم لحسن تكون بتاعت عفاريت صح.

يبدأ سعفان، كريم ورضوى في سؤال كل شخصٍ أمامهم ولا يستغرقوا كثيرًا من الوقت حتى يجدونها لشهرتها وسط الأهل والناس فيتوجهون إلى حيث تقطن، يدخلون إلى منزلٍ مكون من ثلاثة أدوار على عكس عادات منازل أهل القرى ذات الطابق الواحد، بعد ذلك يجدون أنفسهم في ساحة واسعة على أرض لينة بها العديد من الكراسى ومكتب في المنتصف يجلس عليه أحدهم وهو يُمسِك قلمًا يُدون به في دفتر أمامه أسماء أشخاص يحادثونه، يتوجهون إليه ليسددوا ثمن الدخول ويكتب الرجل أسمائهم ليبدأ قلب سعفان في الخفق مضطربًا وهو يتذكر كلمات ذلك العجوز، يجلسون طويلًا إلى أن يحن موعدهم فيُنادي الرجل عليهم ثم يكتفي بالإشارة فقط إلى الطريق الذى يجب عليهم سلكه للوصول إلى غرفتها، يمشي الأصدقاء إلى ممرٍ ضيق رطب مُحاط بالألوان الحمراء ليصلوا بعد ذلك إلى غرفة متوسطة الحجم وبداخلها إمرأة تجلس في ركنٍ بها وأمامها أبخرة تتصاعد من كل إتجاه، لأول مرة يتواجه سعفان مع انتصار و قلبه يكاد ينبثق من مكانه وهي تُركز بصرها عليه بعينين بارزتين فيجدها تُحرك شفاهها مُحدثة الهواء كما يظهر للأصدقاء وسط تعجب منهم.

***

قبل دخول سعفان بدقائق ومع خروج الرجل الذي أمامها يأتي إليها سانوخ قائلًا:

- أشعر بقوى تقترب منك لا اتبينها.

- ماذا تقصد؟!

- سوف يدخل إليك الآن ثلاثة أشخاص من بينهم روحٌ تمتلك ثِقَل تمنعني من تجاوزها.

- غريب، هل تعتقد أنهم يُسخرون الجان مثلي؟ وهذا اختبار.

- أو ربما يكونوا أناسًا صالحين يحصنوا أنفسهم باستمرار، لم نعلم بعد جئت فقط لتحذيرك ولا تقلقي سأكون بجانبك.

***

يتوقف الثلاثة مكانهم عند رؤية هذه السيدة المحاطة بالأبخرة حتى تُشير إليهم للتقدم، يتوجهون نحوها ثم يجلسوا على المقاعد التي أمامهم، في ذلك الوقت يُحاول سانوخ أن يلج إلى قرائنهم ليعرف ما يريدون دون جدوى، حاجزٌ غريبا هنا يمنعه من ذلك، يُخبِر انتصار بذلك فتتوتر قليلًا دون أن تُظهِر ذلك الأمر على وجهها.

- ما الذي قادكم إلى هنا؟

- بصراحة كده احنا سمعنا عن حضرتك و إنك ساعدتي ناس كتير عشان كده جايين طالبين مساعدتك، تسمع انتصار تلك الكلمات فترمي بعضًا من الجمر في الصولجان الموضوع أمامها ليزداد الدخان تصاعدًا ثم تُخرج أوراق اللعب خاصتها وتضعهم على الطاولة، يرتاب الرفاق من الأمر ليتحدث سعفان قائلًا:

- أنا جاى أسألك عن شخص، تنظر العجوز لسعفان فيرجع إلى الوراء على مقعده لتقول:

- تكلم عمَّن تُريد أن تسأل؟

- عايز أعرف أى معلومات عن راجل إسمه سيد السنباطى.

بمجرد أن ينطق سعفان ذلك الإسم حتى تفزع الشيخة انتصار، تقوم من مكانها على الفور وترجع إلى الخلف بخطوات والخوف يظهر على تقاسيم وجهها، يتعجَّب سعفان وأصدقائه و أيضًا خادمها سانوخ الذي ينظر إليها ولا يفهم ما الذي حلَّ بها، لتقول:

- من أنت، وكيف عرفت هذا الإسم؟

- يا شيخة ده والده.

تُحول انتصار بصرها إلى رضوى غير مُصدقة ما تسمع لتقول غاضبة:

- سيد السنباطي لم يُنجِب قط.

تقع تلك الكلمات على الجميع موقع الشاه من أسنان ذئبٍ مفترس لا تستطيع الفرار منه، لحظات من الصمت تسود، وسعفان ينظر لها دون حراك، تُر اقبه اليه رضوى وكريم وهم لا يصدقون.

- إيه اللي بتقوليه ده سيد السنباطى هو والد سعفان وكلنا عارفين كده.

- أقول لكم أنه لا يملك أولادًا والشخص الذي أمامكم ه، هو..، يُقاطعها سعفان صارخًا:

- هو إيه، انطقي.

- إذًا النبوءة تحققت و أنت هو الشيطان المذكور في الكتب، لتُطلِق كل خدامها عليه وسانوخ يتابع فقط دون أن يتدخل، بمجرد أن تذكر كلمة شيطان أمام سعفان يستشيط غضبًا وتُحرق جميع كائنات انتصار الواحد تلو الأخر وسط اندهاشات سانوخ الذي يُغادر على الفور تاركًا سيدته المزعومة في مواجهة هؤلاء.

تصرخ انتصار قائلة:

- خدمي خدمي، ماذا فعلت أرجوك لا تقتلني.

ومع صوتها المليء بالشفقة يرجع سعفان إلى طبيعته البلهاء مرة أخرى لا يفهم ماذا يحدث ولما تلك النبرة منها، لتبدأ العجوز في التحدث بكلمات غير مفهومة وهي تنفش شعرها وتضع عليه التراب ليقول كريم:

- سعفان يلا بينا بسرعة نخرج من هنا الست اتجننت.

يُسرِع الثلاثة إلى الخارج تاركين انتصار على تلك الحال حتى يبتعدوا عن المنزل ثم يركضون بأقصى ما لديهم ليختفوا عن الأنظار.

- أنا مش مصدقة إننا عرفنا نهرب دول لو كانوا مسكونا كنا هنموت هنا.

- اه و الله بس الست دي اتجننت إزاى بالشكل ده، أنا مش فاهم حاجة.

- مش عارفة يا كريم بس هي باين عليها أصلًا إنَّها دجالة بتضحك على الناس زى ما انت قلت.

- فعلًا كلامك صح والأهالي هنا طيبين وصدقوها.

- سعفان، انت معانا وسامع بنقول إيه!

- هاه، لا لا معاكم.

- اوعى تكون صدقت الكلام اللي قالته الست دي انت مش شايف هي مجنونه إزاى.

- أكيد أكيد.

- تمام طيب أظن إن مهمتنا هنا انتهت يلا بينا نرجع قبل ما الوقت يتأخر.

- طيب معلش ممكن تروحوا انتوا و أنا هحصلكم بس حابب اتمشى في الريف هنا فترة وهرجع علاطول.

- لا طبعًا إزاى ممكن نسيبك هنا لوحدك، لازم تيجي معانا أكيد مش هسيبك.

- رضوى سيبيه.

- إيه يا كريم اللي بتقوله ده بدل متساعدني!

- يا رضوى متقلقيش أنا مش في السودان هنا دي المنوفية ساعتين بالظبط وهكون في القاهرة بس ارجوكي عايز أبقى لوحدي وهروح علاطول.

- ماشي يا سعفان زى متحب يلا بينا يا كريم ومتتأخرش يا سعفان فاهم.

حاضر، يقولها سعفان مبتسمًا.-

يذهب الصديقان ليستقلا سيارة من طاليا إلى المحافظة ومنها يرجعون إلى القاهرة تاركين سعفان الذي قام بوضع سماعات هاتفه المحمول في أذنه مستمعًا للأغاني وهو يتجول داخل القرية مفكرًا في عجوز القطار وتلك الساحرة الشمطاء التي نعتته مثل سابقيها ولثالث مرة بالشيطان وهل والده سيد السنباطى الذي لطالما حلم برجوعه إليه ليس عائلته ومن قُتِلَ أمام عينيه سراب، لكن لماذا أرسلنى إلى هنا! وكيف لسيدة مثل هذه أن تُجن هكذا؟ ماذا رأت فيني وعرفته ومن يكون والدي بالنسبه لها؟ أو بالأحرى الشخص الذي اعتقدت أنه والدي ليُمسِك سعفان لحيته التى طالت ويُناجي الله في سره طالبًا العون منه فقد ضاق صدره وبدأ يتقبل حقيقة كونه شيطانًا، يستمر بالسير والاكتئاب قد سيطر عليه حتى أنه لا يدري أين يمشي فقد توغل في طرقات القرية وذهنه شاردٌ فيما حدث.

في نفس الوقت تصل أمنية قريتها فقد تأخرت بسبب حادثة كانت على الطريق وما زال طاهر يترقب بيتها مع صديقه وبُمجرد رؤيتها على أول الطريق يهرع نحو مدخل بيتها ينتظر أن تفتحه ليتبعها قائلًا:

- أمنية.

تُصعَق الفتاة لرؤيتها طاهر في ذلك المكان الضيق لتقول غاضبة:

- انت مجنون، أنا ممكن أصرخ دلوقتي ومش هيبقى نهار كويس عليك.

- اسمعيني، أنا بحبك وانتي السبب اللي اضطرني أجيلك هنا، صدتيني في كل مكان واستهزأتي بيا مع صاحباتك ولسا بحبك وعايز أعرف أنا فيا إيه غلط!

- ده مش مكان نتكلم فيه لو سمحت اخرج برا يلا واشكر ربنا إنّ مش هقول لبابا عملتك دي و انت عارف إيه اللي ممكن يحصل سعتها.

- أنا مهمنيش حد، أنا عايزك انتي وبس ولازم ترضي وتحبيني زى ما بحبك، تُدير أمنية ظهرها له منفرة ممَّا تسمع لتصعد السلالم متجاهلة إيَّاه وهي تقول بغضب:

- أنا هقول لبابا وهو يتصرف معاك.

- استني هنا لو اتحركتي خطوة تاني هقتلك.

تنظر أمنية خلفها فترى طاهر يحمل سكينًا ويوجهه إليها فيدب الرعب في قلبها لتقول:

- طاهر اهدى انت كده بتجيب مُصيبة لنفسك.

- أنا قولتلك إنّ بحبك ومش هسمح لحد ياخدك مني أبدًا .

في نفس الوقت و أثناء تجول سعفان في طرقات القرية يسمع صوتًا منفرًا يُؤثر على ما يسمعه من أغاني ليخلع سماعات أذنه ويُنصِت جيدًا فيكتشف أنه صوت فتاة تصرخ تستنجد بأحدهم فيهرع إليها دون تردد وعندما يصل يرى شابًا يقف أمام فتاة ويقترب منها حاملًا سكينًا بين يديه، يُعفنه فينظر الشاب إلى الوراء فيرتبك ويصيح في سعفان قائلًا:

- انت مين وإزاى جيت هنا!

- من غير أسألة كتير ارمي السكينة دي و اتكل على الله.

ترتعش يد الشاب خصيصًا مع اقتراب سعفان منه وقبل أن يصل إليه تأتي ضربة مدوية من ورائه لتصطدم برأسه وتُطِيح به إلى الأمام هاويًا على الأرض فيصدمه الشاب بسكينه دون قصد، لا يُصدق ما يراه وهو ينظر إلى سعفان الذي يتألم والدماء تتهاطل منه ليسمع صديقه يصيح به قائلًا:

- يلا بسرعة نهرب مفيش وقت.

يُغشَى على سعفان وهو مُلقى بالأسفل والفتاة تُراقب كل ذلك مذعورة لا تعي كيف آلت الأمور إلى تلك الدرجة لتقترب رويدًا من الشاب الذي أنقذها وبعد تفحصه تضع يديها على فمها لكبح دهشتها اللامتناهية ثم تصرخ قائلة:

- هو ده اللي كنت بشوفه فأحلامـــــي.

***

مساء ذلك اليوم يجلس أحمد في منزله الفاخر بجوار والده مشغولًا بهاتفه يُحادِث أصدقائه على الانترنت بينما يطَّلع والده على الجريدة كعادة كل مساء ليقول:

- و انت يا أحمد ناوي على إيه مع سمر خطيبتك؟

- والله يا والدي مش عارف لسا فيه شوية مشاكل كده بس هتتحل أكيد بإذن الله.

- ما انت لو تسمع كلامي وتبعد عنها وأجوزك دكتورة بنت ناس أكابر زينا كده مش واحدة أبوها مفلس.

- نفسي تبطل نظرتك السفسطائية دي للناس، أنا بحب سمر وهتجوها يا بابا بإذن الله.

- دماغك عنيدة زى والدتك، خلاص يسيدي زى متحب.

يعود أحمد إلى هاتفه ليقعطه عنه صوتًا مدويًا من والده الذي يقول:

- لا حول ولا قوة إلَّا بالله.

- خيريا والدى!

- الدكتور الواسطة بتاعتك يا إبني اتوفى.

- الواسطة بتاعتي مين؟!

- دكتور حامد، لا يُصدق أحمد ما يسمع ليقع الهاتف من بين يديه ويُمسِك الجريدة مسرعًا من والده حتى يقرأ الخبر.

" حادث انتحار أليم يصدم كلية الأداب، جامعة القاهرة حيث قام أحد معيديها والذي يُدعَى الدكتور حامد محمود سليم بشنق نفسه في منزله تاركًا سبب انتحاره في ظرف بجانبه تحت ظروف غامضة وتقوم الشرطة الآن بالتحقيق في ذلك الأمر على وجه السرعة "

يقرأ احمد الخبر بعينين بارزة لا يستطيع عقله مُجاراة الأمر فيترك والده الذي يترحم على حامد ويدخل غرفته ثم يُغلِق بابها جيدًا، يقف أمام مكتبه ويفتح أحد أدراجه ليسحبه إلى الخارج كليًا فيضع يديه في الداخل ويُمسِك شيئًا مُعلقاً في الأعلى يأخذه ويُسرِع إلى هاتفه يُخرِج منها رقم سعفان، يتصل عليه مرارًا وتكرارًا دون أن يرد ليقول:

- انت فين يا سعفان في وقت زى ده رد بسرعة قبل منموت كلنا.

***

على إحدى القهاوي المتواجدة في وسط البلد يجلس صحفيًا شابًا مُفعم بالحيوية والنشاط قد شغل منصب محرر للجرائم في إحدى الصحف الوطنية، قصير، خفيف الحركة، يمتلك شاربًا صغيرًا ولحية قصيرة، عينان ضيقتان وشعره ناعم كالفتيات بجواره صديقٌ له يستمع لمغامراته الصحفية التي لا تنتهي ويقول:

- احكيلي يا مسعود حصل معاك إيه الفترة اللي فاتت؟

- مفيش جديد غير من يومين كده قضية المفروض إنها اتقفلت بس حسِّي الصحفي بيقول إنه لسا وراها لغز كبير.

- قضية إيه دي؟

- الدكتور حامد اللي انتحر.

- اه قرأت عنها بس تقريبًا لقوه شانق نفسه وسايب جواب إنتحار فالقضية شبه انتهت والطب الشرعي أكِّد ده خلاص وعشان كده دفنوه النهاردة الصبح. - أنا عارف كل ده بس حاسس إنه فيه شيء غير منطقي، أنا كنت هناك وشوفت الجثة وشايف فيها وشوم وعلامات غريبة وزى مقولتلك جو ايا صوت بيقول إنَّها منتهتش وفيها سبق صحفي كبير وعملنا ده قائم على لحظة انفراد بس.

- يسلام عليك يا مسعود يا خطيروناوي على إيه طيب؟

- لسا مش عارف بس الأول هحاول أجمع معلومات عنه وعن اللي كانوا على تعامل معاه فى أخر أيامه يمكن أوصل لحاجة.

- طيب حاسب على المشاريب عشان ربنا يكرمك في القضية دى.

- بص يا صاحبي الصحفي لا بيكشف نفسه ولا بيكون تخين.

- ليه ميكونش تخين بقى!

- عشان يعرف يجري وقت الحساب في القهوة، ليهم مسعود قافزًا من على كرسيه ويجرى بعيدًا عن صديقه الذي يسبه.

***

يفتح سعفان عينيه بصعوبة بالغة، ليجد نفسه مُحاطًا بالعديد من الأجهزة والمحاليل، الألم يكاد يعصر جسده بينما يُحاول أن يرفعه إلى أن يسقط، يرى فتاة بجانبه في مثل عمره تقريبًا تصرخ وهي قادمة إليه مهرولة:

-صحيت أخيرًا، الحمد لله الحمد لله.

ينظر لها سعفان متعجبًا غير مدرك أين هو أو ما أصابه، يتذكر فقط أنه كان أمام شاب يُهدد فتاة بسكينه ولا شيء آخر وبصوتٍ خافت يتحدث إلى الفتاة قائلًا:

- انتي مين؟

ينخفض حماس أمنية التي اعتقدت أنه سيعرفها بمجرد رؤيتها أو ربما يكون قد حَلِمَ بها كما حلمت به فتُجاوب عليه قائلة:

- أنا أمنية البنت اللي انت أنقذتها وكل ده حصلك بسببي، أنا آسفة جدًا.

- أى حد مكاني كان هيعمل أكتر من اللي أنا عملته، متقوليش كده المهم إنك بخير و أنا فى مستشفى إيه دلوقتي؟

- انت في مستشفى أشمون بعد ما أُغمى عليك اتجمع الناس وجبناك هنا، الدكتور عملك العملية عشان يوقف النزيف وفضلت هنا فالأوضة دي أربع أيام تقريبًا لحد مفوقت أهه، قعدت جمبك أنا وأهلي بس هما برا راحوا يجيبوا أكل.

- واللي ضربني ده يبقى مين وعمل معاكي كده ليه؟ يُقاطع حديثهما قدوم والد أمنية الذي دخل وهو يُمسِك كيسًا من العصائر والمقرمشات قائلًا:

- الحمد لله إنك بخير يا إبني كلنا كُنَّا قلقانين عليك ومهما قولت مش هعرف أشكرك إزاى على اللي انت عملته مع بنتي ده.

- متقولش كده يا عمي المهم إنَّها بخير.

-عامة مش عايزك تقلق الدكتور طمني على حالتك و قالي إنّ الإصابة سطحية وتقدر تخرج كمان كام يوم واه صح موبايلك وحاجتك هنا في الغرفة لو احتجتلهم.

- تمام شكرًا لحضرتك.

- بالنسبه للي عمل كده البوليس قبض عليه وهو دلوقتي فى القسم عشان تطمن بس، هنسيبك ترتاح ونشوفك بكره بإذن الله.

- تمام .

يذهب الجميع، تتبعهم أمنية وعينيها لا تُفارقان وجه سعفان، إنه الفتى الذي لطالما حلمت بلقائه، نفس تقاسيم الوجه وتلك الأعين الحادة والمطمئنة في نفس الوقت، ذهبت إلى القاهرة من أجله ولم يُحالفها الحظ لرؤيته، فتلقاه هنا بعدما فقدت أمل رؤيته فما هذا القدر العجيب، لم يكن لقاءها الأول معه شيقًا أو به مفاجآت لتُغادر وهي لا تعلم ما سيحدث بينهما في المستقبل القريب، على الجانب الآخر وهو ملقى على الفراش ينظر سعفان إلى النافذة المجاورة له وهو يُحدق فى السماء و يفكر كيف أنه صار سببًا فى إنقاذ شخصًا لا حيلة له أمام متوحش مثل هذا ليبتسم معتقدًا أنه فالأخير ليس بشيطانٍ كاملٍ بعد، ويُحدث نفسه قائلًا:

" نعم تبًا لهؤلاء جميعًا من جعلوني اتصور في نفسي شرًا مطلقًا، يبدو أن ما حدث رسالة من الله لي "

ليُغمض عينيه وينام نومًا عميقًا.

***

مرَّ يومان وسعفان ما زال راقدًا في المشفى تزوره أمنية وتجلس بجانبه لساعات، تحدَّثت معه مُطولًا واستغلت ذلك لمعرفته، لم تستطع إخباره بأحلامها لأنه لم يحلم بها، فقط اكتفت بسؤاله عن تفسيره لحلم شخص بآخر لم يعرفه يومًا ولم يُعطِها سعفان بإجاباته البلهاء ما يُرضيها فكتمت الأمر لكنها وخلال تلك الفترة البسيطة شعرت بجواره بالطمأنينة والألفة بنحوٍ عجيب وكأنَّما تعرفه منذ أبد الدهر ونفس الحال عند سعفان الذي صار يتحدث معها بطلاقة.

قام الفتى الجريح بالاتصال بأصدقائه لإخبارهم عمَّا حدث وأنه سوف يرجع قريبًا إلى القاهرة وأكَّد عليهم ضرورة إيجاد دكتور حامد للكشف عن مكان والدته التي تعصف بقلبه، تمر الأحداث ببطءٍ شديد لا جديد يُذكَر بها غير لقاء الشاب الغامض بفتاة الأحلام والتي اشتدَّت علاقتهما كثيرًا خلال يومين فقط، يأتي اليوم الثالث فيأذن الطبيب لسعفان بأن يُغادِر دون بذل مجهود حتى تتم بالكامل فترة شفائه، يخرج سعفان من المشفى أخيرًا وهو مُحاطٌ بعائلة الحاج عبد الحميد الذي يقول:

- الحمد لله يا سعفان يا إبنى خرجت على خير.

- الحمد لله يا عمي وأشكرك على تعبك معايا اليومين اللي فاتوا.

- تعب مين بس يا إبني أنا مهما عملت معاك مش هعرف أشكرك إزاى.

- ربنا يخليك هستأذن أنا بقى عشان أرجع القاهرة.

- لا مش هتمشي من هنا قبل منتغدى سوى.

- لا لا يا عمى أشكرك بس أنا لازم أروح.

- والله ويمين من بيتي لنتغدى سوى ده قرار لا رجعة فيه.

يخضع سعفان لرغبة الحاج عبد الحميد بعد إلحاح ليذهب إلى بيته ويتناول معهم الطعام الذي احتوى على أصناف متفرقة لم تجتمع أمامه بهذا الشكل يومًا، فعلى المنضدة رأى أمامه طبقًا من الملوخية ذات الرائحة النفاذة ثم طاجنًا كبيرًا من اللحم وأخر من الدجاج بجانب الأرز والسلطات، رقاق باللحمة المفرومة وحمام أيضًا وأخيرًا الخبز البلدي الشهى الذي امتاز به أهل القرى.

يجلس الجميع ويبدأ سعفان فى تناول الطعام الذي يجده لذيذًا بحق لا يستطيع منع نفسه من أكل كل شيء وبعد وقت طويل ينتهى بعد أن امتلأت معدته بالطعام، يشرب الشاى مع الحاج عبد الحميد ثم يأتي الوقت الذي يستأذن منه ليُغادر القرية فيجعله ينتظر حتى يقوم بتبديل ملابسه من أجل أن يخرج معه، في خلال تلك المدة تأتي أمنية إلى سعفان قائلة:

- خلاص هتمشي.

- اه أكيد كفاية إنِّ أثقلت عليكم أوي الفترة دي.

متقولش كده، لُتكرر أمنية سؤالها السابق لسعفان قائلة:

- قبل متمشي إيه رأيك في الاحلام؟

يندهش سعفان من إصرارها على الأمر فهو خير من يتحدث عن تلك الأشياء بسبب ما يحدث معه ليقول:

- الأحلام على حسب حظك جيدة أو سيئة بس الأكيد إنَّها ملهاش حدود.

- طيب وإيه رأيك في اللي يحلم بشخص مشافهوش أو خلينا نقول مكنش بينهم تعامل قبل كده!

- غريبة طبعًا بس باللي أنا بحلم بيه ده أحب أقولك إنه ممكن يحصل وسعتها هتبقى لغز أكيد ربنا هيكشفه قريبًا لصاحب الحلم، أو ممكن يكون تمثيل لصفات الشخص الحالم بيحبها والعقل الباطن اصطنع الشخصية دي مثلًا.

- طيب ولو الشخصية دي طلعت حقيقية.

- دي تبقى مصيبة.

- نعم!!

- آسف، افتكرت أحلامي بس، لا لا بإذن الله متطلعش حقيقية ولا حاجة.

- ماشي يا سعفان عامة الفيس بوك بتاعك بقى عندي وهنبقى على تواصل.

- أكيد وهكون سعيد بكده.

يأتي الحاج ليخرج معه سفان بعد أن شكر أهل المنزل جميعًا تحت أنظار أمنية التي تمنَّت لو أنه يبقى متواجدًا لكشف الغموض العجيب حوله.

***

يعود سعفان الى القاهرة وداخله أمل وتفاؤل عجيب بعد الجلوس مع تلك العائلة ولمسة الدفأ التي وجدها معهم، إنه يشعر كأنَّما وُلِدَ من جديد، يصل إلى رمسيس ليسمع صوت هاتفه يرن،

- ألو، أيوه يا أحمد عامل إيه؟

- سيبك من الكلام الفاضي ده فيه مصيبة يا سعفان.

- مصيبة! حصل إيه، أمي جرالها حاجة انطق.

- دكتور حامد مات يا سعفان، اتقتل.

- بتقول إيه!! إزاى انت بتهزر لا لا دكتور حامد بتاعنا مات ومين قتله إيه اللي بيحصل، طب ووالدتي مش هو اللي خطفها يعني إيه يا أحمد؟

- مش هينفع الكلام في التليفون، أنا كنت مع الشباب إمبارح وفهمتهم كل حاجه والنهاردة هنجيلك البيت، يُغلِق أحمد السماعة تاركًا سعفان و اقفًا بلا حراك تتحول كل أحاسيس الأمل لديه فجأة إلى كابوس مظلم، إلى نفق لا خروج منه، يُغلِق هاتفه مقررًا الذهاب إلى البيت لكن تخطر في ذهنه فكرة أولًا وهي أن يقوم بالذهاب إلى حيث دُفِنَ دكتور حامد فيتصل بأحمد مُجددًا وبعد جدال طويل يأخذ العنوان ليذهب إلى مقبرته.

يقف سعفان وهو يتأمل الرمال التي تعلو جسده ليُحدث نفسه قائلًا:

" كيف تكون سببًا وراء كل ما يحدث لي، كيف تموت الآن و سر والدي عندك ووالدتي التي لم ترجع منذ ذلك اليوم، كم اتمنى أن أُخرِجك من مدفنك هذا بيدىَّ هاتين، لا أعلم هل اترحم عليك أم ألعنك لما جعلتني أصل إليه "

ظل شخص يحوم حول سعفان ويقترب منه كثيرًا إلى أن أصبح مُلاصقًا له وسعفان منغمرٌ في أفكاره لا يشعر بأى شيء، يد تُمسك كتفه وصوت يقول:

-و انت مين بقى؟

ينتفض سعفان في مكانه على الفور لينظر ورائه فيجد رجلًا قصيرًا، جسده هزيل ينظر إليه بارتياب فيقول منزعجًا:

- انت اللي مين؟

- أنا مسعود الصحفي، جاوب على سؤالي يلا.

- أنا سعفان و انت عايز مني إيه؟

- أنا الصحفي المسؤول عن تغطية جريمة انتحار دكتور حامد وجيت مقبرته هنا عشان أحقق فالأمر أو أشوف شخص يقولي حياته كانت إزاى.

- انتحار! دكتور حامد اتقتل.

تلمع عينان مسعود ليقول مسرعًا:

- مم و انت عرفت المعلومة الخطيرة دي إزاى ؟

- هاه أصلي أحم.. لا لا معرفش أنا بستنتج كده بس.

- استنتاج ! وتقول قتل لا واضح إنك مكشوف عنك الحجاب.

- لو سمحت أنا همشي ويا ريت تبطل الطريقة دي، أنا معرفش حاجة عن حد ليُسرِع سعفان مُغادرًا تاركًا ذلك الصحفى غريب الأطوار في حيرةٍ من أمره.

***

مضى الوقت والليل قد حل، يجتمع أحمد مع أصدقائه فيما عدا سعيد الذي لم يستطع التوصل إليه، يذهبون سويًا إلى منزل سعفان.

دقات باب تُطرَق، يفتح سعفان الباب وعلى وجهه القلق الممتزج بالخوف ليدخل الجمع إلى غرفته.

- اشرحلي يا أحمد إيه اللي بيحصل!

- الأول عايز أقولك إنِّ اتكلمت مع كل الموجودين هنا و اتفقنا على كل حاجه.

- قصدك إيه؟

- فاكر لما قولت في أخر اجتماع بينا إنِّ دكتور حامد إدَّاني شيء مهم وبلغني أخرجه في الوقت المناسب.

- اه طبعًا فاكر.

- جه وقتها بموته، خد يا سعفان الورقة دي.

- ورقة إيه وقبل كل ده مين اللي قتله وعرفت إزاى أصلًا إنه اتقتل، فيه صحفي قابلني النهارده وكان بيقول إنه انتحر.

- الصحافة تقول اللي عايزاه، أنا متأكد إنه اتقتل لأنه كان واضح معرفته لسر خطير بس صدقني أنا معرفش مين قتله ولا أقدر أتنبأ حتى،كل معرفتي بيه كانت واسطة المهم تسليمك الأمانة دي.

- والأمانه تبقى إيه؟

- تبقى تبقى،..

- سكت ليه؟!

- تبقى تعويذة يا سعفان هتحل كل حاجه، تتسع عينان سعفان وهو ينظر إلى كريم الذي تشجَّع بقول ذلك أمامه ليصرخ في وجهه قائلًا:

- انت اتجننت، تفتكر إنِّ ممكن أعمل حاجه زى دي، انتو إزاى بتفكروا كده انتو مجانين.

- يا سعفان اسمع كلنا اتناقشنا ومفيش حل تاني، انت عاجبك اللي بيحصل دكتور حامد اتقتل ومش عارفين ممكن كلنا يكون لينا نفس المصير ولا لا.

- يا رضوى مستحيل كمان أخليكم تعملوا معايا حاجه زى دي، أنا مش هنفذ التعويذة النقاش انتهى.

- ووالدتك المخطوفة.

هنا يخفق قلب سعفان وتتأرجح وجهته ليسمع سمروهي تُكمِل قائلة:

- اعتقد إنَّها تستحق منك تعمل أى حاجة عشان توصلها ولا لسا هتفضل جبان.

يستشيط سعفان غضبًا وقبل أن يرد يسمع أحمد وهو يقول له:

- التعويذة دي حامد أكدلي إنَّها ممكن تعمل أى حاجة إحنا عايزينها وإحنا للآسف مُجبَرين على كده.

تضطرب أفكار سعفان وهو يتذكر والدته التي لا يعرف لها طريقًا ودون أن يشعر يجد نفسه قائلًا:

- يلا بينا ننفذ التعويذة دي.

يفتح سعفان الورقة فيجد عليها رسمة غريبة وجمل لا يستطيع فهمها أسفلها ليسمع صوت أحمد الذي يقول:

- بص يا سعفان الأول لازم نرسم الرسمة دي على لوحة كبيرة وهنكتب الطلسم بلون أحمر بعد كده هنرسم الوشم ده أسفل الطلسم ولازم تكون الأنوار مطفأة وهنولع بس شمعة واحدة هننحت عليها نجمة خماسية والكلمتين اللي على جانب الورقة دول، ده الشرح اللي اتسابلي قبل ما حامد يختفي.

يبدأ الاصدقاء في الشروع بتجهيز الأمر ما بين الرسمة على لوحٍ كبير قد جلبوه معهم والتي هي عبارة عن وجه رجل في منتصف جسده مربع كبير به الكثير من الخطوط المتشابكة وفي كل التقاء بينهما يوجد رسم أخر غريب الشكل وأرقام بجوار إسم سيدنا سليمان وكلمة بجواره توحي بالتقييد، خلاف أسامي أُخرى عن عشائر الجان وأخيرًا ثعبان عظيم يلتف حول الجسد ولسانًا يخرج منه يحاوط به الرأس.

- ده إسمه الهيكل شوفته كتير في أحلامي و أنا بشوف التماثيل بتعمل التعاويذ وبحفظها، ينظر الجميع لسعفان قلقين ثم يُكمِلون ما يفعلون، ندى ورضوى ينحتان النجمة الخماسية أسفل الشمعة، كريم يذهب عند مفتاح الإضاءة، وأحمد يُنهِي الرسمة على أكمل وجه فقد امتاز ببراعته في التحديد ليقوم بكتابة الطلسم بحبرٍ أحمر آتى به معه، وسمر تظل ساكنة، يتجمع الأصدقاء يقومون بإشعال الشمعة ليُطفأ كريم الأنوار ويسود نور الشمعة أرجاء المكان والتي تُنير لهم اللوحة أسفلها، ينظرون جميعًا إلى بعضهم البعض والخوف يتملكهم فيما عدا سعفان الذي يُفكر في أمه فقط، يبدأ أحمد في قراءة الطلسم ليوقفه سعفان بعد قوله بضعة كلمات قائلًا:

- استنى الطلسم ده أنا عارفه، يرتعد جسد أحمد عند سماعه ذلك ليرد قائلًا: - عارفه إزاى يا سعفان؟

- سبق وقولتلك أحلامي كانت عن إيه والطلسم ده كان واحد منهم، طريقة نطقك ليه غلط أنا اللي هقوله.

ترجع رضوى وندى إلى الوراء بجانب سمر التي لا تُصدق أنَّ هذا الفتى هو سعفان بحق وكريم ينظر إلى الوشم في قلق.

يبدأ الآن سعفان في قراءة الطلسم بلكنة غريبة وصوتٌ مرتفع يسمعه أصدقائه فيُصعقون بما يتلوه.

" اريخا فان ميخاءى قرين القول ادنو بعهدك الان طواف العهد كن معى اينما كنت فانا روحى ملك لك فلتحضر الان ارى ظلك بحق من عاشرت و بحق سليمان النبى خانفاراس خانفاراس البرمتى يقول اجب و اطع عهد وحى قول سراء براء "

ما أن يُكمِل سعفان قراءة الطلسم حتى يشعر الجميع بهواءٍ كثيف يقبض على أجسادهم، يُركز كريم بصره نحو سعفان فيظن وللوهلة أنَّ عينيه تصبغت باللون الأحمر، ليقطع تركيزه معه صوت سمروهي تصرخ قائلة:

- بصوا على اللوحة، فيتحول نظر الجميع إليها، يشتد الهواء فى الغرفة بشكلٍ لا يصدق ويستمر ضوء الشمعة في الصمود بطريقة إعجازية أمام ذلك الهواء الذي لا يُعلَم مصدره، ليرى الجميع ظل لكائنٍ ما على الحائط يحوم حولهم فيصرخون إلَّا سعفان الذي يظل مرتقبًا له وبجواره أحمد وبصوتٍ غليظ ولغة لا يفهمها أحد ما عدا سعفان يقول الكائن الغريب:

- هنيئًا لك الآن عشيرتنا ملكك.

يصيح سعفان والجميع ورائه خائفين لا يفهمون أى شيئ قائلًا:

- أمي فين؟

تمر لحظات ثم ينقشع الظل ومعه تعود كثافة الهواء لطبيعتها لتتحرك اللوحة حركة دائرية سريعة ثم تثبت فالأخير، يبدأ الثعبان الذي يلتف حول الجسد في التوغل فيه أكثر فأكثر وكُلَّما استمر تحولت الأرقام الموجودة في المربعات السفلية داخل الجسد إلى حروف لتُكون جملة، عندها ينطفأ نور الشمعة وتحترق اللوحة، تتعالى الصيحات فيقفز كريم

مسرعًا ليُضيء الأنوار، يتفصحون أجسادهم خشية أن يكون بهم ضررٌ وهم غير مصدقين ما حدث ليجدوا سعفان ينظر إلى اللوحة وعيناه بارزتان قائلًا:

- اتحرقت كلها ما عدا الجملة دي اللي تكونت دلوقتي،

البحر، الضبعية، الأقصر

- يعنى إيه! ندى متسائلة.

- يعني اللوحة ادتنا عنوان وفيه هنلاقي مكان والدة سعفان.

- هنعمل إيه دلوقتي يا سعفان؟

بكره على الضهر كله يجهز هنسافر الأقصر.

- مش هنقول للبوليس طيب.

- هنقولهم عرفنا إزاى يا رضوى عملنا طلسم والجن قالنا.

- معاك حق.

يُغادِر الجميع تاركين سعفان الغاضب الذي ينتظر طلوع الشمس بفارغ الصبر وهم يُفكرون في الحُجة التي سيقنعون بها أهلهم للذهاب.

***

في نفس الوقت من الليل، يذهب الرائد حسام إلى المقبرة حيث دُفن دكتور حامد يقف أمامها و يُحضِر جاروفًا معه ليبدأ في الحفر مهرولًا وهو يقول:

- هقتلهم كلهم يا حامد ومش هسيب شخص منهم عايش، السر اللي اتدفن معاك هيطلع للنور وهخليك ترتاح و انت عند رب كريم، أنا هقتل لبنى يا حامد والباقي دوره جاى.

يستمر حسام في الحفر حتى يصل إلى الصندوق الخشبي الذي تقبع داخله الجثة، يفتح الصندوق ليقف حسام مرتعدًا يلتفت حوله غير مصدق ما يرى ثم ينظر مجددًا إلى الأسفل ليقول وهو يضرب الأرض بيديه غير مدرك للأمر: - جثة حامد إختفت!!!

***

في اليوم التالي صباحًا ينطلق السُداسي نحو محطة رمسيس وقد عَرِفَ كلٌ منهم كيف يُقنِع أهله لكى يستطيعوا السفر مع سعفان فمنهم من اتَّخذ قُرب الامتحانات سبيلًا للإقامة عند أصدقائه ومنهم من قال أنه ذاهبٌ في عطلة قصيرة لتختلف الحجج لكن النتيجة واحدة وقوفهم بجانب صديقهم إلى النهاية والذي قد يكون بدافع الفضول أو لشيءٍ خفيٍ آخر، ينطلق القطار والجميع جالسون في أماكن متفرقة يُفكرون فيما قد يحدث هناك، أحمد يفكر أنهم ذاهبون ليجدوا جحيمًا لن يفلتوا منه لكنه عازمٌ على كشف الحقيقة، ندى التي لا تصدق أنها تفعل كل ذلك من أجل شخص كثيرًا ما سخرت منه، ورضوى التي يملأها التصميم على مساعدة من أحبها فهي وإن كانت لا تستطيع أن تُبادله نفس الشعور لكنها قادرة على أن تجعله يمضي إلى الأمام، ثم كريم الذي يعتقد أنهم ذاهبون للقاء فضائيين ربما ويجهز نفسه لمواجهتهم فبعد ما حدث مع تلك التعويذة لا يستبعد أى شيء، لنتطرق إلى سمر التي حتى في تفكيرها صامتة تكتفي فقط بالتحديق في النافذة المجاورة لها وكأنَّها تنتظر لتتأكد من حدوث شيءٍ ما، وأخيرًا سعفان الغاضب وما يُريده فقط هو الوصول لوالدته بأى ثمن حتى وإن كانت حياته ثمنًا لذلك. يتقدم القطار حاملًا هؤلاء الشباب، يمضي بهم إلى المجهول حتى يخلد كلٌ منهم لنومٍ عميق.

إنَّها التاسعة ليلًا، يصل القطار بعد عناء سفر استغرق الأحد عشر ساعة لينزل الأصدقاء أخيرًا منه ويبدأ القلق في الازدياد.

- بصوا يا شباب محطة الأقصر مميزة إزاى شايفين الرسومات الفرعونية اللي فيها.

- اه والله يا أحمد محطة جميلة ايه ده بصوا فوق على السقف فيه حمام و عصافير بيطيروا الله، تقول ذلك ندى فَرِحة.

- يا ريت كانت رحلتنا دي نزهة كُنَّا استمتعنا بالكلام ده.

- ربنا يسهل يا سمر يمكن تبقى رحلة كويسة ونعرف نستمتع بالبلد دي يومين ولا حاجة.

يخرج الأصدقاء من المحطة ليجدوا سائقين الميكروباصات يصيحون:

- موقف موقف، ... فيذهبون لأحدهم بعد أن عرفوا أن الذهاب إلى الضبعية يحتاج إلى مواصلة أُخرى عند الموقف حيث يتجمع العديد من السيارات من أجل الذهاب للكثير من المناطق وبالفعل يصلون وهناك يجدون سيارات الضبعية فيستقلونها، بعد وقت ليس بالكثير تصل السيارة إلى الضبعية وهم في غاية التعب، أشخاصٌ مثلهم لكانوا سقطوا على الفورلكن ما يُحركهم هو عزيمتهم لإنهاء كل ذلك العذاب والشك.

- وصلنا يا سعفان هنعمل إيه؟ القرية كبيرة .

- هنسأل يا رضوى عن البحر وهنمشي بمحاذاته وأكيد هنلاقي حاجة تدلنا على اللي عايزينه، وبالفعل يبدأ سعفان، كريم، وأحمد في سؤال المارة القليلين الذين وجدوهم فالساعة الآن العاشرة ليلًا والشتاء قد حل وهنا لن تجد العديد من الأناس في الجوار، الجميع في بيوتهم نائمين

أو يستمتعون بالتلفاز مع كوب الشاى الساخن، بالفعل الجو العام يبدو مريب فهم لا يرون أحدًا الآن غيرهم لكنهم يذهبون في اتجاه البحر.

- الجو بارد أوي هنا، ليهم حق أهل القرية دي يناموا.

- اه و الله النوم حلو يا أحمد انت تعرف إنّ الناس هنا بتقول في الزرع اللي على البحر ده فيه صن.

- و إيه الصن ده يا كريم؟

- دي الروح اللي بتطلع من الناس اللي اتقتلوا في الغيطان هنا، يرتعد الجميع عند سماع ذلك ليسمعوا صوت أحمد يقول:

- طيب بس يلا نمشي ونقلل الكلام إحنا لازم نلاحظ كل حاجه وإحنا ماشيين. يستمرون في السير إلى أن يمروا بمنطقة تُشبِه الخرابة يتجاوزونها ليجدوا أنفسهم أمام أرض زراعية كبيرة، يتذكر حينها الجميع كلام كريم فيتوقفون مكانهم خائفين لكنهم يرون سعفان يتقدم بسرعة أمامهم ليُجبرهم على لحاقه، وبينما هم في طريقهم يجدون يافطة في الظلام كُتِبَ عليها (ملكية خاصة لا يقترب أحد) ... يتجاهل سعفان ما كُتب وتزداد سرعته في التقدم وما يلبث أن يتبعه أصدقائه حتى يشعروا بحركات حولهم لتقع قلوبهم في أرجلهم ثم يلاحظون فوهة بنادق تلمع في الظلام موجهة إليهم ليقفوا مكانهم دون حراك.

- انتو مين، تصدر تلك العبارة بلكنة غليظة من أحد الرجال.

- هاه احنا احنا.

- اثبتوا مكانكم، تخرج تلك الجملة من شاب يرتدى بذلة سوداء ويُمسِك مسدسًا في يده وفي اليد الأخرى صورة لشاب، ينظر إلى سعفان وأصدقائه عن كثب ثم يضحك قائلًا:

- أخيرًا، انتظرناك كتير، اربطوهم كلهم تحت وهاتوا الشاب ده ورايا.

يُمسِك الرجال سعفان وهو لا يقاوم، يقومون بربط بقية أصدقائه الفزعين إلى جذوع الأشجار والذين تأكدوا أنَّ هذا المكان بالفعل يوجد به والدة سعفان لكنهم في وضعٍ حرجٍ الآن، يتقدم سعفان إلى الأمام وخلفه ثلاثة من الرجال يحملون البنادق وأمامه هذا الرجل صاحب البذلة السوداء ليأمر رجل من الثلاثة أن يُزِيح الرمال عن درجات المقبرة، ينظر سعفان إلى الأسفل فيجد علامات صفراء تظهر رويدًا رويدًا، يصعقه ذلك المنظر المخيف لكنه وفي نفس الوقت يشعر بالاطمئنان وكأنَّما جاء إلى هنا أحد أسلافه من قبل.

- سعفان انزل السلم ده بحذر عشان ميحصلكش حاجة إحنا عايزينك سليم، يندهش سعفان من معرفة الرجل لإسمه لكنه يتأكد بوجوده في المكان الصحيح ليتقدم هو والرجل فقط نحو الأسفل وبعد مشقة يجد نفسه داخل مقبرة فرعونية منذ قديم الأزل ويزداد يقينه بأنه في مكان ليس بغريبٍ عنه لا يدري كيف لكنه مجرد شعور خفي ليجلس داخل المقبرة مدة نصف ساعة كاملة منتظرًا الباشا كما قال له الرجل الذي بصحبته، فقط يتأمل جدرانها وتلك الرسومات العجيبة التي على الجدار ثم ذلك الدهليز المظلم المخيف والغرف المحيطة به، ليسمع صوت أقدام تنزل على الدرج، ينظر في تأهب إلى صاحبها حتى يُبصِر رجلًا عجوزًا يرتدي أيضًا بذلة سوداء ذات طراز حديث باهظة الثمن، يتعقبه شخصٌ آخر لا يراه جيدًا من الإضاءة الباهتة ويستمران في نزولهما إلى أن يصلا إليه.

- اتفضل يا باشا المطلوب حضر بعد كل الوقت ده.

- أخيرًا جيت، كنت قربت أفقد الأمل فده.

يرد سعفان غاضبًا:

- أمي فين؟

- اتكلم كويس مع الباشا لأدفنك هنا.

- سيبه يا سيد، والدتك في أمان متقلقش إحنا خطفناها بس عشان نجيبك هنا ومن دقائق أمرت إنَّها ترجع بيتها عشان تعرف بس إننا مش وحشين لا سمح الله.

- إيه اللي يضمنلي ده؟

- من غير ضمانات كلمة الباشا كفاية لوحدها دلوقتي بقى جه دورك.

- دورى فإيه! ليتحرك الشخص المجاور للباشا ويظهر أمام سعفان أخيرًا وما أن يراه حتى يُصدِر صوتًا عجيبًا كناية عن عدم تصديقه للأمر فيقول:

- مووس، مستحيييييل انت.

***

يجلس مسعد داخل غرفته قد هيأ كل شىء من أجل إتمام طلسمه الجديد والشك يُسايره حول صحته وصدق التسجيل الذي سمعه. يُحضِر الخمسة شمعات ويطليهم باللون الأسود ثم تلك المرآه الدائرية المثبتة على المنضدة التي أمامه وعليها ورقة مكتوب عليها الطلسم كاملًا بجانبها كارت الجوكر كما ذكر الصوت المسجل وأخيرًا الأرقام التي بحث عنها ووجد أنَّها بالفعل تعود للشيطان الأول دون أن يستزيد في الأمر، يُطفأ الأنوار ويبدأ وهو يفكر في قاتل حبيبته و أنه سوف ينال منه قريبًا، يُشعِل الشموع باللهب ثم يقرأ الطلسم الذي يراه كلمات عادية لا يدري كيف من الممكن أن تُحقق مراده،

" أنا الخادم اطلب القدوم أنا البشري أريد المجد أنا الإله المزيف أريد الحقيقة أنا داخلكم اليوم والبارحه ووقت الطوفان أنا الملك ساونهند

أريد الطاعة أتم بتلك الكلمات فاجب و طيع أو لأكن في الجحيم , وحى وحى ايراس عجل زيع كن ولبى "

ينتهي مسعد من قراءة تلك الجمل الغريبه وينتظر، تمر خمسة دقائق دون حدثٍ يُذكَر، فقط ضوء الشموع الذي يهتز فيخيب أمل مسعد وتخمد حماسته ليقول:

- التعويذة دي كمان طلعت مزيفة وكل اللي عشت عليه كان وهم، خلاص مش هقدر أوصل لقاتل منى، وقبل أن يبدأ في ذرف دموعه يشعر باضطراب داخل جسده وظلال تحوم حوله يبثبت مكانه ونظره إلى الأمام، على عاتقيه ثِقَل لا قبل له به ولا يعرف من أين جاء وبإصرار ما زال يُركز بصره على المرآة التي أمامه، يزداد الهواء كثافة وقوة ومعه يختفي لهب الشموع، لحظات من الظلمة والوساوس يصمد أمامها مسعد بشتى الطرق ومرة واحدة تشتعل ورقة الجوكر بالنيران فينتفض الفتى الذي يسمع بعد هذا الاشتعال صوتًا شديد الغلظة يقول:

- ردد ورائي ما أقول حتى تُطاع، بمجرد أن يسمع مسعد الصوت من خلفه يدب الرعب في قلبه لكنه يتذكر كلام الصوت المسجل: إذا أردت أن تكون ملك على الأرض قاومه، يستمر الصوت الخفى في التحدث قائلًا:

-أنا عبدكم أُطيع الأمر، سأتلوا صلاتي لكم أربعين ليلة أتبعها ب عشرةٍ كاملة وقبل أن يُكمِل جملته يتحدث مسعد قائلًا بعزم:

- لا لن أردد، يستمر الصوت في إعادة جملته بطريقة أكثر وحشية وفي كل مرة يثبت مسعد ليكون الرد بنفس النتيجة، حتى يتوقف الصوت للحظات ثم فجأة تشتعل الشموع المُطفأة فينظر مسعد المرتعد إلى المرآة مُجددًا ليرى انعكاسًا لوجه أحد الجان لا يستطيع حتى أن يتنفس من

هول ما يرى تخرج من صيحات مكتومة وقلبه يكاد يتوقف وهو يقول داخله:

" والله ليكون قتل نفسي أهون علىَّ من التحديق في هذا الوجه، لا استطيع الاستمرار في ذلك لا استطيع "

ترتعش أطرافه وهو يُحاول أن يُسيطر عليها دون جدوى، الخوف قد تملَّك منه وأحسَّ بدماءه وهي تتسرب من فتحات جسده لتهطل على الأرض فصار وجهه شاحبًا كأنه يحتضر وتلك هي لحظاته الأخيرة قبل مفارقته للحياة، وفي لحظةٍ فارقة يرى أمامه حبيبته منى وهي تنظر إليه واضعة كفها الرقيق على وجهه لا يعرف كيف يحدث الأمر وما هي غايته فقط يسعد لما يراه أمامه وقبل أن يُحدثها يراها تشتعل وهي تصرخ قائلة:

- سيبتني ليه يا مسعد!

ينظر لها وهو يتقبل كون موتها كان هو سببًا رئيسيًا به وإن كان عليه التكفير عن ذنبه فيتحتم إيجاد من فعل ذلك والثأر منه، يعود مُجددًا إلى واقعه المظلم والوجه المُثبت أمامه فيُحدق به دون خوف وقد امتلأ صدره بالنيران التي ستحرق كل من يقترب منها ليقول:

- أطع أمري أنا، سيدك مسعد.

يتحول بوجهه إلى الخلف وقبل أن يراه يُطفأ لهيب الشموع مجددًا وتحترق ورقة الجوكر إلى أن تصير رمادًا.

- حسنًا أيُها الملك نحن خدامك وتحت إمرتك، روحك تعتلينا من اليوم وعهدنا لمطلبك نافذ والدماء هي مربطه، يقف مسعد مغرورًا بقوته الجديدة ليقول بصوتٍ ثابت:

- سأُحدثكم الفصحى من اليوم حتى يقترب الرابط، أريد منك معرفة من قتل منى حبيبتي التي توفيت قبل أيام في المنزل المجاور لي.

يغيب الصوت لدقائق ثم يتحدث قائلًا:

- من فعلها هو فتى كانت قُبيل موتها تُناديه البرنس، لا يُصدق مسعد ما يسمع ليصرخ قائلًا:

- انت كاذب، مُحال ما تقول، أتريد أن تجعلني أقتل صديقي فوالله لأحرقنك بما بيننا من عهد.

- سيدي نحن لا نكذب، سألت جان المكان من رأوا تفاصيل الحدث وهم من أخبروني بذلك وترديد ذلك الإسم وهى طريحة تُصارع الموت.

تبرز العروق على جبهة مسعد ويتلون جلده بالأحمر للغضب الكامن به ليقول:

- أتأتي الخيانة ممَّن اعتقدنا فيهم الإخوة والصداقة، قل لي أُيها الجان أنتم تقرأون الأفكار صحيح؟

- نعم يا سيدي إن سمحت لنا بقراءة أفكارك سنفعل.

- حسنًا قم بفعلها هذه المرة فقط لأن ما ستقرأه هو المصير القادم للصديق الزائف وأُريد تنفيذه بكل دقة.

يجلس البرنس بمنزله مع والده داخل منزلهم الفاخر،

- احمد ربنا إننَّا عرفنا نمحي بصماتك من المكان قبل ميكتشفوا الجثة كان زمانك لابس الأحمر.

- أنا آسف يا بابا بس البنت كانت حلوة أوي ومستخسرها في العيل اللي إسمه مسعد ده .

- انت لسا هتجيب سيرتها، مش هتتعلم أبدًا المرة الكام دي اللي بلحقك فيها بعد كل مصيبة، رجالتي في الشرطة مش هيدوموا وهيكرهونى بسببك.

- خلاص يا حاج دي هتكون المشكلة الأخيرة ليا أوعدك، هروح أنا بقى عشان عندي سهرة كده تستاهلك.

يذهب الأب للنوم والبرنس إلى غرفته من أجل تحضير نفسه لإحدي سهر اته، يُبدل ملابسه وهو يُغني قائلًا:

- رجعوني عينيك لأيامي اللي راحوا، رجعوني أندم على الماضي وجراح...، يتوقف وهو يسمع صوتًا مفاجئًا قادمًا من خلفه وعلى انعكاس مر آته يرى وجهًا يجعله ينتفض من مكانه ويدب الرعب في قلبه ليلتف قائلًا:

- مو مو مسعد!

- أيوة مسعد يا برنس، كويس إنَّك ذكرت سيرة الندم عشان هتحسه دلوقتي.

- انت دا دخلت هنا إزاى؟!

- مش مهم، اللي يشغلك بس إيه اللي هيحصل.

- هيحصل! تقصد إيه؟

- قصدي إنَّك انت اللي كنت السبب في قتل منى بعد ما اغتصبتها يا جبان.

- لا لا يا مسعد لا لا مين قلك كده أنا برضو تتخيل ممكن أعمل ده وفمين فخطيبة صاحب عمري، اللي قلك كداب يا مسعد و أثناء تحدثه بنبرة مضطربة يُمسِك البرنس قطعة من الزجاج خلفه يُخفيها وراء ظهره.

- اللي عرفني ميعرفش يكدب يا برنس، انت تخوني أنا، تخون صحوبيتنا والعيش والملح وتقتل الشخص الوحيد اللي إدَّاني أمل في الدنيا، مفيش مشكلة هتدوق من نفس الكأس.

يوجه حينها البرنس قطعة الزجاج إلى وجه مسعد الواقف دون حراك فتقع من يديه قبل أن تصل تحت تأثير قوى لا يراها تُربِك جسده الذي يرتعد من الخوف ليصرخ بأعلى صوته طالبًا النجدة.

- متصرخش يا برنس مفيش حد هيسمعك ولا هينقذك مني، اتشاهد على روحك، يبدأ البرنس في ذرف الدموع راجيًا من صديقه العفو والسماح.

- كان فين كل ده وانت بتغتصب منى وبتجرجرها في الشقة، كان فين وهي بتترجاك تسيبها وانت بتنهش في لحمها ولحم صاحبك، مفيش رحمة من النهاردة، لينظر مسعد بمُقلتيه إلى جانب البرنس الذي يتراجع خطوتين إلى الوراء لشعوره بوجود رفيقًا معهما وما هي إلَّا لحظات حتى يتلامس جسده مع الفراغ كما يبدو له وتتعالى صيحاته وهو يُشاهد جلده يذوب كما تصهر الحمم المعدن، تتساقط قطعٌ من جلده على الأرض فتظهر شعيراته الدموية أسفلها في مشهدٍ ينأى له الجبين، تستمر صرخات البرنس وهو يجري في أنحاء الغرفة مستنجدًا بالجماد ومسعد ينظر إليه مبتسمًا حتى تأتي اللحظة الأخيرة ومع انفصال طبقة وجه البرنس الخارجية عنه كأنَّما سُلِخَ حيًا يسقط على الأرض معلنًا موته بطريقةٍ فاقت بشاعة ما فعل مرَّات ومحققًا بذلك انتقام مسعد منه.

يقف مسعد أعلاه ليتركه وهو يقول:

- سلام يا صاحبي.

دقائق بعد هذه الحادثة، مسعد داخل غرفته مجددًا ولأول مرة يستطيع ذرف دموعه و اطلاق العنان لصرخاته التي لا تنتهي حتى تفرغ قواه تمامًا وهو يقول:

- بقيت قاتل دلوقتي ومنى حبيبتي ضاعت مني، مبقاش فيه مجال عشان أكمل وإزاى هكون دكتور وفإيدي دم، كل حاجة راحت ومستقبلي بقى ضباب، يسمع صوت هاتفه يرن فينقبض قلبه ليُمسِكه سريعًا ويرد قائلًا:

- ألو مين معايا.

- مباركٌ نجاحك وقدرتك على السيطرة على أحد أقوى العشائر الموجودة في عالم الجان، من اليوم حياتك ستختلف ستُصبح أقوى شخص في الكون وحتمًا سأقابلك يومًا لنعمل سويًا، أنت مسعد الرئيس، جهَّز نفسك للانتقال.

بصوتٍ يغمره الخوف يرد مسعد قائلًا:

- انت مين!

- مؤلف الكتاب الذي معك، سليمان النجار، ليُقطع الاتَّصال على الفور.

***

أمنية الآن بمنزلها في غرفتها على فراشها نائمة ما هي إلَّا ثوانٍ حتى تنهض مفزوعة وهي ترفع يديها إلى الأعلى محاولة أن تُمسِك شيئًا أو شخصًا ربما داخل حلمها فتستيقظ قبل ذلك، تقول والعرق يتصبب منها:

- سعفان سعفان، لا مستحيل كل ده كان حلم أنا متأكدة إنه حقيقة أعمل إيه يا ربي، لازم أتصل بيه أحذره قبل ميموت هو واللي معاه واحد ورا التاني.

***

أعلى المقبرة تم تقييد أصدقاء سعفان جميعهم يُحاصرهم رجال نظمي باشا بالأسلحة، وفي الأسفل يواجه سعفان شخصًا غير متوقع لم يحسب له قدرًا ليقول:

- مستحيل، دكتورة إيمان!!!

- ليه يا سعفان كل الاندهاش ده الدنيا دي صغيرة أوي والمظاهر مش كل حاجه يعنى انت أقرب مثال لكده، ولد تافه كل الناس بتضحك عليه ويمكن كمان مشفقة تطلع فى الآخر مهم لدرجة إن مقابر مجمعة مش هتتفتح إلَّا بوجودك.

- أنا مش فاهم أى حاجه، مقابر إيه وتتفتح بوجودي إزاى! انتي مستحيل تكوني فوعيك والراجل ده عملك غسيل مخ.

تضحك دكتورة إيمان بشدة ونظمى باشا و اقفَت بجانبها ينظر لها بفخر لتقول:

- إحنا منملكش وقت كبير معاك بس لحد منتصف الليل أجاوبك فيه عاللي عايز تعرفه وأولهم إنَّك طلعت المفتاح للمقبرة دي، من أسبوع عملنا تجربة بعد ما فشلت كل محاولتنا في الدخول وقعد هنا خمس رجالة لمدة 3 أيام معاهم اللي يكفيهم من أكل وشرب وسلاح طبعًا غير أدوات التصوير واللي حصل فأخر يوم كان بشع، كائن طلع عليهم قتلهم كلهم بطرق متخطرش على بال بشر وكل الأسلحة فشلت توقفه واللي لفت انتباهنا جملة مهمة قالها الكائن ده اللي بعد ترجمتها عرفنا إنِّ

مفتاح الدخول للدهليز اللي وراك هو وجود المأمون معانا واللي لو شافه هيختفي ويسيبنا نوصل للكنز المُخبأ هنا وطبعًا المأمون هو الشخص الوحيد اللي هيكون عارف شكل النقش من قبل منطلعه من المقبرة أصلًا والشخص ده انت يا سعفان واللي معرفش لحد دلوقتي إزاى بس مضطرة اتعامل مع الوضع واستخدمك عشان نفتح المقبرة الملعونة دي قبل عقاب الرئيس.

يتصنم سعفان محله وهو لا يُصدق ما يسمع وكيف تم توريطه بسبب حلمٍ زائف لا قيمة له ليقول:

- يعني انتي السبب في كل الأحلام والكوابيس وكنتي طول الوقت ده الشخص اللي فآخر الطريق ومتشكل فالتمثال.

- لو هيرضيك كوني السبب فأيوة أنا، لتبتسم الدكتورة ويزداد سعفان غضبًا. - طب إزاى! اه افتكرت الوشم اللي شوفته عندك في الأوضة يوم مجتلك وقولتيلي متعرفيش عنه حاجه، أنا إزاى مشكتش فيكي من الأول.

- انت فاكر إنِّ دي أول مره تشوف الوشم ده، يندهش سعفان وتتسع عيناه قائلًا:

- قصدك إيه؟!

- أكيد شوفته قبل كده وده سبب لمعرفتك بيه وطبعًا غير كونك المأمون المنتظر وبالمناسبة أنا معايا خدمة من الجن وعارفه بقول إيه كويس.

لا يُصدق سعفان ما يسمع إنَّما يكتفي بالاستماع لحديث إيمان التي تُكمِل قائلة:

- لما اكتشفنا مكان المقبرة كل العيون كانت بتحذرنا من فتحها لسبب مجهول ليا بس واضح إنه قديم وغامض وفعلًا كل شيخ نرسله عشان يطلع اللي فيها يموت وبشكل سري ومن غير منشوف جثته، الحوار انتشر جدًا بين الشيوخ المختصين بالقصص دي ومحدش رضي ييجي عشان سمعتها وسموها المقبرة الملعونة، لحد ما اتدخلت أنا بخدمتي وعرفت أفتح الجزأ اللي إحنا واقفين عليه ده وللآسف فقدت منهم جنود مخلصين بس طبعًا معرفوش يقربوا من الدهليز المظلم وراك، يلتفت سعفان لينظر خلفه في حذر ثم ينظر إليها مجددًا وهي تُتابع حديثها قائلة:

- طبعًا لما اتفتحت لقينا الوشم ده منحوت على الأرض حاولنا نفك شيفرته فشلنا وكنت بحتفظ بكل شغلي على اللاب بتاعي لحد مجه اليوم اللي شوفته انت فيه بالغلط، كُنَّا في محاضرة وبعرض الباور بوينت الخاص بيها وبالخطأ عرضت صورة الوشم أعتقد وقتها نسيت وحفظته مع داتا المحاضرة دي المهم إنّ عديت السلايد ده بسرعة وكملت عادي، محدش خد باله إلَّا انت.

- أنا مش فاكر الكلام ده!!

- استنى هكمل، بعد المحاضرة لقيتك جاى بتسألني عن الوشم وبتقولي إنَّك عارفه، أنا طبعًا اتفزعت وقولتلك لازم تجيلي المكتب بعد نصف ساعة نتكلم سوى المدة دي كانت كافية بالنسبالي لتحضير شيء صغير أحطهولك في كوباية الليمون يعملك اضطرابات عقلية تفقد بيها ذاكرة وقتية وده اللي حصل لما جيت شربت الليمون ونسيت كل حاجه طبعًا مكنتش فاهمة انت عرفته إزاى بس خوفي منك خلاني أتصرف بالشكل ده وبدأت اتقرب منك وأخليك تزورني في المكتب باستمرار وفي كل مرة أحطلك عقاقير مهلوسة لحد ما بقيت تشوف أحلام وإتجننت، هنا

يتذكر سعفان كلام الشيخ عبد الجليل له عن كون السبب وراء ما يحدث له تدخل بشري بعيدًا عن الجان، لتُكمِل إيمان قائلة:

- نرجع تاني للمقبرة، نزلنا ناس كتير و علماء وباحثين كلهم اختفوا وعرفنا مؤخرًا إنهم ماتوا جوا لحد ما جاتلنا فكرة نركب كاميرا صغيرة الحجم على نضارة هيلبسها حد من رجالتنا ويصورلنا اللي بيحصل، كان ضليع بالأمور دي وفعلًا عرفنا نشوف اللي جوا وكان نفس الكائن اللي قتل الخمسة، كائن غريب دورت كتير عليه معرفتش بس في الأخر وصلت لأنه من الجن الأول اللي حضره الملك أمريس في العصر القديم معرفش القصه كاملة بس فيه قصة عن موت ملك و أتباعه ومأمون الجميع منتظره للتحرير واعتقد دي معتقدات مصرية أشبه بالأساطير لحد مظهرت انت، يقاطعها سعفان قائلًا:

- طيب ودكتور حامد؟

- دكتور غبي كان هيبقى مساعد كُفأ لشطارته بس اضطرنا نفتله.

لا يُصدق سعفان ما يسمع ليقول:

- نقتله! يعنى انتي السبب فموته، مستحيل تكوني بشر أكيد شيطان.

- لا يا سعفان أنا بشر وقلبى طيب عرضت عليه يشتغل معايا لما لقيته بالمستوى ده وو افق كان عليه امكانية مدهشة في فك شيفرة أى رمز أو نقش فرعوني لحد ما ادتله صورة الوشم ده طريقته تغيرت وطبيعته اللي عارفاها مبقتش زى الأول خصوصًا بعد اليوم اللي انت روحتله، كان مرتبك وبدأ يأخذ أدوية اكتئاب ومنومات، كان طبيعي أقلق بس اللي وصلنى لقتله لما زار صاحبك أحمد وإداله أدلة وأشياء مهمة قولت لازم أخلص منه عن طريق أقرب الناس ليه وسيبنا صاحبك عشان بغباءه كان بيوصلك لينا، عن طريق دكتور حامد اكتشفت إنك انت المأمون خصوصًا لما اتعرفت على الوشم تاني حتى و أنا ماسحه

ذاكرتك، معرفش قوتك إيه أو كينونتك بس اللي يهمني دلوقتي إنَّك تفتحلي الدهليزده قبل ميجي الرئيس ويقضي علينا إذا فشلنا.

- رئيس! تقصدي مين؟

- شيء ميخصكش وكفايه كلام لحد هنا الساعة قربت، سيد شوف شغلك .

يلتفت سعفان فيجده يُشهِر مسدسه نحوه ليحثه على المضى قدمًا.

- دلوقتي يا سعفان هندخل كلنا الدهليزو انت اللى هتفتحه.

- صدقيني أنا معرفش هفتحه إزاى، أنا مش المأمون اللي بتتكلموا عنه أقسملك كوني شاب عادي، انتي كده هتموتينا كلنا.

- يلا اتحرك وسيبك من الألاعيب دي.

وبعد محاولات مستميتة من سعفان لتأكيد خطأ الدكتورة يتوجه معم نحو الدهليزوهو متيقن أنَّها نهايتهم جميعًا.

يُمسِك سيد وسعفان عيدان اللهب للإنارة، يبدأون في المشى ومثلما حدث مع سالم و جماعته يرون الخفافيش، الحشرات والنقوش المنفرة على الحائط ما اختلف فقط هو أنَّهم كُلَّما تقدموا سمعوا صوتًا ليس بمألوف ولا يستطيعون تحديد مصدره وكأنَّما يُغلفهم من كل صوبٍ وحدب، يسيرون قلقين وقلب سعفان يعصف به ويخذله في الوقوف ثابتًا دون خوف ليُكر قائلًا:

" لقد عجَّلت بهلاكي بالفعل كما ذكر عجوز القطار فأنا على يقين بعدم كوني المأمون الذي تحدثوا عنه وسنموت جميعًا جزَاء ذلك "

يستمرون بالمشى ليسمع سعفان فى الخلف صوت نظمى يُحدث إيمان قائلًا:

- حذرتك إنه مش المأمون، إحنا في الممر ومفيش حاجة حصلت بالشكل ده ممكن نموت زى اللى فاتوا.

- متقلقش يا نظمي أنا متأكدة إنه الشخص المُراد والخدمة اللي معايا شافت فيه تغيرات توحي بكده، فقط تحلى بالصبر.

- ربنا يستر أنا بدأت أقلق، يتابعون سيرهم وسعفان يعرف أن موعد نهايته اقترب ليتلوا الشهادتين بصوتٍ خافت وهو يمشي متذكرًا ذنوبه التي فعلها طيلة حياته، يلاحظون وهم في طريقهم أجزاء من جثث تآكلت بفعل الحشرات إلى أن يتوقف الجميع في آنٍ واحد لرؤيتهم نورًا يخرج من غرفة أمامهم وسط ظلمة الدهليز، تنظر الدكتورة إلى نظمي وهي تضحك متفاخرة بنفسها قائلة:

- مش قولتلك هو المأمون أهه وصلنا لغرفة الملك من غير ميعترضنا خطر لوجوده معانا.

- صح كلامك يا حبيبتي إحنا من غيرك مكناش هنقدر نعمل حاجة.

يوجه سعفان وسيد عيدان اللهب في كل موضع يتفحصونه خشية أن يكون هنالك فخ منصوب بعد أوامر إيمان لهما وبعد التأكد وقبل الانطلاق يسمعون صوتها وهي تصيح قائلة بخوف:

- وجهوا اللهب للمكان ده.

يفعل سيد ما أُمِر ليُنير اللهب موضعًا من النقوش تمَّت ازالته بطريقة يجهلونها ليحل محله رسومات أخرى بمجرد أن يراها نظمي يقول مضطربًا:

- ده إحنا!!

أمامهم يرون نقش لأربعة من البشر ثلاثة رجال وسيدة يسيرون وفي نهاية الطريق جثثهم مطروحة أرضًا.

ترد إيمان عليه قائلة:

- يا نظمي متخليش النقوش والسحر يلعبوا بتفكيرك، ده أكيد ترهيب لينا عشان خلاص قربنا نحصد الكنز.

تُهدأ كلمات الدكتورة نظمي وهي تُذكره بالكنز والنقود الوفيرة ليُكمِل ما بدأ و سعفان يشاهد كل هذا غير قادرٍ حتى على إبداء رأيه فقد غُلِبَ أمره بسبب هذا المسدس اللعين الذي يصوب تجاهه، يُتابعون مسيرهم حتى يصيروا قريبين من الغرفة ليقول نظمي:

- أخيرًا نجحنا في فتح المقب...

وقبل أن يُكمِل جملته إذ بصيحة مدوية تأتي من سيد القابع وراء سعفان، ينظرون له جميعًا مذعورين فيجدونه محاطًا بحشرات لم يروها من قبل، عددها كثير صغيرة في الحجم لونها ذهبي تقوم بالانقضاض عليه وهو يُطلِق النار عليهم بشكلٍ عشوائي فيقتل القليل ويزدادون عددًا، الدماء تتهاطل منه بغزارة فكأنَّما صار فريسة انقضَّ عليها الذئاب حتى يسقط أرضًا مُفارقًا الحياة، يتبع ما حدث هلع غير مسبوق من نظمي، إيمان وسعفان الذي تيقَّن من موته، يتلوا الشهادتين الآن بصوتٍ عالٍ وهو يجري رفقة من معه إلى الخارج، كما فعل سالم وجماعته وسط صرخات نظمي التي تقول:

- قولتلك مش هو المأمون.

لكن وعلى غير المتوقع تُضاء جميع أنوار الدهليز لينظر سعفان ومن معه إلى الأسفل فيجدون جثث جميع من ماتوا محنطين على جوانب الدهليز، العشرات منهم بل المئات من الجثث المتراصة بجانب بعضها البعض ممَّا يُصيبهم ذلك بالفزع وقد قارب نظمي على فقدان عقله ليسمعوا صوتًا يقول:

- ألم أخبركم ألَّا تعودوا دون المأمون، ستموتون مثل من سبقكم.

تصرخ الدكتورة إيمان في سعفان قائلة:

- أومال انت مين، لا انت أكيد المأمون اتصرف إحنا هنموت لو معملتش حاجة.

- قولتلك إنه مش هو إنتي مصدقتنيش وصلتينا كلنا للموت لكن الباشا مش هيموت زى سيد أبدًا.

فى تلك الأثناء يُخرِج نظمى مسدسه الأنيق والتي وبمجرد أن تراه إيمان ترجع خطوتين إلى الوراء لتسمعه وهو يقول:

- اعذريني يا حبيبتي.

يسمع سعفان صوت طلقٍ نارى والدكتورة تقول:

- نظمي لا متسبنيش نظممممي؟

أحداث متسارعة تجري في وقتٍ قصير والمصير المشترك هو الموت وبعد لحظات يُظهِر الجان حارس الدهليز نفسه أمام سعفان الذي وبمجرد رؤيته لا يتوقف عن الصراخ فزعًا ليقع على الأرض وقد قاربت حنجرته على الانفجار، يرجع إلى الوراء زاحفًا ويسمعه يقول:

- من أنت؟

يندهش سعفان للسؤال الذي يأتيه من كائنٍ بشع يعلوه بأمتار، ليُتابع حديثه قائلًا:

- ستهلك، أنت لست المأمون.

وبمجرد أن يقترب منه ويمسكه من رقبته حتى يبدأ ذلك الجان في التخبط إلى أن يُسقطِه وفي نفس الوقت الذي يتألم سعفان بشدة بسبب جرحٍ قديمٍ بصدره، ليُشعَل اللهب على حوائط الدهليز ويقف

سعفان وهو يحترق من الداخل بجواره إيمان ليريا الجان وهو يقترب منهما وقد علما أنَّها لحظة الموت لكن يُصعَق سعفان برؤيته وهو ينحني أمامها قائلًا:

- أيُها السيد مرحبًا بك، انتظرتك طويلًا حبيسًا هنا، ننحني جميعًا أمام كهلك وتخورقو انا في وجودك، الآن يعود الإرث إلى صاحبه.

ينظر سعفان له متعجبًا لا يدري ماذا حدث وألم صدره ما زال مستمرًا، يُحدث سعفان الجان بالفصحى وقد تشجع قائلًا:

- من أنت؟

- أنا يا سيدي هو ذكرى الملك أمريس نفسه قديمًا وفي عصري ذهبت مع رجلين إلى المعبد واستحضرت روحًا خالدة لم أدري حينها أنَّها ستكون لعنة فاقت حضارتنا وستمتد إلى تراثكم، وُضعتُ هنا حرسًا لأمنعها من الفتك بالجميع حتى يأتي المُخلِص أو المأمون ولا أدري من منهما سيعكس الأمر.

جمل غريبة يسمعها سعفان ولا يُدرِك مرادفاتها ليُكمِل الجان حديثه قائلًا:

- الآن قد تحررت وحان موعد استلامك، ليختفي بعدها ويظهر طريقًا يرتسم بالإنارة على الأرض يُوجه سعفان إلى الغرفة المُضاءة الذي يمضي قدمًا والدكتورة تتبعه ليجدا غرفة صغيرة بابها من الذهب الخالص فتقول إيمان فرحة:

- ذهب ذهب قتلت نفسك يا نظمى قبل متشوف كل ده يا غبي.

يتجاهل سعفان كلام تلك المجنونة التي ورائه ويتقدم إلى داخل الغرفة فيرى صندوقًا صغيرًا فقط لا شيء آخر.

تصرخ إيمان قائلة:

- فين الكنوز والذهب، إحنا فقدنا كل الرجالة دي عشان صندوق..

بمجرد أن يمسك سعفان الصندوق حتى تعمل ذاكرته ويدخل في ثُباتٍ لحظي كأنَّما يتذكر أشياءًا قديمة لم يعش بها وتؤثر عليه ليعود إلى الو اقع وقد جحظت عيناه لتُلاحظ إيمان ذلك فتندهش للأمر، يحاول سعفان فتح الصندوق فيفشل لرؤية قفل شكله عجيب عليه لم يتبينه أبدًا وبعد بحث لم يجد أى مفتاح بالجوار، يحمل سعفان الصندوق الصغير معه والدكتورة تحاول أن تأخذه منه ليدفعها ويجري إلى الخارج وهي تلحقه مسرعة فيسمعان صوت أعيرة نارية في الأعلى وصوت يقول:

- سلموا نفسكم البوليس محاصر المكان، يُخبأ سعفان الصندوق في سترته وبعد لحظات مريرة تُسيطر الشرطة على المكان، يقبضون على جميع الرجال بالأعلى مُحررين بذلك أصدقاء سعفان الذي يتخذ الدرج صاعدًا للأعلى ليرى أمامه أنوارًا كثيرة وسيارات متفرقة تابعة للشرطة ويندهش لرؤية ذلك الصحفى الهزيل مسعود ناظرًا إليه وهو يضحك قائلًا:

- دكتور حامد اتقتل ولا انتحر؟

ليبتسم له سعفان الذي خبَّأ الصندوق الصغير قُبيل خروجه حتى لا يلحظه أحد، تقبض الشرطة على دكتورة إيمان التي لا تُصدق وجودهم هنا ويقول مسعود بصوتٍ عالٍ:

- ها قد حُلت قضية دكتور حامد بفضلي أنا الصحفي الذي اتَّبع غريزته، بسبب إنّ ر اقبتك يا سعفان ولحقت بيك لهنا مكناش لقينا كنز المقبرة أبدًا تُسيطر القوات على مجمع المقابر لكنهم لا يعلمون أنه فارغٌ الآن.

***

لأول مره و منذ بدأ تلك الأحداث الموحشه يشعر سعفان بالطمأنينة فعلى رغم ما حدث داخل المقبرة، انتهى أخيرًا ممَّا يشغله ، خَلِصَ من كوابيسه المزعجة، عَرِفَ لغز المقبرة المخيف، تخلَّص من شر دكتورة إيمان وغيرها، لم يحل جميع ألغازه بعد لكنه سعيد و ها هو يقضي مع أصدقائه يومين إضافيين فى الأقصر بعد انتهاء التحقيق معهم والاطمئنان على والدته التي وبالفعل رجعت إلى منزلها وقد صدق نظمي في وعده .

- مش قولتلك يا سمر لو ربنا أراد هنعرف ناخد أجازة اهه، إحنا بسبب سعفان جينا الأقصر وهنشوف آثار البلد اللي بندرسها.

- فعلًا بس عيشنا لحظات مرعبة متتنسيش وقلت خلاص هنموت.

- لا بس يا سمر فاكره الراجل اللي عنده شنب كبير ده اللى كان كل شوية يروح لندى يقولها تتجوزيني، يضحك الأصدقاء فتنفعل ندى قائلة:

- متفكرونيش، أنا معرفش إزاى يفكر أصلًا إنه يتجوزني أنا.

- معلش يا ندى هانم هو ميعرفش وضعك فالبلد، أحمد ساخرًا.

- لا بس فعلًا يا جماعة انا كلمة شكرًا دي قليلة عليكم أنا مش عارف من غيركم كنت هعمل إيه ولا أرجع والدتي إزاى تاني انتوا وقفتوا جمبي وقفة بمية راجل وعرضتوا حياتكم كلها للخطر.

- يا سعفان إحنا إخوات وبعدين كفاية كآبة، أنا عازمكم على الغدا يلا وبعدها نروح الكرنك ونتصور، يضحك الجميع ويذهبون لقضاء عطلتهم ثم الرجوع إلى القاهرة مرة أخرى.

***

ها قد انتهى كل شيء وبدأ الجميع في مزاولة حياته كالسابق يذهبون إلى الجامعة، المذاكرة فقد اقتربت الامتحانات و أيضًا الرجوع لعادتهم

القديمة فالجلوس على القهوة وتبادل الأحاديث، رجع أحمد إلى سمر وازداد الوصال بين سعفان ورضوى وقد انقطعت صلته بأمنية التي ما زالت خائفة ممَّا رأت فلم تملك الوقت للتفكير للامتحانات المتواصلة القادمة فقد بدأ العد التنازلي وهي شديدة الحرص على إكمال مسيرتها الحافلة بالتفوق، أيضًا قد وجد كريم ضالته، إنه الآن معجب ب ندى حتى وإن كانت مغرورة لكن الأحداث الأخيرة جعلته يشعر أنَّها تمتلك داخلها شخصًا جيدًا بالفعل، ومع انشغال سعفان بأصدقائه، مذاكرته وحبيبته رضوى فقد اقترب من مُصارحتها بنفسه قد نسى أمر الصندوق الذي أخفاه أثناء خروجه من المقبرة ولم يهتم به أحد فهو صندوقٌ بالٍ وضعه داخل غرفته أسفل فراشه، يمر شهر ولم يتبقَ إلَّا أيام قليلة على امتحانات منتصف العام وها هي جلسة مذاكرة أخرى تنتهي ليعود سعفان إلى منزله رفقة كريم الذي يُخاطبه قائلًا:

- يا سعفان قول لرضوى إنَّك بتحبها كله عارف وهي نفسها عارفة ده أنا مش فاهم انت محرج من إيه.

- عشان خايف يكون كل ده اعجاب مني ليها بسبب معاملتها الكويسة ليا دون عن باقي الناس و أكون أنا بالنسبالها مجرد حالة بتشفق عليها.

- متقولش كده أكيد مش صح وبعدين أنا التاني متورط زيك ومش عارف أقول لندى، وقررت خلاص هقولها النهاردة في التليفون.

يتحمس سعفان قائلًا:

- خلاص و أنا هعمل زيك وبكره نشوف حصل إيه.

يُودع كريم صديقه وقد تعاهدان على الإفصاح بما داخلهما اليوم.

يعود سعفان إلى منزله ليُفكر فيما سوف يقول، قلبه يدق وقد قرر مناقشة والدته في ذلك، يفتح الباب فيجد أخته الصغرى تلعب بالألوان، يدنو منها ويُقبلها على خدها الأيسر ثم ينادى على أمه قائلًا:

- ماما فينك عايز أكلمك في موضوع خاص.

- أنا هنا يا سعفان في أوضتك.

يُشاهد سعفان غرفته التي تخرج منها الأتربة فينقبض قلبه وهو يتذكر ما يوجد بالداخل فيهرع إلى غرفته وسط دهشة الأم التي تقول:

- خير يا إبني! يتجاهل سعفان والدته ناظرًا إلى أسفل فراشه، تتسع عيناه قائلًا:

- ماما الصندوق اللي كان هنا راح فين.

- صندوق! اه اه قصدك الصندوق القذر ده أنا حطيته برا عشان نرميه.

- نرميه إيه بس! فيُسرع سعفان إلى الخارج ليجده موضوعًا في الصالة، يُمسِكه بحرارة وهو يضمه إلى صدره.

- يا ماما الحاجات اللي فأوضتى متلعبيش فيها الله يخليكِ.

- معرفش هتكون بتعمل إيه من صندوق زى ده المهم كنت عايزني فإيه؟

- سيبي بس الأوضة دلوقتي وهقولك بعدين.

تخرج والدة سعفان من الغرفة تاركة إيَّاه مع ذلك الصندوق الذي قد غفل عنه تمامًا، يجلس ليفكر مجددًا في أحداث قد تناساها، ما حدث داخل المقبرة فهو لم يخبر أصدقائه بأى شيء وما سمعه ورآه ثم اختفاء أحلامه وعلى نحوٍ مفاجيء وأخيرًا الصندوق الذي يأس من محاولة فتحه بشتى الطرق رافضًا أن يُصفِح عمَّا بداخله ليقفز من على فراشه وهو يُحدث نفسه قائلًا: " لماذا لا استخدم تلك التعويذة مجددًا كما جلبت لي والدتي تستطيع أيضًا فتح ذلك الصندوق، نعم نعم إنَّها فكرة رائعة ولربما وجدت خريطة لكنز داخله أو قطعة معدنية نفيسة تخرج بنا من منعطفات الفقر ليُسر الحال وبالطبع لن أخبر أحدًا من الأصدقاء بذلك وربما استطعت بعد فتحه أن امتلك القدرة للزواج من رضوى"

يهبط الليل ليعد سعفان كل شيء يُحضر لوحة كبيرة ويكتب الطلسم بالأحمر، الوشم بالأسفل، و أيضًا الشمعة، كل شيء في مكانه كما فعلوا أصدقائه سابقًا، ينتظر بعضًا من الوقت حتى تنام أمه وأخته ليبدأ في التنفيذ، يُطفأ نور غرفته وهو يفكر هل يجب أولًا أن أخبر رضوى بحبي لها أم أؤدي تلك التعويذة، أخشى أن اعترف لها بحالتي المادية سيئة تلك لن تقبل بي فنحن نعتمد في الأصل على نقود إيجار محل العطارة وعمل أمي فقط فإن نجحت في فتح الصندوق وأخذ الكنز عندها سأتزوج رضوى نعم نعم، تلمع عينان سعفان بشدة ليبدأ مراسم الإحضار وحيدًا غير مُدرك أنه قد نسى رسم النجمة الخماسية على الشمعة.

***

في نفس الوقت من الليل تجلس أمنية في غرفتها تُذاكر وقد أرهقها ذلك ومرة واحدة تشعر بقدوم ما يُزعجها، لا تستطيع أن تركز أو أن ترى الكلمات التي في الكتب، تقوم من على مكتبها مذعورة وتأخذ دواء

للصداع ثم تستلقي على الفراش ويبدو أنَّها تعلم مقدمات ما تمر به، تُغمِض عينيها لحظات ثم تقوم وهي تصيح بأعلى صوتها:

- سعفان في خطر، تُسرِع إلى هاتفها لتتصل به لكنه لا يرد، تُكرر المحاولة ولا جدوى، فتجلس على فراشها مرة أخرى و هي تضع رأسها بين يديها، لتجهش بالبكاء دون أن تدري لماذا!!

كالسابق أحضر سعفان المنضدة وعليها اللوح والرسومات وقد كتب الطلسم وبجانبه الشمعة التي تفتقد إلى نجمتها ثم يكتب بجانب الطلسم أنه يريد فتح الصندوق تعبيرًا عن إرادته، يُطفأ الأنوار ويُشعِل الشمعة ليبدأ في قول التعويذة مُجددًا:

" اريخا فان ميخاءى قرين القول ادنو بعهدك الان طواف العهد كن معى اينما كنت فأنا روحى ملك لك فلتحضر الان ارى ظلك بحث من عاشرت و بحق سليمان النبى خانفاراس خانفاراس البرمتى يقول اجب و اطع عهد وحى قول سراء براء "

في المرة السابقة توهج صدر سعفان وكان يؤلمه بحق أمَّا الآن فهو لا يشعر بما يُشابه الأمر يُقلقه هذا لكنه يثبت مكانه جالسًا، إنه يشعر بالظلال تحوم حوله والهواء الكثيف مرةً أخرى، ما يحدث الآن هو محاكاة للسابق بنفس التسلسل ومرة واحدة يصيح قائلًا:

- نسيت النجمة الخماسية على الشمعة، يهم مسرعًا لفعلها ليُصعَق بازدياد كثافة الهواء على نحوٍ مفاجيء يتبعه انطفاء نور الشمعة، يقول سعفان خائفًا:

- لا ده محصلش المرة اللي فاتت الشمعة منطفتش!

ينهض من مكانه لإضاءة الأنوار و إبطال التعويذة لكن يوقفه صوتًا مرعبًا يقول:

- أخطأت ولا مجال للتراجع، قُدِّرت الأحكام وتمَّ الفعل ليحين موعد الآذان للشروع.

يختفي الصوت تاركًا سعفان في قلق وحيرة من أمره لعدم إدراكه لما يحدث ومعنى ما قيل له الآن ليُضاء نور الشمعة مجددًا، ينظر للمنضدة فيرى الثعبان المرسوم داخل الجسد يُظِر أنيابًا ترتسم عليه وتخترق جسد الرجل المرسوم ليفاجأ سعفان بوجود قطرات من الدماء بارزة فأعلى الورق والتي تمس الأرقام الموجودة بالأسفل لتتحول إلى حروف تحولت ايضا لثلاثة كلمات مثل المرة السابقة لكنها مختلفة إنَّها أسامي، ينظر عن كثب فتبرز عيناه بشدة وهو يرى الأسماء،

كريم، سعيد، رضوى

يصرخ سعفان قائلًا:

- يعنى إيه، ليه اتكتبت أسماء أصحابي هنا و إيه معنى الدم اللي نزل وإزاى يتكتب سعيد ده مكنش معانا أصلًا، يتوقف عن الحديث لشعوره بتلامس روحه مع جسد خفي أو رُبَّما روح أخرى تنفذ إليه فترتفع درجة حرارته ويصرخ من الألم الذي يعتصره إلى أن يُغشَى عليه.

يفتح عينيه فيندهش لشعوره بأنه ليس على أرض الو اقع إنَّما داخل بُعد الأحلام الذي ولطالما أُحتجز به، يعرف جيدًا أنَّ ما سيمر به الآن ليس بحقيقة فهو يستطيع الطيران ليأتي في مخيلته أن كل ما حدث في التعويذة كان حلمٌ أيضًا، يسعد ويرتاح باله لكن سعادته لا تدوم لتحول العالم الذي به لبقعة مظلمة يظهر من خلالها نفس التمثال القديم الذي كان يراه سعفان في أحلامه القديمة ولا يعرف من هو ذلك الشخص يتحدث إليه قائلًا:

- ألم أقل لك أنه سيأتي اليوم الذي سأقتلك فيه لقد اقترب كثيرًا لكن قبل ذلك يجب أن تُعاني ممَّا ارتكبت وبيدك أنت.

- انت مين!

لا يهم سوف آخذك الآن في جولة صغيرة لترى ماذا يحدث بسبب ما اقترفته من خطأ، ينتقل سعفان في لمح البصر إلى منزل صديقه سعيد، ينظر إليه ويصرخ دون أن يستطيع سماعه.

سعيد في غرفته يبدو عليه القلق، يذهب هنا وهناك لا يستطيع الجلوس، يُفكر في أمرٍ ما يشغله ثم يذهب لالتقاط هاتفه، يُخرِج رقم سعفان ويقوم بالإتصال به وفجأة ينقطع النور عنه ليُعلن بذلك عن تحرك ظلٌ خفى يظهر من ورائه فيصرخ سعفان قائلًا:

- سعيد سعيد بص وراك يا سعيد بص واااااك، ينظر سعفان ليجد ذلك الظل يتحول إلى شكل مألوفٍ لديه لتشابهه مع أحد التماثيل في ذلك الممر من أحلامه ثم يُظهِر ظفرين طويلين من اللهب يخرجان من يديه ليستقرا في جسد سعيد الذي يصرخ بشدة، جسده يحترق من الألم والدماء تتهاطل بغزارة والظفر يدخل ببطأ وعلى مهل ليقطع أحشائه بهدوء و إتقان، يرى سعفان هذا المنظر و هو لا يصدق ليستقر في النهاية جسد صديقه على الأرض مفارقًا للحياة.

ما هي إلَّا لحظات حتى يجد سعفان جسده ينتقل مرة أخرى إلى منزل كريم صديقه منذ الطفولة، يصيح قائلًا:

- لا لا كريم لا أنا هنفذ أى حاجه اقتلني أنا غلطت، اقتلنـــي أنا أصدقائي لا، لا أحد يرد عليه، يأتى إليه فقط مشهد كريم أمامه، يراه وهو يُمسِك هاتفه يتحدث إلى ندى وقد أشعل شمعتين وأطفأ نور غرفته أثناء اعتراف ه بحبه لها ويبدو على وجهه الكثير القبول، في تلك الأثناء يسمع كريم صوتًا غريبًا فيلتفت إلى الوراء وكأنه أحسَّ بما يُقلقه ليعود لاستكمال مكالمته تلك وسعفان ينظر وهو يرى أيضًا جان يتكون من الظلال يُشبه تمثالًا آخر من ذلك الممر اللعين لا يتكلم هذه المرة لأنه

يعرف عدم قدرة صديقه على سماعه بل يكتفي فقط بالمشاهدة على أمل نجاته، يقترب الجان من كريم الجالس الذى ولسببٍ ما غيَّر من موضعه وما يلبث أن يفعل ذلك حتى يضع ذلك الجان يديه على جسد كريم ليُسجل بما سوف يحدث أصعب مصير للموت يراه سعفان بأم عينيه، جلد كريم يذوب ببطأ دون أن يصل لأعضائه وهو يصرخ بأقصى ما لديه من طاقة لا يعلم ماذا يحدث له، يستمر فى ذلك طيلة ثلاثة دقائق كاملة حتى ينتهي بوجهه وتتناثر أعضائه على الأرض منفصلة كلٌ على حدا، ينظر سعفان لهذا المشهد وقد جفت دموعه فقط عيناه تبرز إلى الأمام، وجهه تصبغ بالأحمر وعروقه تشتد في جميع أنحاء جسده لينتقل ولآخر مرة إلى وجهته الأخيرة، منزل حبيبته رضوى التي وبمجرد رؤيتها ينفطر قلبه وهو يقول:

- أقسم أنني سأقتلك مهما ذهبت أو اختبأت أقسم أنني سأجدك وسأفعل بك الويلات.

رضوى الآن أمام المرآه تُرتب شعرها الناعم الطويل وهي تتحدث قائلة:

- رضوى انتي فعلًا حبيتي سعفان ولا إيه أنا كنت بعتبره أخ دايمًا بس لا لا سعفان اتغير وبيحبك شكلي طبيت زيه وهستنى مصارحته ليا عشان أو افق، لتبتسم في الأخير.

يسمع سعفان ذلك ولا يُصدق، عقله يفكر أنه قد فعل كل ذلك من أجل أن تُحبه فتاة أحبته بالفعل ولأخر مره يظهر الجان الأخير والذي وبالأحرى يُشبه تمثالًا آخر في الممر المظلم ليقرأ فقط بضع كلمات غريبة، لحظات حتى تُمسِك رضوى جسدها كأنَّما طُعِنَت فيه وهي تقع على الأرض، تخرج منها أصواتًا خافتة وكأنَّها تُنازع روحها التي تُغادرها أخيرًا فى

سلام مفارقة للحياة مثل من سبقوها وحولها بركة من الدماء ليدخل سعفان الناظر إليها في هيستيرية من الضحك قائلًا:

- لا متموتيش أرجوكي، لقد قتلتك، قتلت أصدقائي وقتلت الجميع، ليرى بعد ذلك نورًا أبيض اللون ناصعًا أمامه ثم يختفي كل شيء.

***

صباح يومٌ جديد، ضوء الشمس يلوح في الأفق، إنَّه صباح يوم لحق ليلة عصيبة بكل ما تحمله الكلمة من معنى وها هي أصوات العصافير وآشعة الشمس تُزعِج سعفان المُستلقي على الأرض ليستيقظ وعلى وجهه الإعياء الشديد، بمجرد أن يفتح عينيه يقول في عجل:

- يا رب يكون كابوس يا رب يا رب، ينظر إلى المنضدة فلا يجد شيئًا من أدوات التعويذة التي قام بها، يرتسم على وجهه علامات الارتياح المصاحبة للريبة، لكنه ينهض مسرعًا ليذهب خارج غرفته، يرى والدته جالسة على الأريكة وهي تبكي، ينقبض قلبه وهو يقول:

- حصل إيه يا ماما بتعيطى ليه؟

ترد الأم قائلة:

- كريم صاحبك اتقتل، ينزل ذلك الخبر على سعفان كالصاعقة، يصرخ ويجرى كالمجنون، يتوجه إلى غرفته ليرن هاتفه فيجدها ندى ويرد ليسمعها تقول:

- رضوى ماتت يا سعفان ماتت، يُغلِق الهاتف لقدوم اتَّصال آخر من أحمد الذي وبمجرد أن يفتح عليه يسمع صوته الحزين الذي يقول:

- بتصل بسعيد الصبح مبيردش كنت قلقان من غيابه ده لحد ما رد عليا حد من أهله بيعيط و بيقول إنهم لقوه ميت على الأرض وجسمه كله مليان طعنات، يُغلِق سعفان الهاتف ويقع على ركبتيه عينيه بارزه وجهه

إلى الأسفل ينظر فقط إلى يديه وما اقترفتهما دون أن يتفوه بكلمة، لا دموع ولا صراخ.

يتجمع أصدقاء سعفان الباقين على قيد الحياة جميعهم معه غير مُصدقين ما حدث فمنهم من فقد صوته مؤقتًا من الصراخ ومنهم من احمرَّت عيناه كالدماء من الدمع، لا يتقبلون بشكلٍ أو بأخر كيف يموت ثلاثة من أصدقائهم مرة واحدة وبتلك الطريقة، يذهبون لعزاء كلٌ منهم على حدا وقد كان آخرهم هو عزاء رضوى، ينظر سعفان لوالدها فيجده يجلس على كرسي متحرك يبدو أنه قد أصابه الشلل من هول ما حدث لبنته الوحيدة، ينظر إلى الأسفل ليذهب تاركًا أصدقائه الذين يصرخون فيه لمعرفة وجهته لكنه لا يرد عليهم فقط يتابع سيره وهو يضرب قلبه بلكمات متتالية.

يمر الآن قرابة الشهر على تلك الواقعة، ذهب فيها الجميع لتأدية امتحانتهم فيما عدا سعفان الذي انعزل ولم يستطع أحد الوصول إليه، أيضًا قد أنهت أمنية الترم الأول على خير وشأنها مثل الجميع تفشل في الوصول لسعفان الذي ومن بعد ما حدث معه فهو لا يرد على أحد.

تمر الحياة ويتناسى الجميع ما حدث مُجبرين لا مخيرين لكى يستمروا في حياتهم وأخيرًا يقوم أحمد بعقد قرانه على سمر وسط تجمع عائلي ليس بالكبير ليتفقا أن يكون الفرح بعد شهرين على الأكثر وها هي ندا تذهب مع أهلها إلى أسوان يقضون عطلتهم هناك وسط الآثار والمعابد وهي تتذكر كريم في كل وقت لكنها يجب أن تعيش حياتها وبالفعل ابن رجل ثري من أصدقاء والدها يتقدم لخطبتها ويبدو أنها ستوافق عاجلًا أم أجلًا، تستمر الدائرة فى الارتسام لكنها تتوقف عند شخص واحد فقط منذ خروجه من العزاء لم يغادر غرفته قط وسط أنظار والدته وأخته وهن لا يستطيعان الاقتراب منه إلَّا وقت الطعام ويتركهما بعد الانتهاء مباشرة من الأكل، يُغلِق على نفسه باب الغرفة ويسمعونه طوال الليل

وهو يقول كلامًا غريبًا ومخيفًا في آنٍ واحد وفى الصباح ينام هكذا طيلة تلك المدة فهو يحاول الوصول للرجل الخفى في أحلامه مهما كلَّفه الثمن لذلك لكن حتى الآن دون جدوى.

بعيدًا عن كل هذا ننتقل إلى مكانٍ آخر أو بالأحرى أمكنة أخرى، كاتب شهير لروايات الرعب يجلس في غرفته مساءًا، يُمسِك قلمًا وورقة ليبدأ بالكتابة عليها في عزم،

" أنا في كامل قواى العقلية قد أسعدت الكثيرين وأدخلت روح المغامرة في قلوب القُراء، اعتنيت بعملي جيدًا وتشرفت بفعل ذلك، جلست على هذا الكُرسى ساعاتٍ كثيرة أكتب القصص هنا وهناك منها ما هو حقيقي ومنها من أراد عقلي أن يجعله حقيقة لتصدقوه أنتم وتتفاعلوا معه، لم أندم أبدًا على الخوف الذي قدمته لكم ولم أفقد شغفي يومًا قط لكنني الآن قد اكتفيت من كل شيء فلتتذكروني دائمًا بالخير ولسوف أُنهي عملي الروائي بمشهد سينيمائي حقيقي به الرعب الذي أردتموه ودُمتم في أطيب حال، وداعًا"

يقوم بعدها من على كرسيه ليذهب إلى النافذة فيفتحها ويستعد لإلقاء نفسه من الدور الخامس عشر حيث يقطن داخل شقته هناك، الدموع تملأ وجهه ليقفز بالفعل محدثًا صوت ارتطام شنيع ناجم عن ملامسة كل جزأ من جسده بالأرض.

في أوقاتٍ مختلفة وبعد حادثة الانتحار التي كانت كالشُعلة التي انتشرت حول العالم لتُسجل الصحافة حوادث مثيلة لها جماعية عبر العالم نالت من كُتَّاب الرعب، السحرة، الدجالون وكل من له علاقة بعالم الغامض من قريبٍ كان أو بعيد، وسط دهشة من الجميع ولا يوجد سبب واضح لتفسير هذه الظاهرة، فقط ذلك الجواب الذي يُترك وجثة هامدة مع اختلاف وسائل الإنتحار.

***

يجلس سعفان كما هو داخل غرفته معزولًا عن العالم لا يرد على أحد ولا يهمه أمر ما يحدث بالخارج، يقضي الليل كله في كتابة التعاويذ التي تعلمها في أحلامه والبحث عبر الإنترنت عمَّا يُفيده، حاول أيضًا ادخال نفسه داخل أحلامه السابقة التي ذهبت تمامًا عنه ليفشل في جميع محاولاته إلَّا عزيمته التي لا تقبل بذلك أبدًا يدفعه لذلك روح الانتقام فقد أقسم على القتل ولن يتراجع مهما حدث، يرن هاتف سعفان ينظر إليه فيرى أنَّ المتصل هو أحمد يتركه من يده وما هي إلَّا بضع دقائق حتى يرن مرة أخرى يذهب له سعفان لكى يُغلقه فيندهش وهو يرى رقم شخص لم يتوقع اتصاله، إنه رقم الشيخ عبد الجليل شيخ مسجد الفتح الذي ارتاح له سعفان وآلف له قلبه، وبعد تفكير يرد بصوتٍ مكتوم قائلًا:

- السلام عليكم يا شيخ.

- وعليكم السلام و رحمة الله وبركاته يا بُنى لقد أردت فقط الاطمئنان عليك وعلى أحوالك، مدة كبيرة مضت لم أرك فيها تزورني فى المسجد لذلك قلقت وقررت الاتصال برقمك منذ أن تركته لي، لا يستطيع سعفان أن يتمالك نفسه ووسط ر أفه الشيخ به وصوته الدافيء ينفجر قائلًا:

- أنا بضيع يا شيخ.

يُهدأ الشيخ من روعته ليتفق معه أن يزوره الليلة في منزله و يُعطيه العنوان، يذهب سعفان لارتداء ملابسه ويفتح باب غرفته ليجد والدته وأخته يُحدقان به وأعينهم يملأها الآسى ليقول لهم:

- محدش يبصلي بالنظرة دي أنا كويس يا ماما متقلقيش.

- سعفان ابني، لتُسرع الأم إلى ولدها تحضنه لوقتٍ طويل وأخته من الأسفل تقول:

- اشمعنى أنا يا ماما مبتحضننيش كده لتضحك الوالدة ويبتسم سعفان لها قائلًا:

- لسا لسانك طويل ثم يتابع:

- ماما أنا هنزل عندي مشواروانا أرجع هنتعشى سوى ماشي.

- طبعًا ده أحلى خبر سمعته إنَّك هتنزل أخيرًا وتسيب الأوضة الكئيبة دي و هتتعشى معانا كمان ويا ريت تحلق يا سعفان شكلك بقى يخوف، يبتسم سعفان لها خاضعًا لأمرها ويهم للنزول ليسمع أمه تقول لأخته فرحة:

- يلا بينا ننزل نشتري الطلبات ونعمل أحلى عشاء النهاردة.

***

داخل السجن تقبع الدكتورة إيمان وهي تستعد لمحاكمتها وقد اتفقت مع النيابة أن تبيح بكل شيء عن تجارة الآثار في مقابل الرأفه بها واعتبارها شاهد إذا ما كانت المعلومات قيمة، تجلس الآن في محبسها الانفرادي تنظر فقط إلى الأعلى لا تقوم بأى حركة وما هي إلَّا دقائق حتى يسمع العساكر صوتًا غير طبيعي يأتي من زنزانتها فيهرعون نحوها ويُصعقوا برؤيتها قد فارقت الحياة وروحها قد صعدت إلى السماء، قُبيل موتها بلحظات، طائرة قادمة من العراق وفي الدرجة الأولى بها يجلس شابًا في بداية الثلاثينات من عمره قد حجز المقاعد التي في الطائرة جميعها على تلك الدرجة، يرتدي ملابس مهندمة ويطلب من المضيفة في وقار أن تجلب له قدحًا من القهوة، تتركه المضيفة المعجبة به، ليُخرِج من جيبه ورقة رُسِمَ عليها دائرة خماسية كبيرة بحجمها ولا شيء أخر سوى

صورة لسيدة بمنتصف الأربعينيات، إنَّها صورة دكتورة إيمان، يضعها في منتصف النجمة الخماسية ويُخرِج كبريتاً ليقوم بحرقها وهو يقول:

- ثلاثة دقائق فقط.

تأتي المضيفة له حامله القهوة وهو يبتسم لها قائلًا:

- سعدت كثيرًا بعودتي إلى مصر بعد كل هذه السنوات رغم تأخري لكن لا مشكلة.

- البلد أكيد هتنور بحضرتك يا أفندم، يُشاور لها ذلك الشاب بيديه وهو يشرب القهوة ويبتسم قائلًا بهدوء:

- أفندم! لقبي هو الرئيس، الرئيس مسعد.

***

صوت دقات على الباب، يفتح الشيخ عبد الجليل فيرى أمامه كهلًا ذقنه كثيفة مهملة، شاربه أيضًا هيأته لا تسر، كذلك شعره طويل غير منظم ويُهيأ له بأنه من رجال الكهف ليتحدث بدهشة قائلًا:

- سعفاااان هل هذا انت؟! ثم يقوم بإدخاله على الفور.

وبمجرد رؤيته يقول:

- أنا قاتل يا شيخ عبد الجليل، أنا شيطان يقول ذلك سعفان صارخًا.

- اهدأ يا بُنى فأنا لا أفهم منك شيئًا ولا تقول أنك شيطان أعوذ بالله انت شاب مؤمن يا سعفان استهدي بالله فقط ولا داعٍ للحديث تعالى معي إلى الغرفة أقرأ عليك بعض الآيات والأذكار أولًا، بالفعل يذهب الشيخ مع سعفان بعد إصرارٍ منه، يقرأ آيات من القرآن الكريم يتبعها بالأذكار وسعفان يستمع لهم ولا يستطيع المقاومة إلى أن يهدأ تمامًا

فيبتسم الشيخ وهو يراه قد غلبه النُعاس وعيناه تتلألأ بالدمع، في هدوء يتركه الشيخ ذاهبًا إلى الخارج.

بعد ساعتين يسمع الشيخ صرخة مدوية قادمة من الغرفة التي ينام سعفان بها، يُسرع إليه، يفتح الباب فيراه متعرقًا وشفاهه بيضاء ليصرخ في الشيخ قائلًا:

- أنا مش مصدق يا شيخ، افتكرت الشخص اللي كان فالتمثال والسبب في كل ده وكنت كل ما أصحى من حلمي مفتكرهوش، الدكتورة إيمان طلعت مش هي السبب والشيطان الحقيقي هو، عم شوقي القهوجي.

- ماذا تقصد يا بنى أنا والله لا أفهم منك أى شيء.

- هفهمك بعدين وقسمي فالانتقام مش هينتهي إلَّا بموته رغم إنِّ مش مصدق كونه هو السبب في كل ده ومعرفش إزاي لازم ألاقيه، يقفز سعفان من على الفراش للخارج وسط ذهول من الشيخ عبد الجليل الجالس على المقعد يُحاول ترجمة ما سمعه لدقائق ثم يلحق ب سعفان فيُصعَق لرؤيته على الأرض طريحًا قد فقد وعيه وبجانبه هاتفه على الأرض يخرج منه صوت أحدهم، يهرع إليه ويضعه على أذنيه ليقول خائفًا:

- من المتحدث؟!

صوتٌ أنثوي يرد عليه قائلًا:

- ألو ألو يا سعفان رد عليا أنا رضوى.

***

تمَّت بحمد الله

إلى اللقاء مع الجزء الثاني بعنوان " قصر شمهروش "